483

HARLEQUIN

روايات أحلام

كأنهما غريبان

سارة مورغان

www.elromancia.com
مرمورية

كأنهما غريبان

هناك امرأة واحدة فقط قادرة على مساعدة شقيقة ريكو كريسانتى المريضة. إنها زوجته التى هجرته. أنا ستاسيا. طلب ريكو من ستاسيا أن تتصرف في العلن كزوجة مثالية ووفية. أما حين يكونان بمفردهما. فعليها أن تقوم بواجباتها تجاهه على أكمل وجه. ومع هذا. لم يفكر لحظة أنه سيصبح متعلقاً بها بشكل لا يصدق. لكن ستاسيا تعلم أن عليها الابتعاد من جديد رما إن تشفى شقيقة ريكو. هل سينتهي دورها عندها كزوجة لريكو بعد ذلك ؟
ستكون له في كل لحظة من وقتهما معاً. ولكنه لا يستطيع أن يشتري حبها ...

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Public wife, private Mistress
First Puplished in Great Britain 2005
Harlequin Mills & Boon Limited
©Sarah Morgan 2005
Translation © Dar El-Farasha - 2010
ISBN 978 - 9953 - 15 - 518 - 0

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950 - 453115 - 1 - 0961 - بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

سارة مورغان

إنها نجمة صاعدة في سلسلة «Medical Romance» ونتمنى أن تستمتعوا بقراءة روايتها العاطفية الزاخرة بالأحداث والإثارة هذه.

١ - من أجلها فقط

- لن تموت!

حدّق ريكو كريسانتي، البليونير ورئيس مؤسسة كريسانتي بحزن من خلال الزجاج الفاصل بين الغرفة التي اجتمع فيها أقاربه وغرفة العناية المركزة، غافلاً عن نظرات الممرضات العاملات في الغرفة. إنه معتاد على تحديق النساء المستمر به، وهو يلاحظهن أحياناً، ويغفل عن ذلك في أحيان أخرى، كما هو الحال اليوم. تركزت نظراته على جسد الفتاة المستلقية فوق السرير، والمحاطة بالأطباء وبالآلآت الحديثة. خلع سترة بذلته منذ برهة، ورماها على أحد المقاعد بلا مبالاة، وهاهو الآن واقف وعلامات التوتر بادية عليه بوضوح، وقد رفع كمي قميصه الحريرية كاشفاً عن ساعدين برونزيين، فيما غطت لحيته السوداء فكه الحازم، ما جعله يبدو كقاطع طرق أكثر منه رجل أعمال ناجح.

بالنسبة لرجل مثل ريكو، مندفع، حيوي، ومعتاد على السيطرة والقيادة، الانتظار هو أسوأ أنواع العذاب. مهما كان سبب ذلك الانتظار، فهو ليس معتاداً عليه. إنه يسعى دائماً إلى حل مشاكله بسرعة، لكنه - وللمرة الأولى في حياته - يكتشف أنّ هنالك أشياء ليس بمقدوره السيطرة عليها، أشياء لا يستطيع شراءها بالمال، مثل حياة أخته المراهقة.

أطلق ريكو شتيمة بصوت غير مسموع، مقاوماً ثورة غضبه، ومحاولاً السيطرة على نفسه حتى لا يلكم الزجاج بقبضته. أمضى أسبوعين في المستشفى، ولم يشعر مرة باليأس والعجز عن حل مشكلة واجهته كما يشعر الآن. سدّ أذنيه حتى لا يسمع تنهدات أمه وجدّته وعمته وابنتي عمته، ووقف محدقاً بقوة وبصمت يائس إلى الوجه

www.elromancia.com

الجامد أمامه، وكأنّ قوة شخصيته كافية لإيقاظ أخته وإخراجها من حالة الغيبوبة تلك. لا بد من وجود شيء يستطيع القيام به، وهو الرجل الذي لطالما استطاع إيجاد الحلول لكل المشاكل، ورفض الاستسلام أمام أي ظرف من الظروف.

أخذ نفَساً عميقاً محاولاً التفكير بوضوح، لكنه لم يتمكن من ذلك، فقلة النوم والحزن والقلق أثرت على تركيزه وتفكيره، بالإضافة إلى أن الخوف الدائم على مصير أخته سبّب له خدراً في عقله، أصبح من الصعب التخلص منه مع مرور كل ساعة من الوقت. حاول جاهداً استعادة تركيزه، فتنفس بعمق وهو يمرر يده فوق مؤخرة عنقه، ضاغطاً بقوة على أسنانه لدى إطلاق أمه تنهيدة يائسة. بدا صوتها أشبه بسكين حاد يخترق قلبه. إنها المرة الأولى في حياته التي يدرك فيها معنى اليأس الحقيقي.

أرسل في طلب واحد من أفضل جراحي الأعصاب، فقدّمَ هذا الأخير بالطائرة لإجراء العملية الجراحية لشيرا، كي يخفف عن دماغها الضغط الذي سببّه النزيف. باتت أخته الآن قادرة على التنفس من دون الاستعانة بالآلات، مع ذلك مازالت غير قادرة على التعافي والنهوض من الفراش. مازالت حياتها تتأرجح بين كفتي ميزان، ولا أحد باستطاعته التنبؤ بما سيحصل لها. كما أن أحداً لا يستطيع الإجابة عن هذا السؤال: هل ستبقى على قيد الحياة أم ستموت؟ وإن بقيت شيرا على قيد الحياة فهل ستحيا مع إعاقة دائمة، أم أنها ستستعيد حياتها السابقة قبل سقوطها عن ظهر الحصان؟

أطلق ريكو شتيمة أخرى وهو يمرّر أصابعه القوية في شعره. بدا ذلك بالنسبة له أصعب ما يمكن للمرء أن يمرّ به، و يضطر إلى التعايش معه. آلمه هذا الإحساس الدائم بعذاب الانتظار، لا سيما وهو يرى أمه تتعذب وتذوي أمام عينيه، وتعيش شعوراً دائماً من الشك والخوف على حياة ابنتها، وقد تزايدت الظلال السوداء تحت عينيها، فيما هي مجبرة أن تسأل نفسها إن كان هذا اليوم هو اليوم الأخير لابنتها الوحيدة على

قيد الحياة. فجأة سخر ريكو من ضعفه، ولو لم يكن مرهقاً، لضحك من حماقته وجهله بصوت عال. هل اعتقد حقاً أنّ باستطاعته السيطرة على القدر؟

القسَم الذي أقسمه ريكو لوالده واعداً إياه أن يهتم بعائلته، ويرعى شؤونها، أصبح فجأة فارغاً لا قيمة له. ماأهمية الإمبراطورية التي شيّدها؟ ما أهمية نجاحه الذي استخدمه لبناء هذه الإمبراطورية لتبقى بعيدة عن الهزات المالية؟ عبر مشواره الطويل بدأ يعتقد أن ليس هناك من شيء لا يستطيع السيطرة عليه، أو لا يستطيع القيام به إذا اتخذ قراراً بشأنه. ربما كان ريكو بحاجة إلى هذا الحادث ليتذكر أنه مهما بلغت ثروته، فلا شيء يحميه من سلطة القدر.

إحساسه بيأس كبير لعدم قدرته على القيام بأي شيء، دفعه إلى فك زر آخر من أزرار قميصه الحريرية بأصابع متوترة، فيما أخذ يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً بخطوات واسعة، إلاّ أن ذلك لم يجعله يشعر بالارتياح. أطبقت على حنجرته أحاسيس غير مرحب بها وغير مألوفة لديه. لأول مرة منذ كان طفلاً صغيراً شعر بالدموع الحارة تلسع عينيه، وتهدد تماسكه الجليدي بالانهيار. لعن ريكو ضعفه مغمضاً عينيه، وراح يحّف أنفه بأصابعه الطويلة، وكأنه بهذه الحركة يستطيع التحكم بالحزن المتنامي فيه. أدرك أنه لن يتمكن من مساعدة أحد، إذا ما سمح لنفسه بالاستسلام والانهيار.

بدا أفراد العائلة متوترين وأعصابهم مشدودة، وهم متمسكون بخيط واهٍ من الأمل يستمدونه من هؤلاء الأطباء المقطبي الوجوه، لكن ريكو ما زال مصدر القوة بالنسبة لهم، وهو الصخرة التي يتكئون عليها. إذا ما شعر بالاستسلام والرغبة بالبكاء كالأطفال، ستنهار معنويات العائلة بأسرها، وتنهار معها لعبة الأمل التي يتشاركونها كلهم.

بدلاً من ذلك، حدّق ريكو بصمت حزين بجسد شقيقته الجامد المليء بالجروح، متمنياً أن تستيقظ. فُتح الباب من جديد، وهذه المرة خرج الطبيب المعالج يصحبة عدد من الأطباء الأصغر سناً. ركّز ريكو

انتباهه على الطبيب المسؤول، وقد شعر من خلال ملامحه أنّ هناك أخباراً جديدة يود إطلاعه عليها، فجأة شعر ريكو بالخوف من طرح السؤال الذي لابد منه. إنه يشعر بالتوتر بسبب قلة النوم، بل بسبب ما هو أسوأ من ذلك بكثير، ألا وهو الخوف من سماع أخبار سيئة.

قال بنبرة حادة: «هل هناك أي تبدل في حالتها... أي تحسن ملحوظ؟».

- قليلاً. هناك مؤشرات تدل على بعض التحسن في وظائفها الحيوية، وقد استعادت وعيها لبرهة قصيرة.

بدا الطبيب قلقاً من رهبة الرجل الواقف أمامه، لكنه تابع بهدوء: «لقد تكلمت».

- هل تكلمت؟ ماذا قالت؟

شعر بالارتياح يتسلل إلى عروقه للمرة الأولى منذ أيام، وكأن الثقل الذي يرزح تحته أصبح أقل وزناً.

هزّ الطبيب رأسه مجيباً: «من الصعب فهم ما قالته، لكن إحدى الممرضات تعتقد أنها ذكرت اسماً ما».

تردد قبل أن يكمل كلامه، ثم جال بنظره على أفراد العائلة سائلاً: «ستاسيا؟ بدا لها كاسم ستاسيا. أيُعقل أن يكون كذلك؟».

تجمّد ريكو في مكانه للحظة، غير قادر على الإجابة من هول الصدمة، بينما أصدرت أمه وراءه شهقة مرعبة، فيما بدأت جدته بالعويل. ضغط ريكو على أسنانه محاولاً التخلص من تلك الأصوات. إنه مستعد للقيام بأي شيء ليتخلص من هذا الوضع المهين لعائلته ولحياته الخاصة، لكنه يعلم أن لا خيار آخر أمامه في الوقت الراهن. إنهم هنا من أجل شيرا. لكن لسوء الحظ، تصرفاتهم الهستيرية واضطرابهم العاطفي صعّبت عليه الأمر بدل تخفيفه. أما الآن بعد أن ذكر اسم ستاسيا، فلا بد أنّ الوضع سيسوء أكثر وبسرعة أكبر. مجرد ذكر اسمها كافٍ لإحداث انفجار وسط عائلته وفي أحاسيسه أيضاً. أغمض عينيه للحظة؛ أخته تصارع بين الحياة والموت، ويبدو أن القدر

مصممٌ على بذل المزيد من الجهد لتدميره. هو ليس بحاجة إلى التفكير بستاسيا وسط هذه البلبلة!

قال الطبيب موضحاً بصوت هادىء: «حسناً! مهما كان الأمر، هل يمكن إحضارها إلى المستشفى؟».

تجاهل ريكو أنين أمه الرافض، وأجبر نفسه على التركيز على القضية الأساسية: شفاء أخته. بصعوبة تمكن من لفظ كلماته: «هل سيشكل ذلك فرقاً؟».

أجاب الطبيب، وهو يرفع كتفيه: «هذا ممكن. من الصعب التأكد من ذلك، لكن الأمر يستحق المحاولة. هل الاتصال بها ممكن؟ المسألة هامة جداً، ولن تتم من دون تضحية عاطفية».

نهضت الأم على الفور، وقد بانت على وجهها ملامح الغضب والألم معاً. صاحت بقوة: «لا! لا أريدها هنا! إنها...».

- كفى!

شعر ريكو بموجة الفضول التي سرت بين أفراد الفريق الطبي، فأسكت أمه بنظرة واحدة من عينيه السوداوين الباردتين.

لطالما أزعجهم تعقب الصحافة العالمية وتخييمها أمام أبوابهم ومراقبة كل ساعة من ساعات حياتهم الخاصة، بالإضافة إلى مصادر الثرثرة والإشاعات الأخرى. ستاسيا! يالليسخرية! بعدما أصبحت العلاقة بينهما شبه منتهية، اعتقد ريكو أن لاشيء سيدفعه لإلقاء نظرة واحدة على زوجته من جديد.

خلال الأشهر القليلة الماضية عمد فريق المحامين لديه إلى العمل الدؤوب على صياغة اتفاق الطلاق الذي أراده عادلاً وكافياً لإبعاد ستاسيا عن حياته، كي يشعر أنه قادرٌ على الزواج مجدداً. هذه المرة سيتزوج من فتاة إيطالية لطيفة ولينة، تفهم ما معنى أن تكون زوجة لرجل إيطالي تقليدي، لا فتاة إنكليزية حمراء الشعر مندفعة وقوية، لا تعرف شيئاً عن الطاعة الزوجية.

أخذ ريكو نفساً عميقاً. ما إن تراءت له صورة ستاسيا المشاكسة

الجميلة، حتى شعر على الفور بشوق إليها سرى في كل أنحاء جسده. مرّ عام على مواجهتهما الأخيرة المؤلمة. وعلى الرغم من الظروف المشينة لابتعادهما، مازال يشتاق إليها بيأس لا يوصف. إنه لا يثق بردة فعله لدى رؤيتها مجدداً، فهي مازالت تؤثر في أحكامه، إلاّ أنه لا يريد الاعتراف بهذا الأمر حتى لنفسه.

بالرغم من كل ما قامت به، تبقى ستاسيا بالنسبة إليه كالإدمان، ومجرد رؤيتها مجدداً تجعله بعيداً كل البعد عن المنطق. تعلّم خلال السنة الماضية كيف يكرهها، وكيف يراها على حقيقتها. إنها غلطة حياته!

سار ريكو من جديد نحو الزجاج الفاصل. نظر بصمت حزين إلى حيث تتمدد أخته، فيما ظهرت الملامح الكئيبة بوضوح على وجهه الوسيم وهو يحاول مراجعة خياراته المحدودة. أخيراً توصل إلى الاستنتاج البغيض، وهو أنّ حاجاته ورغباته ثانوية أمام قضية شفاء أخته، لذلك سوف يجبر نفسه على رؤية ستاسيا من جديد.

رغب بشدة في وضع حد نهائي لزواجهما من خلال محاميه، وما من سبب يمنع حدوث ذلك الآن. هذا ما أكدّه لنفسه بسرعة. ما سيحدث لاحقاً هو مجرد إجراء مؤقت. بإمكانه إحضارها إلى هنا من أجل أخته، وبعد ذلك سيعمل على أن تعودَ إلى بلادها في أسرع وقت ممكن. من المحتمل أيضاً أن يتجنبا رؤية بعضهما البعض، وألا يتحدثا إلا قليلاً. هذا يناسبه بالتأكيد، إذ لا رغبة لديه في تمضية أي وقت مع تلك المرأة.

ابتسم ريكو بضيق، فهو يعلم أنّ ستاسيا ستلاحظ سخرية الوضع. ستاسيا الساحرة غير التقليدية، المرأة التي لم تحظَ يوماً برضى عائلته كزوجة مثالية لرجل صقلي، حتى إنها لم تكن بمستوى توقعات ريكو نفسه. لقد أعطاها كل شيء، وقام بكل ما يقوم به أي زوج حريص على حياته الزوجية. بالرغم من ذلك، لم يكن ذلك كافياً بالنسبة لها.

أصدر الطبيب همهمةً، فتحرك ريكو متخذاً القرار الوحيد الذي

يمكنه اتخاذه الآن.

- سأرسل في طلبها على الفور.

استدار ريكو لمواجهة جيو، رئيس فريق الحراسة الشخصية التابع له، وأضاف قائلاً: «اتصل بها، وقم بالترتيبات اللازمة لتأتي إلى هنا على الفور».

لاحظ نظرة الدهشة على وجه الرجل الذي عرفه منذ طفولته، وسمع شهقة الصدمة التي أطلقتها أمه، فصرّ على أسنانه حتى كاد يكسرها، وهو يحاول التصارع مع الموقف الذي سيُقدم عليه والذي وعد نفسه أنه لن يضع نفسه فيه أبداً، وهو المواجهة مع ستاسيا. قريباً سيضعها وراءه. أقسم لنفسه بذلك، يوماً ما سيتمكن من التفكير بها دون أن يشعر بأية ردة فعل نحوها. كلما كان هذا اليوم قريباً كان ذلك أفضل.

* * *

وضعت ستاسيا اللمسات الأخيرة على اللوحة أمامها. تراجعت إلى الوراء، ثم رمقتها بنظرة ضيقة، وهي تهزّ رأسها علامة الرضى. أخيراً أصبحت اللوحة جاهزة. لا بد أنّ مارك سيسعد بها.

بعد إلقاء النظرة الأخيرة على اللوحة، بدأت بتنظيف الفرشاة، وهي تسير بعيداً عن محترفها متجهة نحو المطبخ. أشعلت النار تحت إبريق الشاي، ثم مدت يدها نحو كومة الرسائل البريدية التي كانت قد تجاهلتها خلال الأسبوعين الماضيين أثناء تركيزها على لوحتها، وراحت تقلّب الرسائل. ما لبث هاتفها النقّال أن بدأ يرنّ. علمت أن الاتصال من أمها، فأجابت على الفور سائلة: «كيف تسير الأعمال؟».

- مشرقة ودائمة التألق.

سمعت صوت أمها المليء بالحماس والإثارة والثقة. نجحت ميلز بالتخلص من الحالة المرعبة والتصرف الجبان اللذين كانا يسيطران عليها بعد تخلي والد ستاسيا عنها والرحيل مع شقراء تبلغ نصف عمره، منذ ست سنوات.

عضت ستاسيا بقوة على شفتها محاولة عدم تذكر ذلك الوقت

الكريه. يومها كانت في سنتها الجامعية الأولى، وإن كانت بحاجة إلى برهان واضح على أنّ الاعتماد على رجل ما - أي رجل- ليس بفكرة جيدة، فقد حصلت على البرهان بطريقة لا يمكنها نسيانها أبداً. لطالما اعتمدت أمها على أبيها في كل شيء، وعندما تركها ورحل وجدت نفسها غير قادرة مطلقاً على الاستمرار، كما فقدت كل إيمان لها بنفسها. احتاجت إلى ابنتها، لتؤكد لها أنها تعرف الكثير عن القطع الفنية القديمة. ساعدتها ستاسيا لتضع هذه المعرفة في حقل الأعمال من خلال فتح متجر صغير لبيع القطع القديمة. شيئاً فشيئاً توسّع عملها، ولم تعد أمها تبيع القطع الأثرية فقط ، بل أصبحت تقدم النصائح للزبائن في كيفية اختيار أثاث منازلهم. منذ ستة أشهر، وبفضل قرض مالي كبير في حقل الأعمال، تمكنتا من توسيع تجارتهما، وأصبح العمل أكثر إنتاجية وأكثر شهرة.

قالت أمها بمرح وحماس: «علينا استخدام موظف لمساعدتنا ستاسيا. أنا مضطرة إلى الذهاب في رحلة لشراء بعض الأشياء الضرورية، كما أنني مدعوة إلى منزل إحدى العائلات الهامة في يوركشاير لتقديم النصائح في موضوع تجديد بعض القطع الفنية القديمة، وأنت تعلمين أنني لا أستطيع إقفال المتجر، فالناس يأتون لزيارتنا من كل أنحاء البلاد. ليس من العدل أن يجدوا المتجر مقفلاً. أنت منشغلة جداً بالرسم، ولا يمكنك المساعدة».

ابتسمت ستاسيا. من الرائع أن تسمع أمها تتحدث بمثل هذا الحماس والنشاط. قالت بمرح، وهي ترمي بمجموعة من الرسائل التافهة في سلة المهملات: «أنت من يدير العمل أمي. وظّفي من تشائين. بالمناسبة، انتهيت من رسم اللوحة، بإمكان مارك أخذها ساعة يشاء».

- رائع! سأخبره بهذا إن رأيته قبلك. كيف حالك حبيبتي؟ هل تأكلين جيداً؟

- بالطبع أمي! أنا بخير، حقاً.

إنها تكذب بالطبع! لم تكن ستاسيا تأكل بشكل جيد طوال السنة الماضية. إنها ممزقة عاطفياً منذ أن غادرت إيطاليا، لدرجة أنّ الطعام لم يعد مهماً بالنسبة لها، لكنها لا تريد إثارة قلق أمها.

تنهدت أمها قائلة: «هذا يعني أنك مازلت تذوين على ذلك الشاب الصقلي».

تبدلت نبرة صوتها لتصبح غاضبة، وهي تتابع: «سأسديك نصيحة ستاسيا! الرجال أمثاله لا يتغيرون أبداً. كان علي معرفة ذلك. عشت مع والدك سنين طويلة، وبقي على حاله. كنت بالنسبة له مجرد ملكية أخرى، وعندما شعر بالملل مني لاحق امرأة سواي».

سمعت ستاسيا صوت سيارة تسير فوق الحفر في الباحة الخارجية للكوخ، فتمسكت بهذا الأمر كعذر لتنهي المكالمة مع أمها قائلة: « لا يمكنني التحدث الآن أمي. لدي زائر. من المحتمل أن يكون مارك قد أتى من أجل اللوحة. سأتصل بك في ما بعد».

من دون أن تعطي الفرصة لأمها لتعترض، أنهت ستاسيا الاتصال. تنهدت وهي تأخذ نفساً عميقاً؛ إنها تحب أمها كثيراً، لكنها غير مستعدة لخوض مثل هذا النقاش مع أي كان.

توقفت السيارة، فقطبت ستاسيا جبينها. إنها لا تريد رؤية مارك، فهو لم يخفِ عنها حقيقة أنه يريد منها أكثر من اللوحات، وهي غير مستعدة لمنحه أي شيء آخر، وربما لن تكون مستعدة أبداً. نظرت إلى ثيابها الملطخة ببقع الألوان، فابتسمت باستياء. إنها تبدو في حالة من الفوضى العارمة، لكن إن أصرّ مارك على القدوم من دون الاتصال مسبقاً، فما الذي سيتوقعه غير ذلك؟

توقعت ستاسيا الطرق على الباب قبل حدوثه. فتحت الباب الأمامي، لكنها جمدت في مكانها من الصدمة ما إن رأت القادم؛ إنه آخر شخص توقعت رؤيته... البليونير ريكو كريسانتي!

شعرت بقلبها يترنح. للحظة غريبة اعتقدت أنه أخيراً جاء من أجلها، ثم واجهت الحقيقة حين تذكرت أنّ سنة مرت على فراقهما، وأنه يعمل

www.elromancia.com

بجهد على إنهاء قضية الطلاق. وهذا يعني أمراً واحداً فقط: أنه أتى إلى هنا لسبب مختلف تماماً. مهما كان ذلك السبب، فهو لا يعنيها.

- لا!

عبرت ستاسيا عن ردة فعلها بإقفال الباب في وجهه، إلاّ أن ريكو اعترضها بسرعة. من الواضح أنه توقع ردة فعلها تلك فور وصوله، فمنعها من إقفال الباب بحركة سريعة من يده. قال وعيناه السوداوان تحدقان بها بقسوة: «أنت لا تجيبين على الرسائل البريدية، ولا هاتف لديك، كما أنك تدفنين نفسك في هذا المكان النائي، ويكاد يكون من المستحيل إيجادك!».

- ألم يخطر ببالك أنني ربما لا أريدك أن تجدني؟ لو أنني أردتك أن تجدني، لتركتُ لكَ عنواني.

قالت كلماتها، وهي تحدق به بغضب مظهرةً عدائيتها السابقة نحوه بقوة وبسرعة، حتى إنها غدت غير قادرة على التنفس بسبب المشاعر القوية التي اجتاحتها. تابعت ومشاعر الغضب تنضح من نبرتها: «لو أنني تصورت للحظة أنك ستجدني، لدفنت نفسي في مكان أعمق».

قالت ذلك بنبرة قاسية، متمنية لو أنها قامت بذلك حقاً. لم تفكر ستاسيا مطلقاً أنّ ريكو سيأتي يوماً باحثاً عنها. ليس بعد تلك الأشهر الأولى البائسة من هذه السنة، والتي لم تفعل خلالها شيئاً هاماً غير التحديق من النافذة إلى الخارج، والأمل يملأ قلبها في رؤية إحدى سياراته الرياضية تقف خارج المكان الذي تعيش فيه. في نهاية الأمر اعتادت على فكرة أنه لن يأتي باحثاً عنها.

هذا مابقي عالقاً في ذاكرتها، بعد أن اعتقدت أنّ الأمر انتهى. لكنها أصيبت بانهيار بسبب العاطفة المريرة التي بعثت التوتر في كل ذرة من كيانها، تماماً كما كانت تفعل علاقتهما في السابق. عندما رحلت ستاسيا لم يلحق بها. هذا كل ما يمكن أن يُقال عن زواجهما القصير الهش. هذا الزواج بالنسبة له لا يستحق أي إنقاذ، فقد كان زواجاً كارثياً. عاهدت ستاسيا نفسها أنها لو أُغرمت يوماً من جديد، فلا بد أن

يكون حبيبها رجلاً إنكليزياً، رقيقاً وهادئاً، لا رجلاً صقلياً عديم الرحمة، قاسياً، يعتقد أنه يملك العالم، نظرته إلى النساء تعود إلى العصر الحجري، وهو يعتقد أنّ المال هو كل شيء.

حدقت به ستاسيا بغضب عارم، فانشدت نظراتها إلى كتفيه العريضتين ورأسه الذي يتحرك بتعال، واللمعان الخطير البادي في عينيه الباردتين القاسيتين. ليس من العدل أن يملك رجلٌ واحدٌ هذه الجاذبية الطاغية. أحست بالقلق وهي تحاول بقوة تجاهل دقات قلبها التي تسارعت فجأة. هي لا تريد أن تتجاوب معه، لأن هذا التجاوب هو ما جعلها تتعلق به منذ البداية، وجعلها تتجاهل المنطق العقلاني الذي تتحلى به. لكن ريكو كريسانتي ليس رجلاً تستطيع النساء تجاهل وسامته الطاغية وهالة السلطة التي يملكها، والتي تحيط به ببساطة وعفوية، فالنساء ينجذبن إليه كما تنجذب أسماك القرش إلى المياه المليئة بالدماء. أما ستاسيا فتشعر بالضعف أمام وسامته وسحره الخاص تماماً كالأخريات. فجأة، أدركت أن ريكو يحدّق من فوق كتفها مجيلاً نظره في أرجاء الكوخ. رأت لمحة من الدهشة تطفو على وجهه الوسيم، فراودها إحساس غريب بأن تضحك بصوت عال. ريكو كريسانتي، البليونير الإيطالي ورجل الأعمال الشهير، الذي يملك عدداً من المنازل حول العالم، لم يتواجد يوماً في أي مكان مماثل لكوخها الصغير النائي. في وقت آخر ربما كانت ستسخر منه بسبب ذلك، لكنهما تخطيا مرحلة الممازحة والسخرية من بعضهما. لطالما كانت وجهات نظرهما ومواقفهما من الحياة مختلفة ومتباعدة، فهو يؤمن أنّ مكان المرأة في المنزل، ولا حاجة بها إلى الابتعاد عن المنزل، لتكدّ وتشقى وتواجه الحياة بصعوباتها وآلامها.

قطب ريكو جبينه، ولمعت عيناه السوداوان بمزيج من عدم التصديق والدهشة وهو يقول: «ما هذا المكان؟».

اختفت على الفور رغبة ستاسيا بالضحك. قالت بضيق: «هذا منزلي ريكو، وأنت غير مرحب بك هنا».

هي ليست بحاجة إلى من يذكرها أنه لم يرَ مطلقاً الكوخ الذي أحبته كثيراً. بالرغم أنهما كانا زوجين، فهو لا يعرف إلاّ القليل عنها، ويعرف أقل من ذلك عن الأشياء التي تهمها فعلاً.

قامت ستاسيا بمحاولة أخرى عقيمة لإغلاق الباب، وهي تعلم أنّ ذلك مجرد مضيعة للوقت. ريكو كريسانتي رجل فارع الطول وقوي البنية. حتى من دون أن تنعم النظر، هي تعلم أن سيارة حراسه الشخصيين مركونة في مكان قريب من هنا. حضورهم الدائم لطالما أثار دهشتها، فما من شخص يتمتع بكامل قواه العقلية يشك بأنّ ريكو غير قادر على الدفاع عن نفسه إذا احتاج الأمر لذلك، فهو يجيد الفنون القتالية. إنه قوي البنية، رشيق الجسد، وكأنه أحد أبطال الألعاب الأولمبية. لكنّ البليونير ورئيس واحدة من أشهر الشركات في العالم الغربي وأكثرها نجاحاً هو هدفٌ لعصابات الخطف والابتزاز، وهو لا يرغب مطلقاً في جعل الوصول إليه أمراً سهلاً.

كبتت ستاسيا ضحكة هستيرية. لو تمّ اختطافه، فهذا يعني أنه سيتغيب عن العمل، وهذا سيكون تحدياً له أكثر من أي نوع من العذاب، فهذا الرجل مهووس بالعمل، وهو لا يستطيع العيش من دونه. في أحد الأيام أرادت ستاسيا أن تمازحه، فخبأت هاتفه النقّال. سرعان ما أصبح ريكو متوتراً، حتى اكتشف المكان الذي خبأته فيه.

رفعت ستاسيا ذقنها محاولة ألا تتذكر تلك الأيام الجميلة في علاقتهما، قبل أن تواجه الواقع. قبل أن يكتشفا أنه ما من شيء مشترك بينهما. قالت: «أخبرني... كيف وجدتني؟».

قال ريكو بقسوة: «بصعوبة جمة سببت لي انزعاجاً شديداً، وقد أضعت الكثير من الوقت. أثناء حديثنا هذا يقوم قائد طائرتي بمعاينتها وبملئها بالوقود، لأنه يجدر بنا أن نكون في الفضاء في غضون ساعة من الوقت فقط».

فتحت ستاسيا فمها وهي تحدق فيه باندهاش تام، تماماً كما فعلت عندما رأته أمام باب كوخها. قائد الطائرة يملأ خزان الطائرة

بالوقود...! هما بحاجة للسفر...! ماالذي يقوله بالتحديد؟

– أتعني... نحن؟

هزت رأسها، وأطلقت ضحكة تخلو من أي مرح، قبل أن تتابع: «أفترض أنك تستخدم كلمة «نحن» للتفخيم. لا يمكن أن تقصد أنتَ وأنا».

هما لم يتحدثا مع بعضهما البعض منذ سنة، وبالتحديد منذ تلك الليلة التي اتهمها فيها بالخيانة، فواجهته بغضب يقارع غضبه؛ النار مقابل النار! بعدئذٍ خرجت غير مهتمة بالدفاع عن نفسها، وغاضبة جداً منه إلى درجة أنها لم تعد تثق بنفسها لتتكلم، ولم تثق بنفسها أنها لن تسبب له أذىً جسدياً. إن كانت بحاجة إلى برهان إضافي على أنهما لا يستطيعان العيش معاً، وأنهما مختلفان بشكل كبير، فلقد حصلت على ما تريده في تلك الليلة. ظل جزء صغير منها يتمنى أن يأتي في طلبها، وأن يقاتل من أجل استمرار علاقتهما، لكن بعد فترة قصيرة أصيب هذا الجزء بخيبة أمل. وهكذا لم يريا بعضهما منذ ذلك الوقت. رأى ريكو ما رآه، فأطلق حكمه عليها، وانتهت قصتهما.

قال ريكو بعد أن نفد صبره: «في لغتي «نحن» تعني أنت وأنا. بالرغم من انتقاداتك المستمرة لأسلوب حياتي، لم أفكر مطلقاً ولم أعانِ يوماً من أوهام العظمة».

اعترفت ستاسيا أن ما يقوله صحيح، مع ذلك فهو يُعامل في صقلية كأنه من السلالة الملكية. تلك كانت واحدة من النكات التي تضحكهما، سندريلا والأمير! لكن لا أحد منهما يمزح الآن.

لماذا يريدها أن تذهب معه؟ وإلى أين؟ كلاهما يعلمان أنها لا تتحلى بالصفات التي يريدها في زوجته، مع ذلك ها هو هنا، واقف عند بابها، وكتفاه العريضتان تحجبان الضوء عنها تقريباً. لن تتفاجأ إن اكتشفت أنّ ريكو قادرٌ على السيطرة على تعاقب الليل والنهار، فهو تقريباً يسيطر على كل شيء آخر. هو رجل قيادي بطبعه، ويعتبر الآخرين مجرد أتباع له. تساءلت ما الذي دفعه للقدوم إلى كوخها!

- لا يمكنني تخيل السبب الذي دفعك للقدوم إلى هنا، في حين أنك تعلم جيداً أنني لن أوافق مطلقاً على الذهاب إلى أي مكان معك من جديد، فأنا لم أعد دمية متحركة بين يديك منذ سنة مضت.

تخلت ستاسيا عن رغباتها الخاصة، لأن العلاقة الجسدية هي كل ما كان يربطهما ببعضهما. بالرغم من أنّ كل شيء كان يجري على نحو خاطىء، فعلاقتهما الجسدية ظلت دائماً رائعةً. بدلاً من الإجابة الحادة التي توقعتها، ساد صمت وتوتر بعد كلامها هذا. توقعت ستاسيا حدوث الشجار الكلامي نفسه بينهما، فضمت ذراعيها إلى صدرها بعد أن لاحظت التوتر البادي في حركة كتفيه وعلامات الضيق في ملامحه. شعرت بالقلق، وأدركت أنه متعب. آه! ريكو كريسانتي لا يتعب أبداً. إنه يملك طاقة لم ترها يوماً في أي شخص آخر، فقد كانا يمضيان طوال الليل معاً، ثم ينهض ريكو عند الفجر لحضور اجتماع عمل مبكر، تاركاً إياها لتنام من شدة الإرهاق. لا بد أن أمراً سيئاً جداً حدث.

نظرت إلى الباحة وراءه، ولاحظت وجود السائق وحارسين شخصيين لا تعرفهما.

قطبت جبينها وسألت: «أين جيو؟».

خلال الفترة القصيرة لزواجهما اعتادت ستاسيا على وجود جيو رئيس فريق الأمن التابع لريكو، وعلمت أنه أكثر من مجرد موظف لديه. إنه شخصٌ صريحٌ ومستقيمٌ من صقلية، عرف ريكو منذ ولادته، ومن النادر أن يبتعد عنه.

أجاب ريكو بنبرة حزينة: «جيو في المستشفى، هو الوحيد الذي أثق به ليبقي الصحافة بعيدة عنا».

استوعبت ستاسيا كلماته ببطء. قطبت جبينها وسألت: «المستشفى؟ لماذا هو في المستشفى؟ ماالذي حدث؟».

- تعرضت شيرا لحادث، فقد سقطت عن ظهر حصانها.

قال ذلك الخبر بنبرة مخنوقة، ثم تابع: «إنها في غيبوبة. اعتقدتُ أنك قرأت الخبر في الصحف، فالقصة منتشرة في كل مكان.

شيرا في غيبوبة؟!

- أنا لا أطالع الصحف هذه الأيام.

اكتفت ستاسيا بهذا القدر من الكلام. في الواقع توقفت عن قراءة الصحف منذ أن انفصلا، لأنّ لديها كل الأسباب لتكرهها من أي نوع كانت. حدقت به، وسألت: «هل إصابتها خطرة؟».

- أجل.

بدا لها كأنه يترنح أمامها، فشعرت بالقلق عليه. هي لم ترَ ريكو بهذه الهيئة من قبل؛ شاحباً ومرهقاً، كأنه رجل على حافة اليأس. بدون أن تفكر تراجعت إلى الوراء قائلة: «من الأفضل أن تدخل».

تبعها ريكو إلى داخل الكوخ. انحنى قليلاً ليتجنب ارتطام رأسه بالباب. عبس وهو ينظر إلى غرفة الجلوس الصغيرة، التي فُرشت بأريكة وحيدة وقديمة.

- هل أنت بحاجة إلى المال؟

نسيت ستاسيا اهتمامها به بشكل مؤقت، وشعرت بالغضب يغلي في أعماقها. بالنسبة إليه كل شيء مرتبط بالمال. ألا يخطر بباله أنها اختارت العيش في هذا الكوخ لأنها تحب ذلك؟

- لا شأن لك بحياتي مطلقاً. أنتَ لم تظهر أي اهتمام بها من قبل، لذا ما من داعٍ لتهتم الآن.

تساءلت كيف تمكنت فعلاً من أن تُغرم برجل متجمد العاطفة مثله.

- لست بحاجة إلى العيش على هذا النحو، فأنت مازلت زوجتي.

لو لم يكن الألم كبيراً لانفجرت ستاسيا بالضحك. قالت بتوتر وهي تبعد خصلات شعرها الأحمر الناري عن وجهها: «أحب العيش هكذا، ولم أكن يوماً زوجتك ريكو».

حركتها تلك أثارت انتباهه، فلمعت عيناه على شعرها الجامح الفاتن البدائي. تضاعف التوتر في الغرفة فجأة، وللحظة نسي كلاهما شيرا، وبدوا منشغلين ببعضهما إلى درجة أنه لم يكن هناك متسع لأية ضغوطات من العالم الخارجي.

- لكنني تزوجت بك!

من الواضح أنه يعتقد أنّ زواجه بها هو أكبر شرف يمكن أن يمنحه لها. جاهدت ستاسيا بقوة لكبت ضحكة مليئة بالمرارة. كيف يمكن لها أن تنسى غروره وتفاخره الدائمين.

- حصل ذلك بسبب اندفاع قوي، جعلنا نادمين على تلك الغلطة لمدى العمر.

تمنت ستاسيا لو أنه يتوقف عن التحديق بشعرها. هي تعرف تلك النظرة في عينيه، وكل ما تستطيع فعله الآن هو عدم القيام بأي حركة ملفتة. هي تعلم أنه غير بعيد عن الرغبة بتمرير يده بين خصلات شعرها، ليميل بعنقها إلى الوراء ويعانقها. لطالما بدت لمسات أصابعه في شعرها مقدمة لأجمل لقاء عاصف بينهما. تسارعت أنفاسها، فهي لا تريد تكرار ذلك الآن.

- لم يكن زواجاً بالمعنى الصحيح للكلمة. الزواج يعني المشاركة، ونحن لم نتشارك إلا في العلاقة الجسدية.

علاقة رائعة، ما زالت ذكراها تؤرقها وتحرمها من النوم حتى الآن!

نقل ريكو نظره على مضض من شعرها إلى وجهها الشاحب، فعلمت أنّ أفكاره تسير في الاتجاه نفسه.

- أنا لست هنا لأعيش مرة ثانية اللحظات المؤلمة التي مرت خلال زواجنا الكارثي ذاك. لكن، سواء أعجبك الأمر أم لا، أنت مازلت زوجتي إلى أن يصبح الطلاق نهائياً...

تابع يقول بنبرته القاسية ليخفي أي تأثر بها: «...لذا أريدك أن تعودي إلى إيطاليا. لا تسيئي فهمي! لا رغبة لي في إعادة علاقتنا بأي شكل من الأشكال. هذه الزيارة ليست لسبب شخصي».

شعرت ستاسيا بالألم يمزقها. يجدر بها أن تدرك ذلك بالطبع، فلِم تشعر بمثل هذا الألم لسماعه يقول ذلك بنفسه؟ ولِم ما يزال الألم كالجرح النازف في أعماقها؟

- بالطبع، ليس لسبب شخصي. كيف لي أن أفكر في غير ذلك.

خمس دقائق مرت وهو في منزلها، خمس دقائق فقط، وهاهي جاهزة لمهاجمته وتمزيقه بأظافرها. إنه ببساطة، يثير غضبها حتى الجنون. تابعت: «زواجنا أيضاً لم يكن شخصياً، وتلك هي المشكلة الأساسية، فكل ما كان بيننا هو علاقة جسدية شرعية فقط».

سمعت صوت زفيره الحاد، ورأت الغضب يلوّن خديه، حتى إنها كادت تتذوق طعم غضبه ذاك. مع ذلك لم ينكر ريكو الأمر. كيف يمكنه أن يفعل، وكلاهما يعلمان أنّ هذه هي الحقيقة؟ مع أن علاقتهما الجسدية رائعة، لكن لا شيء بينهما أكثر من ذلك. هذا بالنسبة له على الأقل، أما هي فكان ريكو حب حياتها، وهذا جعل الوضع أكثر سوءاً.

قال ريكو بنبرة باردة، محاولاً تبديل الموضوع: «أنا لست هنا للتحدث عن زواجنا».

لو لم تكن ستاسيا يائسة جداً وغاضبة جداً منه، لضحكت لعدم قدرته على التعبير عن أي أمر عاطفي. علّقت بغضب صارخ، كأنها ترميه بكلمات من رصاص: «بالطبع! أنتَ لستَ هنا من أجل ذلك. أتفضل أن تطلقني من دون أي نقاش بيننا، فنكتفي بالتواصل من خلال المحامين في قاعة المحكمة؟».

أجابها بغضب يوازي غضبها: «أنت من تخلى عن زواجنا. أنت من رحلت».

- لأنه لم يكن هنالك من زواج بيننا! أنتَ لا تثق بي، ولا تشاركني في أي قرار أو في أي شأن من الشؤون. أنت تقوم بذلك بمفردك دون أي اهتمام لرأيي. بالكاد كنت أراك! هذا ما يجعل وجودك الآن هنا أمراً يصعب تصديقه، في حين أنه كان بإمكانك أن ترسل أحد رجالك. لا بد أنه كان من الصعب عليك أن تجبر نفسك على القدوم إلى هنا شخصياً.

ضغط ريكو على أسنانه بقوة قبل أن يقول: «أنا لا أخشى الصعاب».

- إذاً لماذا تتواصل معي من خلال المحامين، ريكو؟

ياإلهي! ليس الوقت مناسباً لمثل هذا النقاش. نظر إليها بعدائية قاتلة، وتابع قائلاً: «أنا لا أطلب منك العودة إلى إيطاليا من أجلي، بل أطلب منك ذلك من أجل شيرا».

تبدل غضب ستاسيا الحارق على الفور إلى إحساس بالخجل. لقد نسيت شيرا. كيف أمكنها بذلك؟ لماذا تنسى أي شيء آخر عندما تكون برفقة ريكو؟ تمتمت بتوتر: «من الطبيعي أن أشعر بالأسف لما أصابها، لكنني لا أستطيع أن أفهم لِما عليّ الذهاب إلى إيطاليا؟».

- أنت جزء من العائلة.

ففتحت فمها غير مصدقة ما تسمعه. ضحكت بسخرية، وقالت: «هل تتظاهر بأنك تريدني بجانب سرير أختك؟ ماهذا؟ أهو عرض مفاجيء للتماسك العائلي؟ تأخر الوقت قليلاً على ذلك، ريكو».

لم تكن ستاسيا يوماً جزءاً من عائلته. أظهر لها الجميع بشكل واضح، ومنذ اليوم الأول، أنهم يعتبرونها باحثة عن الذهب. يا له من اتهام مضحك جداً، نظراً إلى عدم اهتمامها بالأمور المادية. لم يكن الأمر مضحكاً في حينه، بل كان مأساة بكل ما في الكلمة من معنى. لم يكلفوا أنفسهم عناء التعرف عليها بما فيه الكفاية، ليفهموا الأمور التي تعنيها فعلاً. بدلاً من ذلك تعمدوا إقصاءها بكل وسيلة ممكنة، لكي يجعلوها تشعر أنها غريبة تماماً. في الواقع، تزوج بها ريكو من دون أخذ رأيهم أو حتى دعوتهم لحضور الزفاف، فألقوا اللوم عليها بسبب ذلك. بالنسبة لهم هذا برهان إضافي؛ تزوجت به بسرعة، كي تضع يدها على أمواله. إنها ليست المرأة التي يريدونها لريكو. زأر ريكو كأنه نمر جريح، ثم لمعت عيناه بالخطر.

- ياإله السماوات! حياة أختي معلقة بين الحياة والموت، وأنت مازلت تتجنين على عائلتي؟

جمدت ستاسيا في مكانها، مصدومة لسماعها خبر خطورة إصابة شيرا.

قالت بصوت ممزق: «هل... ستموت؟».

ابتلعت غصة بصعوبة، وفهمت فجأة سبب هذا التوتر الكبير الذي يظهر بوضوح عليه، فهو يحب أخته الصغرى كثيراً.

- هل إصابتها خطيرة؟

أغمض ريكو عينيه للحظة، وتنفس بضيق، قبل أن يقول: «قالوا لنا البارحة إنهم يعتقدون أنها تخطت مرحلة الخطر، لكن ربما يبقى لديها خلل في الدماغ».

رفع ريكو كتفيه، وتابع بحزن: «ليس بمقدور الأطباء معرفة مدى خطورة الإصابة حتى تستيقظ جيداً، وحتى الآن تفوهت ببعض الكلمات فقط...».

ظهرت القسوة على ملامحه وهو يكمل: «...لذا أعتقد أنك تعلمين مدى السوء الذي تسببه انتقاداتك لعائلتي الآن».

قالت ستاسيا بهدوء، شاعرة برغبة في الدفاع عن نفسها أمام اتهامه: «لم أتفوه بأي كلمة سيئة عن عائلتك. كل ما قلته كان حول علاقتي بهم. كما أن... لا فكرة لدي أنّ حياة شيرا على المحك».

عندما يصل الشجار بينهما إلى عائلته يصبح ريكو أعمى تماماً. من الواضح أنه لا يعلم بما جرى معها.

- إنها في غيبوبة منذ أكثر من أسبوعين، كما أنها خضعت لعملية جراحية في الدماغ.

تأثرت ستاسيا بشدة، فمدت يدها في تعاطف غريزي لتخفف عنه، لكنها تركت ذراعها تسقط إلى جانبها، ما إن التقت عيناها بعينيه الباردتين. بدا كأن نظرته القاسية تقول لها: أبعدي يديك عني! لا تلمسيني! إذ إنها لا تملك الحق بأن تقدم له أي مبادرة لطيفة من أي نوع كان. ذلك لا يعني أنّ ريكو كريسانتي يتوقع تعاطفاً من أي شخص آخر، فهو لا يسمح لأحد بأن يكون قريباً منه إلى هذا الحد... حتى زوجته.

تراجعت ستاسيا عاطفياً وجسدياً، وانكمشت رغبتها في الصراع من أجله بسبب عدم مبالاته الكاملة لوجودها. لم يكن في السابق عديم

المبالاة على هذا النحو، ولم يكن قادراً على إبقاء يديه بعيدتين عنها. لطالما أظهر شوقه لها وهوسه بها، لكنها لن تفكر بذلك الآن، فالتفكير بعلاقتها مع ريكو هو الطريق الأسرع لتدمير الذات. عليها فعلاً ألا تهتم له بعد الآن، وهي فعلاً لا تهتم. رفعت ذقنها، وعاشت تجربة السيطرة على النفس التي أجبرت نفسها على تعلمها عندما كانت تعيش مع عائلته. قالت بهدوء: «أنا آسفة حقاً لما جرى لشيرا! بالطبع، أنا مستعدة لتقديم المساعدة بأي وسيلة ممكنة، لكنني حقاً لا أستطيع فهم السبب الذي دفعك لتطلب مني الذهاب إلى هناك».

أظهرت شيرا في ما مضى لستاسيا بوضوح أنها ليست فرداً مُرحباً به في العائلة.

مرّر ريكو يده فوق مؤخرة رقبته، وأخذ نفساً عميقاً، كأنه يجبر نفسه على التفوه بجملته التالية.

- شيرا طلبت رؤيتك.

حدّقت ستاسيا به، واتسعت عيناها الخضراوان من فرط الصدمة.

- شيرا طلبت رؤيتي؟ لابد أنك تمزح!

لاشك أنها أخطأت كثيراً في ما قالته.

- ياإلهي! لطالما اتهمتني بأنني أتعامل مع الحياة بجدية كبيرة، فهل يبدو لك الآن أنني أمزح؟

التمعت عينا ريكو بقوة، وتغيرت ملامح وجهه الوسيم، فتراجعت ستاسيا إلى الوراء بحركة لا إرادية، متفاجئة من ردة فعله العنيفة. من الواضح أنه لا يمزح. ليس من عادة ريكو أن يبوح بأحاسيسه، أو يُظهر أي أثر لفقدانه السيطرة على ذاته وعلى كل من حوله، لهذا بقيت ستاسيا للحظات غير قادرة على الإجابة.

- كل مافي الأمر أنه من الصعب عليّ أن أصدق أنها سألت عني.

ظهرت ردة فعله الغاضبة، وهو يسير في الغرفة بخطىً واسعة، إذ قال بخشونة: «اعتقدت أننا اتفقنا على عدم فتح الجراح القديمة الآن».

بالكاد تمكن من تجنب ضرب رأسه بالعارضة الخشبية، فرفع يده

نحوها. للحظة اعتقدت ستاسيا أنه سينتزعها من السقف بيديه القويتين. عوضاً عن ذلك نظر ريكو إلى الأعلى باستخفاف وتعجب، وكأنه لا يستطيع أن يصدّق أنّ أحداً ما يمكن أن يصمم منزلاً كهذا.

- يبدو هذا الكوخ كفخ للموت.

- من المحتمل أنه لم يُصمم لشخص له مثل بنيتك.

تمتمت ستاسيا بذلك، وهي تتمنى لو أنه يغادر المكان. أحست أنه يسيطر على غرفة الجلوس الصغيرة بكتفيه العريضتين وقوة شخصيته. أمضت الأشهر المنصرمة وهي تحاول أن تنساه، إلاّ أن صورته كانت تعود دائماً إلى ذهنها، فينتابها شعور مشابه لذلك الذي تحس به عندما تلامس أصابعها تلك البشرة البرونزية الرائعة. لو أنها قامت بهذا الآن، لمرر ريكو يده على الفور على عمودها الفقري، ليضمها إليه ويعانقها، فريكو حوّل العناق إلى فن قائم بذاته...

تجمعّت الذكريات في رأسها، وفجأة أرادته أن يرحلَ قبل أن تنسى أنّ هذا الرجل حطم أحلامها إلى قطع متناثرة، وقبل أن تنسى أيضاً أنها لم تعد تشعر بأي شيء نحوه.

لم يُبد ريكو أية إشارة تدل على أنه سيغادر. بدلاً من ذلك هاهو واقف، وقد أبعد ساقيه عن بعضهما، مصمماً على مواجهة كل عدائية أو موقف هجومي ضده، وكأنه يملك هذا الكوخ.

- منذ ذلك الحادث الذي وقع منذ أسبوعين، لم تستعد وعيها أو تستيقظ من غيبوبتها إلا مرةً واحدةً، وكان اسمك هو الكلمة الوحيدة التي لفظتها... اسمك أنت.

تلك الواقعة تلذعه بقوة. لم يُبد ريكو أية محاولة ليخفي ازدراءه وكرهه لهذا الوضع الذي وجد نفسه فيه. تابع بانزعاج: «مهما كان ما تفكرين به، شيرا مولعة بك».

حدقت ستاسيا إليه بصمت، وهي تشعر بالذهول. تساءلت كيف يمكن لرجل يتمتع بمثل هذا الذكاء الخارق أن يكون شديد الغباء عندما يتعلق الأمر بعائلته؟ بإمكانها بالطبع أن تقول له إنه لا يمكن لشيرا أن

www.elromancia.com

تكون مولعة بها، وربما تستطيع تذكر تلك النقاشات المؤلمة التي كانت تجري بينها وبين شقيقته، عندما كان هو بعيداً يلاحق نجاحه الخيالي في إمبراطوريته الممتدة عبر العالم، تاركاً إياها تحت رحمة عائلته. شيرا تكرهها! كرهتها منذ اللحظة الأولى التي تزوج بها ريكو، وقد لعبت دوراً كبيراً في انفصالهما الأخير، كما في تعكير صفو زواجهما المحكوم عليه بعدم الاستقرار. علمت ستاسيا أن ريكو يحب أخته حتى العبادة، وقررت منذ زمن أن دورها كزوجة لا يجبرها على قول الحقيقة له. إنها لا تريد أن تكون مسؤولة عن خلق صراع في تلك المؤسسة المشهورة في صقلية ألا وهي العائلة. أما الآن فهي تتساءل عما دفع شيرا لتطلب رؤيتها. أهو الإحساس بالذنب؟ أهي رغبة لاواعية في الاعتذار، أم إدراك مفاجيء أنها كانت مخطئة؟

سُمع سعال محذر عند الباب، فاستدار ريكو، وقد بدا فاقد الصبر. من الواضح أنه انزعج من هذا التدخل. بدا الحارس خجولاً، فقال كأنه يعتذر: «أنزو على الهاتف سيدي، والطائرة جاهزة للإقلاع».

زفر ريكو بصوت عال، واستدار لمواجهتها. كل مافيه يُظهر فقدانه للصبر أيضاً.

- علينا الانطلاق الآن، إذ عليّ العودة إلى المستشفى. أضعت الكثير من الوقت، كي أتمكن من الحضور إلى هنا شخصياً.

ملامح وجهه تُظهر أنه يُفضل أن يكون في أي مكان آخر، بدلاً من الوقوف هنا في هذه الغرفة الضيقة مع امرأة يحتقرها. لم تشك ستاسيا مطلقاً أنه لو وجد شخصاً آخر يمكنه إقناعها بالصعود إلى طائرته، لفوّضه بهذه المهمة. لكنه يعلم أنها سترفض، لهذا هو مجبرٌ على التعامل مع الوضع بنفسه.

هل يتوقع منها حقاً الذهاب برفقته؟ هل يتوقع منها أن ترافقه بعد كل ما حدث؟ فجأة شعرت ستاسيا بالندم لأنها لم تجب على المكالمات الهاتفية. لو أنها فعلت، لحظيت على الأقل بفرصة تخلصها من تأثير قدومه الطاغي، وحضرت نفسها لهذه الصدمة وهذا الألم من جراء

رؤيته مجدداً. لو علمت ما الذي سيحدث لها لاستمرت في الاختباء. هل كانت لتفعل ذلك حقاً؟ إن كانت شيرا قد طلبت فعلاً رؤيتها، وإن كانت إصابتها خطرة كما يقول ريكو، كيف يمكن لها أن ترفض الذهاب؟

رطبت ستاسيا شفتيها الجافتين. فكرت أنها لن تتمكن من العيش مع نفسها بسلام، إن حدث مكروه لشيرا وكانت هي قد رفضت زيارتها. تصرفت الفتاة بشكل سيء معها، لكن ستاسيا أكثر من مستعدة لمسامحتها. لطالما أملت أن تجد شيرا الشجاعة يوماً لتقول الحقيقة كاملة. لكن كيف يمكنها أن تذهب إلى هناك، إلى حيث حدث كل شيء، وأن تواجه أفراد عائلته الذين يكرهونها كثيراً، والذين يعتقدون أنها غير مناسبة مطلقاً لابنهم ريكو؟ أغمضت ستاسيا عينيها للحظات، محاولة تقبل الأمور المحتمة القادمة. مواجهة العدو بالنسبة لها أقل عذاباً من مواجهة ضميرها. إن رفضت الذهاب لزيارة الفتاة المصابة، وحدث سوء لهذه الأخيرة، لن تسامح نفسها!

- أعطني مهلة خمس دقائق لأحضر حقيبتي.

سمعت صوت زفير ريكو، ولاحظت أنّ بعض التوتر فارق كتفيه العريضتين. أدركت أنه كان يتجنب الشجار والقتال معها، فكتمت ابتسامة ساخرة: من الواضح أنه لا يدرك أنّ مزاجها لخوض المعارك فارقها منذ زمن بعيد.

- لست بحاجة إلى أخذ حقيبة معك، فأنت لم تأخذي أياً من حاجياتك عندما رحلت.

- تركتها كلها، لأنني لست بحاجة إلى شيء منها.

التقت نظراتها بنظراته، وبدت الرسالة واضحة بينهما: لم أكن يوماً مهتمةً لمالك، ولا أستطيع التصديق أنك لم تدرك ذلك بعد. الشخص الوحيد الذي كانت ستاسيا بحاجة إليه هو ريكو نفسه، وهذا هو الأمر الوحيد الذي فشل في فهمه. من الواضح أنه معتاد على النساء اللواتي يكترثن فقط لحسابه المصرفي الذي لا حدود له. لطالما أحس ريكو

بالدهشة لعدم اهتمامها بثرائه الفاحش. إنه رجل لا همّ له سوى المال والسلطة، أما الحب فهو أمر يصعب فهمه بالنسبة له، وكأنه لغة غريبة. كلما قدّم لها المزيد من الجواهر والهدايا المميزة، كلما قلّ شعورها بأنها زوجته، وأحست أنها عشيقته. كأنه يدللها ويدفع لها مقابل علاقتهما. ذكرت ستاسيا نفسها أنّ هذا كله حدث في الماضي. نظرت إلى سروالها الملطخ بالطلاء، وقالت: «على الأقل دعني أبدل ثيابي».

هي لا تهتم مطلقاً لما سيفكر به كل فرد من أفراد عائلته، لكنها لا ترغب في دخول المستشفى وهي ملطخة بالطلاء. قال ريكو على الفور: «بإمكانك تبديل ثيابك في الطائرة».

سار بخطىً واسعة نحو الباب. بدا واثقاً من نفسه ومسيطراً على الوضع كالعادة، فهو رجل معتاد على إصدار الأوامر لمن حوله.

هزّت ستاسيا رأسها، وهي تشعر بالانزعاج من نفسها. إنها مستقلة بكل ما للكلمة من معنى، ومع ذلك ما إن يشير لها ريكو بأصابعه، حتى تقفز إليه و... إلى سريره. لكن ليس هذه المرة. لن يحدث ذلك أبداً!

أغمضت عينيها، وقد شعرت فجأة بفداحة ما ستُقدم عليه. هل يمكن لمدمن أن يعمل في حقل إدمانه؟ أو هل يمكن لمغرم أن يعيش حياة ناسك مع حبيبته؟ مع ذلك هاهي تذهب برفقة الرجل الوحيد الذي يجعلها تنسى من هي حقاً. لا بد أنها مجنونة! مجنونة لوضع نفسها في موقف معذب مؤلم، ولتواجدها بالقرب من ريكو من أجل فتاة مراهقة لم تُظهر لها أي إشارة ولو ضئيلة من الحب أو الصداقة. أدركت أنّ ريكو مازال يراقبها، وقد ظهرت علامات فقدان الصبر واضحة على ملامح وجهه الوسيم. سارت نحو الباب وهي تشعر برطوبة في كفيها وباضطراب مقلق في صدرها بسبب تسارع خفقان قلبها. تمتمت وهي تحدق في وجهه، غير سامحة له بتجاهل تلك الحقيقة: «حسناً! لكنها مجرد زيارة قصيرة أرى خلالها شيرا، وأتحدث معها، ثم أغادر. عندها ستجعل طائرتك تنتظرني لتعيدني إلى هنا».

زمّ ريكو شفتيه بضيق، وعلّق: «تأكدي أن لا رغبة لي مطلقاً بإطالة

مدة زيارتك أكثر مما هو ضروري».

بالطبع هو لا يريد ذلك! شعرت ستاسيا بالغضب والبؤس معاً. هذا الأمر صعبٌ عليه تماماً كما هو صعب عليها. في الحقيقة هو لم يخفِ شعوره بأن زواجهما مجرد خطأ فادح، وأنها ليست المرأة التي يريدها بقربه بشكل دائم. حاولت أن تتجاهل الإحساس القوي بالألم الذي مزّق جسدها. مدّت يدها إلى مفاتيحها وحقيبة يدها. للحظة قصيرة مالت بعينيها نحو كتفيه العريضتين، اللتين تبدوان أكثر قوة وجمالاً في تلك البذلة الرائعة التصميم. هو يملك جسداً رائعاً، ومنذ اللمحة الأولى شعرت بالانبهار والإعجاب به، فهو رجل جذاب جداً. تذكرت ستاسيا بشرته البرونزية وعضلاته القوية، فهزت رأسها على الفور، في محاولة منها للتخلص من تلك الصور المحفورة في ذاكرتها.

وكأنما شعر ريكو بالتبدل المفاجئ الذي طرأ على أفكارها المضطربة، فاستدار والتقت عيونهما. سرى بينهما تيار من الأحاسيس القوية، ما ضاعف من قوة تلك الصور في مخيلتها. شعرت ستاسيا بنفسها تتقدم خطوة نحوه بنوع من الانجذاب القوي الذي مازال مسيطراً عليها. لبرهة قصيرة لمع شيء ما في عينيه السوداوين، ثم اختفى مرة واحدة ونهائية، ولم يبقَ إلا الجليد. توقفت ستاسيا عن التحرك، وكأنها تجمدت بسبب الكره الشديد الذي قرأته في تلك النظرة الباردة. تذكرت متأخرة جداً الدرسين اللذين تعلمتهما من زواجها بريكو كريسانتي: ذلك الانجذاب، مهما كان قوياً، يبقى ضعيفاً وهشاً لبناء علاقة متينة ودائمة؛ وحبها لرجل ما بكل خفقة من خفقات قلبها، لا يعني أنها ستعيش معه بسعادة حتى آخر العمر.

٢ - عودة إلى الجحيم

- تعرفين أين هي غرفة الحمام. تصرفي على سجيتك.

قال ريكو ذلك وهو ممدد على مقعد جلدي فاتح اللون، واضعاً جهاز الكومبيوتر بالقرب منه، وأوراقه مكدّسة حوله على المكتب. لم تتوقف مكالماته الهاتفية منذ لحظة صعودهما إلى الطائرة، وهذا أمر عادي. بالكاد نظر إليها منذ أن جلست وثبتت حزام المقعد حولها.

لم يتغير أي شيء! أغمضت ستاسيا عينيها، منزعجة من عدم اهتمامه بها، وغاضبة من نفسها لمجرد تفكيرها بهذا الأمر. هي حقاً لا تهتم. كل ما تشعر به هو الصدمة لرؤيته مجدداً. بالطبع هي تعلم أين تقع غرفة الحمام. إنها مجاورة لغرفة النوم التي حملها إليها مرةً، وهي تضحك مجنونة بحبه.

فتحت ستاسيا عينيها، وحدقت بالباب في آخر رواق الطائرة الفخمة. أمضت اثني عشر شهراً وهي تحاول نسيان ما حدث وتركه وراءها، فهل عبور هذا الباب سيقضي على التقدم البسيط الذي أحرزته مع نفسها خلال هذا الوقت؟ آه، تباً! إنها مجرد غرفة نوم عادية. حاولت أن تؤكد ذلك لنفسها، وهي تنهض واقفة. سارت بعزم وتصميم نحو آخر رواق الطائرة. شعرت بالسجاد السميك تحت قدميها وهي تسير. في مطلق الأحوال، هي ليست بحاجة إلى دخول غرفة النوم. ستعمل على تنظيف ثيابها من الطلاء، ليصبح مظهرها مرتباً كفاية لتواجه عائلته القاسية وغير الراضية عنها.

جمدت يدها على مقبض باب الغرفة عندما سمعت صوت ريكو وهو يتحدث عبر الهاتف مجدداً. عادت إلى ذهنها ذكرى لقائهما الأول. لطالما أحبت الاستماع إليه وهو يتكلم باللغة الإيطالية، بغض النظر عما

يقوله، حتى لو كان يقرأ الصفحات المالية والاقتصادية في الصحيفة. الاستماع إلى صوته يجعل أعصابها يقظة ومشدودة، ويجعل جسدها يرتعش. لطالما سخر منها ريكو بسبب ذلك، لكنها لم تكن تهتم. الاصغاء إلى ريكو وهو يتحدث باللغة الإيطالية، كان مغرياً جداً. لم ترغب ستاسيا في استعادة ذكرى تلك الأيام. فتحت باب جناح غرفة النوم، وحبست نفسها في غرفة الحمام الحديثة الطراز. هي لا تريد استعادة بداية علاقتهما. الطريقة الوحيدة للتمكن من تحمل الأيام القليلة القادمة، هي أن تتذكر الأسباب التي أدت إلى انتهائها. حدقت في المرآة، ولاحظت وجود بقعة من الطلاء فوق حاجبها الأيمن، فابتسمت باستياء. هي لا تبدو مطلقاً زوجة أحد كبار رجال الأعمال في العالم. ربما يكون هذا السبب الذي دفعها عملياً لإجراء معاملات الطلاق، فكرت بذلك بحزن وهي تغسل وجهها بالماء البارد لتزيل الطلاء، ولتخفف من توهج خديها. هي غير مناسبة له على الإطلاق!

لكن أليس هذا السبب الذي دفع ريكو للانجذاب إليها؟

في الحقيقة هي كانت مختلفة عن عارضات الأزياء والممثلات اللواتي كان يخرج برفقتهن. شعر ريكو بالانجذاب إليها لأنها مختلفة، لكن في نهاية الأمر، هذه الاختلافات كانت سبب ابتعادهما عن بعضهما البعض. مدّت يدها إلى المنشفة، وجففت وجهها، ثم نظرت إلى انعكاس صورتها في المرآة. ما الذي رآه ريكو فيها ذلك اليوم في روما؟ ما الذي جذبه إليها، ودفعه للاقتراب منها؟

راحت أفكارها تتقلب وتجول في الماضي، بالرغم من تصميمها على عدم التفكير بما حدث. يومها كانت تقف على سقالة، تعمل على لوحة جدارية تمّ التعاقد معها على رسمها على جدار قاعة الاستقبال في شركة كريسانتي. كالعادة، عندما ترسم ستاسيا أو تستخدم الطلاء، تنغمس بفنها حتى أبعد الحدود. ما إن انتهت من تحديد ملامح اللوحة الصعبة التي صممتها، حتى انتبهت أنّ هناك من يراقبها. نظرت إلى الأسفل، وكادت أن تفقد توازنها.

يبدو أن وجود الرجال المميزين أمر طبيعي في هذا البلد، أما هذا الرجل فهو أكثر الرجال وسامة وجاذبية بين من رأتهم في حياتها. من يراه يعرف على الفور أنه إيطالي الجنسية. لاحظت ستاسيا أن وسامته تحبس الأنفاس، أما عيناه السوداوان الثاقبتا النظرات فتتأملانها بإعجاب واضح.

- هل كل شيء على مايرام؟

بما أن لغتها الإيطالية سيئة جداً، فضلت ستاسيا الرد بالإنكليزية، متمنية أن يفهم ما قالته.

منذ أن بدأت برسم جدارية قاعة الاستقبال في مؤسسة كريسانتي العالمية، وعدد من الناس يتوقف لمراقبتها. لكنها لم تشعر مطلقاً بعدم الراحة أو بالانزعاج. في الواقع، بالكاد كانت تلاحظهم. لكن ما من امرأة تستطيع تجنب ملاحظة هذا الرجل الوسيم بشكل لا يُصدق. بذلت ستاسيا مجهوداً لمنع نفسها من إظهار الحماس والتعلق به، ماإن جالت عينها الفنية فوق هيكل جسده الرائع ووجهه القوي الوسيم.

لو كان بحوزتها قلم رصاص لرسمت وجهه على الفور. فكرت حينها باستغراب أن هذا سيكون عملاً عقيماً دون أي شك. لا يمكن لأي رسم مجسّد على ورقة أن يعكس قوة وسلطة الرجل الواقف أمامها. إنه يقف كإله يوناني مليء بالثقة والقوة، كما أنّ هناك شيئاً ما في نظرته الهادئة الثابتة جعلها متوترة بشكل لم تعهده من قبل.

لاحظت ستاسيا أنّ القاعة - على غيرعادتها في مثل هذا الوقت من النهار- مليئة بالناس. ألقت نظرة على مرافقيه، ولاحظت ضخامة بنيتهم من خلال المسافة الفاصلة بينهم وبينه. عندها أدركت من هو بالتحديد ذلك الرجل الذي يراقبها باهتمام. نزلت ستاسيا درجات السلم بسرعة، ثم مسحت راحة يدها بسروالها الجينز قبل أن تمدها قائلة: «أنا أناستاسيا سيلفر المصممة الفنية للإعلان. أنا من ربحت عقد رسم لوحتك الجدارية».

لوحتك الجدارية...

شعرت بالانكماش ما إن سمعت نفسها تتكلم. وكأنّ شخصاً في مركز ريكو كريسانتي يعلم أو يهتم من الذي يزين مبنى مكاتبه. لا شك أنه يترك تلك الأمور للموظفين، ويهتم هو بالأمور الهامة التي تضيف ملايين الدولارات إلى ثروته الهائلة.

أطبق ريكو يده على يدها، فكادت ستاسيا تشهق من القوة والسلطة الباديتين في تلك المصافحة. أدركت أنه نقل نظره إلى الجدارية التي ترسمها. تتبعت نظراته، ورأت فجأة انعكاس اللوحة في عينيه، فأصيبت بالرعب. إنها تفضل العمل على مشروعها بخصوصية أكبر حتى تنجزه، لكن في هذه الحالة، من المستحيل حدوث ذلك.

- ربما تظن أنّ اللوحة مخيفة. هي تبدو كذلك في هذه المرحلة، إذ من الصعب تخيلها مكتملة. أنا أقصد أنّ المهندس المعماري لديك وافق على رسوماتي وعلى الألوان التي اخترتها.

توقفت فجأة عن الكلام عندما أدركت أنّ انتباهه بات مركزاً على وجهها. منحها ريكو ابتسامة غير متوقعة وهو يتمتم: «هل أنت دائماً متوترة على هذا النحو؟ يدهشني أن تكوني قادرة على استخدام الفرشاة ببراعة. اهدئي آنسة سيلفر! أعجبني ما ترسمينه على جداري».

جداره؟!

جعل الأمر يبدو حميماً وشخصياً، وكأن الجدار جزء منه.

سحرتها ابتسامة ريكو الفاتنة، وشعرت بركبتيها ترتجفان وبخديها يتوردان من الاضطراب والتوتر. لم يعجبها شعورها الفاضح بالضعف، فعضت على شفتها، وتراجعت بضع خطوات إلى الوراء. فجأة، أدركت الفوضى التي تظهر عليها.

- أنا ملطخة بالطلاء. لابد أنني أبدو عديمة الترتيب وفي فوضى واضحة.

رفعت ستاسيا يدها تتلمس خديها المحمرين، هي تشعر بالانزعاج من نفسها لأنها تتصرف بحماقة، فلا تبدو هادئة وواثقة من نفسها. لا بد أن الرجل الواقف أمامها يدرك جيداً إن كانت المرأة أمامه قلقة على

مظهرها أم لا، لأنه واثق من خطوته معها وقد تمكن منها. أكد لها ريكو بصوت ناعم: «لا! أنت لا تبدين عديمة الترتيب، كما أنني أحب شعرك، ففيه الكثير من الظلال الذهبية والنحاسية معاً. إنه يذكرني بإنكلترا خلال فصل الخريف».

لاحظ ريكو مدى انزعاجها وتوترها، ولم يعجبه ذلك. جالت نظرات عينيه السوداوين فوق شعرها، كأنه مصمم على حفظ تفاصيل كل خصلة فيه، قبل أن يتابع: «بالطبع... باستثناء البقع البيضاء فيه».

شعرت ستاسيا بالحرارة تجتاح جسدها كله. رفعت أصابعها، وعبثت بخصل شعرها المتموجة وهي تقول: «سأزيلها بالغسيل».

رفع ريكو حاجبه مستغرباً وعلّق: «ألوان الذهب الخريفية؟ أتمنى ألا تفعلي».

- بل البقع البيضاء. أول ما أفعله في المساء هو إزالة الطلاء عن شعري.

تمتمت بذلك وهي تنظر حولها، متسائلة ماالذي سيفكر به أفراد «حاشيته» بشأن حوارهما السخيف. هزّ ريكو رأسه، وبدت نظرته فجأة فاحصة ومفكرة، قبل أن يقول: «يعجبني جداً! أرغب في رؤيتك دون تلك البقع البيضاء، آنسة سيلفر. ستتناولين العشاء معي الليلة».

طريقته الواثقة المتعجرفة أثارت حفيظة ذكائها، لكن جسدها بدأ يرتجف منذ الآن، وقبل حلول اللقاء المتوقع. قالت: «ربما أكون منشغلة».

مازالت غير قادرة على التصديق أنّ ريكو كريسانتي دعاها للخروج برفقته، مع ذلك تابعت تقول: «أنت واثق جداً من نفسك، أليس كذلك؟».

رفعت حاجبيها بسخرية وأردفت: «هل هذا إرث من أسلافك الرومانيين؟ هل ورثت عنهم تلك الحاجة الأساسية للسيطرة والاحتلال والسلب والاستيلاء على الغنائم؟».

- يتوقف هذا على ما سأحصل عليه.

ركز ريكو نظرته عليها بإعجاب واضح، وهو يتابع: «أنا لست رومانياً، آنسة سيلفر. أنا من صقلية، لدينا عادات وتقاليد مختلفة».

أخيراً أشاح ببصره عنها من دون أن ينتظر جوابها، وسار مبتعداً عن القاعة باتجاه المصعد، يتبعه حراسه على بعد مسافة واضحة خلفه.

حدقت ستاسيا فيه مذهولة، وقد لفها الصمت وعدم التصديق. ليس رومانياً، بل صقلياً! ريكو كريسانتي، واحد من أغنى الرجال وأكثرهم سلطة في العالم يريد تناول العشاء معها. للحظة غريبة متهورة شعرت بقلبها يقفز في صدرها. بعد ذلك فرض الواقع نفسه عليها. ماذا يريد منها رجل مثل ريكو كريسانتي؟ مقارنة مع النساء الأنيقات الثريات اللواتي يخرج برفقتهن عادة، هي مجرد فتاة بسيطة عادية جداً. شعرت بتوتر في كتفيها النحيلتين، وغدت مشدوهة من شدة وقاحته. لابد أنه افترض أنها ترغب بقضاء المساء معه. راودها إحساس مغرٍ، وتذكرت أنه لم يسألها أين تمكث، لذا من المحتمل ألا يحضر عند المساء، لكن إن فعل...؟!

صعدت ستاسيا من جديد إلى السقالة. حاولت أن تتابع عملها برسم مخطط الجدار، متجاهلة حقيقة أنّ تركيزها تشتت وأن يدها ترتجف، وغدت غير ثابتة في العمل. إن فعل... عليها أن تقول له بوضوح إنها لا تتناول العشاء مع غرباء.

عادت بأفكارها إلى الحاضر. استحمت بسرعة، ثم صففت شعرها الكثيف على شكل ضفيرة تركتها تتدلى بين كتفيها. صبت اهتمامها على الخزانة. فوجدت فيها مجموعة كبيرة من الثياب المميزة، ألاّ أنها ثياب رسمية لا تتناسب مع ذوقها. لكن في آخر المشجب وجدت فستاناً بسيطاً من الكتان ذا لون خوخي ناعم، يبدو بسيطاً جداً لكنه باهظ الثمن. شعرت باستياء وهي تنظر إلى الورقة الملصقة عليه. إنه فستان بعيد جداً عن طراز ثيابها الملونة، العادية، البسيطة التصميم. ارتدت الفستان، وألقت نظرة فاحصة على نفسها في المرآة لتتأكد من أنه مناسب لها. هي تبدو أنيقة ومترفة بهذا الثوب، كأنها باحثة عن الذهب

www.elromancia.com

فعلاً. عضت على شفتها محاولة إبعاد هذه الفكرة عن رأسها. فات الأوان لتبدأ بالقلق من جديد بشأن ما سيفكر بها أهله.

تركت ستاسيا غرفة الحمام المترفة، ثم سارت وهي ترفع ذقنها عالياً، وجلست من جديد في المقعد الجلدي الفاتح اللون. كان ريكو ما يزال يتحدث على الهاتف، عضت بشدة على أسنانها متذكرة كم مرة هددته برمي الهاتف عندما يكونان معاً. حدقت إلى الخارج من النافذة، وشعرت بالمرض فعلاً وهي تفكر باللقاء المنتظر بعد قليل.

لم ترَ ستاسيا شيرا منذ ذلك المساء المدّمر... منذ سنة...

مرت لحظة أو أكثر قبل أن تدرك أنّ ريكو انتهى من التحدث على الهاتف، وانتقل ليجلس على المقعد بجوارها. قال بنبرة هادئة وهو يمد يده إلى الشراب البارد الذي وضعته المضيفة أمامه: «آسف لأنني تركتك بمفردك طيلة ذلك الوقت. كانت هناك اتصالات يجب عليّ القيام بها. هذا الفستان يناسبك جداً».

فاجأها الإطراء غير المتوقع، وعندما لامست كتفه كتفها، كان عليها التحكم بردة فعلها، ومنع نفسها من القفز عن مقعدها. شعرت بالتوتر يسيطر عليها، وبدقات قلبها تتضاعف، وهي تتنشق رائحة عطره. فجأة شعرت أن كل ما فيها يشتاق إليه. ريكو هو قوتها ومصدر طاقتها. لمسة واحدة منه كافية لتملأ جسدها بالطاقة.

غضبت من نفسها، وتململت في مقعدها. ما هي مشكلتها؟ هل يُعقل أنها مازالت تشتاق إليه؟ هي تعلم أي نوع من الرجال هو. تعلم أنه لا يريدها في أي مكان آخر غير غرفة نومه. لم يحدث مرة خلال علاقتهما أن قال لها إنه يحبها، إذاً كيف استطاعت أن تخدع نفسها ولو لوقت قصير أنه قد يفعل؟ الطريقة التي يضمها بها وملامساته هما السبب في ذلك. اعترفت ستاسيا بيأس أنها لم تستطع التمييز بين لمسة رجل عاشق وآخر خبير بالعلاقات الغرامية.

اكتشفت في نهاية الأمر أنهما أمران مختلفان، لكن على حساب أحلامها ووجودها.

تحركت بحذر ما جعل ذراعيهما بعيدين عن بعضهما. نظرت إليه، وحاولت أن تقابل عدم اهتمامه بالمثل. قالت: «كلانا يعلم أنّ هذه الزيارة ليست اجتماعية».

تابعت ببرودة جعلت نبرة صوتها تشبه نبرة صوته: «أنا لا أتوقع أن تهتم بي، وبالتأكيد لا أتوقع أن أقاطعك عن عملك. أنا لم أفعل ذلك مطلقاً عندما كنا متزوجين، لأنني تقبلت أخيراً أنك متزوج من هاتفك النقّال. لِم عليّ توقع أي شيء مختلف الآن؟».

بالنسبة لريكو، العمل يأتي أولاً. رماها بنظرة باردة، وقال: «لا تضايقيني ستاسيا! أنا لست في مزاج جيد. ما دمنا لا نستطيع أن ننهي خلافاتنا في السرير، فهذا يعني أن لا داعي للشجار الآن».

ما إن ذكر كلمة سرير، حتى شعرت ستاسيا باضطراب في أعماقها، وبأعصابها تشتد كالأسلاك. التقت نظراتها بنظراته. لطالما اعتاد ريكو أن يعانقها كي تصمت، عندما يستبد بهما الغضب. لم يكن هناك ما يبدد غضبهما معاً إلا العلاقة الحميمة. إنه الأمر الوحيد الذي كانا يتشاركان به. لكن حتى في ذلك الحين كان كل منهما يتفوه بكلمات مختلفة عن الآخر؛ هي تقول له: «أحبك»، وهو يقول لها: «أريدك».

رفعت عينيها إليه قائلة: «أنا لا أحاول مضايقتك».

- بلى، أنتِ تضايقينني بكل نظرة من عينيك الخضراوين وبكل كلمة لا تتفوهين بها.

ضاقت نظرة عينيه ولمع شيء ما فيهما قبل أن يتابع: «المعلوماتك... لم تكن تلك الاتصالات الهاتفية بشأن العمل. الاتصال الأول كان مع جرّاح الأعصاب. أردت معرفة رأيه بشأن ما حدث لشيرا، لأعرف ما هي المضاعفات التي ستحصل بعد إجراء العملية الجراحية، وما الذي يمكننا القيام به للمساعدة. الاتصال الثاني كان مع صديقة شيرا، تلك التي كانت تمكث عندها أثناء وقوع الحادث. أما الاتصال الثالث فمع المستشفى في صقلية. من الطبيعي أن أعرف آخر المستجدات».

elromancia.com

- صقلية؟!

حدقت ستاسيا به مذعورة. في تلك اللحظة نسيت أفكارها المقلقة، فالكلمات التي تفوه بها ريكو سببت لها صدمة. سألته: «هل سنذهب إلى صقلية؟».

قطب ريكو جبينه، وأجاب: «أجل. إلى أين اعتقدت أننا ذاهبان».

- إلى روما... اعتقدت أننا سنذهب إلى روما.

رفعت يدها إلى عنقها، فشعرت بتسارع دقات قلبها تحت أصابعها. لدى ريكو مكاتب في كل مدن العالم، لكن المركز الرئيسي لشركة كريساتي هو في روما. هناك يمضي القسم الأكبر من وقته.

رفع ريكو كتفيه بلا مبالاة، وكأن عدم تفهمها لهذا الأمر لا قيمة له.

- افتراضك خاطىء. كانت شيرا في صقلية عندما تعرضت للحادث، لهذا نحن ذاهبان إلى هناك.

ستعود إلى المكان الذي ولدت فيه أحلامها، المكان الذي عاشت فيه بسعادة مطلقة. لابد أن ذلك سيكون أقسى عذاب يمكنها أن تتحمله. للحظة تساءلت إن كان قد خطط للأمر. هل يكرهها إلى هذه الدرجة حتى يسبب لها مثل هذا الألم؟

- لا أريد الذهاب إلى صقلية!

تفوهت ستاسيا بتلك الكلمات قبل أن تتمكن من منع نفسها. أغمضت عينيها وهي تلعن عدم قدرتها على السيطرة على تلك الميزة المتهورة في شخصيتها، التي تدفعها دائماً للبوح بمكنونات قلبها. إن كان ريكو يتعمّد أن يسبب لها الألم، فها هي قد أعطته الاحساس بالرضى لأنه نجح بذلك.

- لماذا؟ لماذا لا تريدين الذهاب إلى صقلية؟

بدت نبرة صوته قاسية كأنه يشعر بالضيق، وهذا أمر بعيد جداً عن الواقع. تابع قائلاً: «هل يعذبك ضميرك، ستاسيا؟ هل تتذكرين بداية علاقتنا، وكل تلك الكلمات التي قلتها وأنت لا تقصدينها... تلك الكلمات الفارغة عن الحب؟».

كلمات فارغة؟!

أدارت ستاسيا رأسها بعيداً عنه، هي تتساءل كيف يمكن لرجل بمثل ذكائه أن يكون أعمى إلى هذه الدرجة. الأسابيع التي أمضياها في صقلية معاً خلال شهر العسل كانت من أجمل الأوقات التي مرت في علاقتهما. يومها وضعت ثقتها بريكو بشكل مطلق. فتحت له قلبها من دون أي عائق أو حذر. أعطته كل شيء. لكنها الآن فقط تعرف كم كانت حمقاء... كم كانت ساذجة!

قال ريكو بمرارة: «ربما كان عليّ أن أحتجزك في صقلية، كي تكفّي عن ملاحقة رغبتك القاتلة في التغيير».

شهقت ستاسيا وهي تستدير باتجاهه. لمعت عيناها من الغضب والكره وهي تقول: «لم أكن أبداً خائنة».

صاح في وجهها: «وجدتك مع رجل في غرفتك، فهل تتوقعين مني أن أصدق أنك بريئة؟».

اتهامه جعلها تتراجع إلى الخلف مصدومة. مال ريكو نحوها، وزأر كإنسان بدائي وقد علا خديه تورد طفيف: «كنت زوجتي... لم تنتظري حتى تدافعي عن نفسك، ما جعلني أتأكد أنك مذنبة».

أعاق الغضب قدرتها على التنفس بشكل طبيعي، فقالت: «رأيت نظرة عينيك ريكو. بدوت بعيداً عن تقبل أي نقاش منطقي... ما كان يجدر بك أن تتهمني أصلاً!».

استدار ريكو نحوها كالحيوان الجريح وهو يقول: «يا إلهي! رأيته يعانقك... رأيته يعانق زوجتي».

نظرة واحدة جعلته يفترض أنه يملك كل الحقائق. إنه بدائي جداً ومتملك جداً لدرجة أنه لم يفكر للحظة في أنه قد يكون هناك تفسير آخر للمشهد الذي يراه أمامه. شعرت ستاسيا بالصدمة والرعب، حتى إنها وجدت نفسها غير قادرة على المواجهة والتفسير. في مكان ما في داخلها فكرت أن البريء لا يحتاج إلى الدفاع عن نفسه. انتظرت من شيرا أن تقول الحقيقة، لكن المراهقة ابتسمت ابتسامة صغيرة، وغادرت

www.elromancia.com

الغرفة، تاركةً ستاسيا في وضع يجعل من الاستحالة عليها قول الحقيقة. هل تخبره الحقيقة عن أخته؟ شعرت ستاسيا بالارتباك والألم والغضب معاً. في النهاية، غادرت معتقدة أنهما بحاجةٍ إلى بعض الوقت ليهدأا. غادرت عند منتصف الليل، ولم تأخذ معها إلا جواز سفرها. لكن بدلاً من أن يعتبر ريكو رحيلها فترة هدوء وتفكير، اعتبره اعترافاً مؤكداً بالذنب.

عندما هدأت ستاسيا إلى درجة كافية لتسيطر على كبريائها، قامت بالاتصال به، لكنه امتنع عن تلقي اتصالاتها. لم يكن ريكو قادراً على الإيمان بها، ولم تكن هي قادرة على مسامحته. هي تعلم أنها لا تستطيع العيش مع رجل مثله. تلك كانت الفرصة الأخيرة في زواج كان منذ البداية مليئاً بالضغوط والصعوبات. الاتصال التالي من قبله كان من خلال محاميه.

مدّت ستاسيا يديها إلى حزام المقعد. راحت يداها ترتجفان بقوة وهي تحاول نزعه. قطبّ ريكو جبينه وهو يراقبها قائلاً: «ماذا تفعلين بحق الجحيم؟».

- أريد الابتعاد عنك. أخطأت في القدوم معك. لاأستطيع أن أرى كيف يمكن لحضوري أن يساعد شيرا. أنا متأكدة أنّ آخر ما هي بحاجة إليه هو التوتر الذي سيسببه وجودي.

- لن تذهبي إلى أي مكان. سنهبط قريباً. أبقي الحزام مشدوداً حولك.

أطبقت أصابعه الطويلة القوية فوق أصابعها، مانعةً إياها من محاولة الوقوف ونزع الحزام عنها.

- أريد العودة إلى بلادي، وإلى أن أتمكن من العودة أريد البقاء في غرفة الحمام. لا أريد تنفس الهواء نفسه معك.

حاولت ستاسيا أن تحرر يديها من بين يديه، لكنه أمسك بهما بسهولة، فقوته تفوق قوتها إلى درجة مثيرة للضحك.

- ياإلهي! اهدئي...

- أريدك أن تطلب من القبطان أن يستدير بلعبتك المميزة هذه، ويعيدني إلى بلادي. أنا لا أريد الذهاب إلى أي مكان معك.

راحت ستاسيا تقاوم، لكنها لم تتمكن من تحرير نفسها من قبضته. ذكرها ريكو بنبرة حادة حاسمة: «لكنك وافقت على الذهاب إلى المستشفى».

استدارت ستاسيا نحوه وهي تشعر بالألم والعذاب، ما جعل صوتها يرتجف وهي تقول: «لزيارة أختكَ فقط، لكنني لن أوافق مطلقاً على سماع أي إهانة منك. تعرضت إلى ما يكفي من الإهانات من قبل عائلتك».

تنفس ريكو بقوةٍ. علمت ستاسيا من اللمعان الخطير في عينيه أنه يحاول بشدةٍ السيطرة على طباعه. تلك الطباع التي يتفاخر أنه قادر على السيطرة تماماً عليها... إلاّ حين يكون معها. إنه أشبه ببركانٍ خامدٍ، فهو يندفع فجأة بقوةٍ مرعبة. لكن طباعه لم تخفها يوماً. كانت في الواقع تشعر بالراحة لمعرفتها أن ريكو قادر على إظهار عاطفته حتى على شكل نوبة غضب.

- من الطبيعي أن نذهب إلى صقلية، لأن شيرا هناك.

رمقها ريكو بنظرة ملؤها نفاد الصبر والاشمئزاز معاً وهو يتابع: «على الرغم من تقييمك السيء لشخصيتي، في الواقع أنا أهتم كثيراً لعائلتي».

تجمدت ستاسيا في مكانها؛ حبه الكبير لعائلته هو جزء من ميراثه الصقلي، وهو الذي أعماه عن رؤية الحقيقة. ذلك الحب العميق لعائلته منعها من إخباره الحقيقة عن أخته. كيف تستطيع تبديد أوهامه وأحلامه؟

تمتمت: «لم أشك يوماً بحبك لعائلتك».

تساءلت، لماذا بحق السماء يتناقشان بهذا الأمر الآن بعد فوات الأوان. تابعت: «قلت إنك اتصلت بالمستشفى، فهل هناك أخبار جديدة؟».

نظرته إليها بدت مليئة بالاحتقار والبرودة، وقال: «لِم تسألين، وكلانا نعلم أنك لا تهتمين؟».

شهقت ستاسيا من جراء الصدمة. إنها تهتم، ولطالما فعلت، حتى عندما اتضح لها أنّ عائلته تعتقد أنه أقدم على غلطة كبرى بالزواج بها. التعليقات القليلة التي سمعتها - كقولهم إنها مهووسة بماله- أزعجتها كثيراً، وسرقت منها الشعور بالسعادة عندما كان ريكو يمطرها بهداياه. في النهاية توقفت عن ارتداء الجواهر التي كان يقدمها لها باستمرار، غير قادرة على التعامل مع نظرات الحقد الموجهة لها من أمه وشقيقته.

فجأة بدا لها من المهم أن توضح له الأمور على الأقل، فقالت: «بل أهتم، ريكو! وإن كنت حقاً تؤمن بما قلته، فهذا دليل على أنك لا تعرفني جيداً».

قالت ذلك بقسوة، جعلت عيناه تلمعان بشدة، وترمقانها بقسوة. قال بنبرة باردة: «اعترفت أنني لم أعرفك جيداً منذ وقت طويل، لكن لسوء حظي ليس قبل أن أتزوج بك. لو أنني عرفتك على حقيقتك لما دعوتك إلى منزلي، ولما حظيتِ بفرصة لتفسدي أختي. كنت تأخذينها إلى الملاهي الليلية، وأنتِ تعلمين أنني أعارض ذهابها إلى مثل تلك الأماكن، والله وحده يعلم علام شجعتها أيضاً».

تجمدت ستاسيا في مقعدها. اتهامه لها غير عادل وبعيد جداً عن الحقيقة. للحظة طويلةٍ بقيت تحدق فيه. كيف يمكنه أن يكون أقرب الناس إليها ومع ذلك يصدق...؟

- أنت مخطىء، ريكو.

عاهدت ستاسيا نفسها ألاّ تضيع أي ذرة من الطاقة في محاولة الدفاع عن نفسها، لكن إحساسها القوي بالحق والصدق لم يمكنها من البقاء صامتة. تابعت: «يوماً ما ستركع على ركبة واحدة لتتوسلني كي أسامحك».

قال ريكو بقسوة: «وفري على نفسك هذا الكلام».

ظهر الغضب والعداوة على ملامح وجهه وهو يكمل: «أمسكت بك

متلبسة، زوجتي الجميلة. اعترفي أنك كنتِ على خطأ، عندها ربما يمكننا المتابعة».

المتابعة؟! إلى أين؟

فجأة وخزت الدموع الحارة عينيها، فأشاحت ببصرها نحو النافذة، راغبة بشدة أن تستجمع قوتها قبل أن يلاحظ خيبة أملها ويأسها. هي ترفض أن تعطيه الاحساس بالرضى من خلال معرفته بأنه سبب لها الإزعاج، كما أنها صادقة بما فيه الكفاية لتعترف أنّ فشل علاقتهما لا يمكن أن يُعزى إلى تصرفات شقيقته. هل كانا حقاً زوجين؟ هل كان في علاقتهما ما هو أكثر من العلاقة الجسدية؟ ما كان يجب عليه أن يصدق تلك الأشياء عنها، أو يصدق أنها قادرة على القيام بالأمور التي اتهمت بها. أُجبرت ستاسيا على الاعتراف أنّ علاقتهما لم تكن متينة كما اعتقدت، فغرقت في مقعدها.

ترك ريكو يديها، وقال لها بغضب: «سنهبط في غضون عشر دقائق، وبعدها سنذهب مباشرة إلى المستشفى».

تنفست ستاسيا بعمق، وهي تقول لنفسها إن لا فائدة من الرجوع إلى الماضي. عليها أن تركز على الحاضر، فتنتهي من هذه الزيارة وتعود إلى بلادها. عليها أن تهدأ، وأن تبقي حوارهما ضمن الحاضر.

- كيف وقع لها الحادث؟

- كانت تمكث عند صديقة لها في المنطقة.

أراح ريكو رأسه على المقعد، ثم أغمض عينيه، كأنه بذلك سيجعل تذكر تلك التفاصيل المؤلمة أكثر سهولة. تابع: «ذهبتا للتنزه وهما تمتطيان حصانين. شيء ما أخاف حصانها وأجفله، فسقطت شيرا عن ظهره، ولم تكن تضع خوذتها».

أجفلت ستاسيا وهي تتخيل الحادث. للحظة، حدقت برموشه السوداء الكثيفة التي تلامس بشرته البرونزية وبالملامح المتناسقة في وجهه. بدا ريكو أكثر إنسانية وأكثر رحمة وهو مغمض العينين. بدا أقل رعباً وأكثر ضعفاً. إنه يشبه أكثر الرجل الذي أغرمت به...

وكأن ريكو شعر بوقع نظراتها، ففتح عينيه. أشاحت ستاسيا بنظرها على الفور، مذكرة نفسها أن ريكو كريسانتي لا علاقة له بأي ضعف. إنه يمثل كل ما هو قوي وقاس.

استدارت ستاسيا لتنظر إليه من جديد؛ هي بحاجة للتحدث معه، بحاجة لقول شيء ما. على عكسه تماماً، هي غير قادرة على إبقاء عواطفها محجوزة.

- مهما حدث بيننا ريكو، أريدك أن تعلم أنني آسفة لما جرى لشيرا. أنا آسفة حقاً! لابد أنّ هذا الأمر صعب جداً عليك... ألاّ تعرف ما بها، وأن تنتظر...

نظرت إليه بحذر، وللحظة اعتقدت أنها رأت ابتسامة تمر فوق شفتيه.

- هذه ليست من صفاتي الجيدة، كما تعلمين.

نظر ريكو إلى ساعته، ما إن سارت الطائرة على المدرج، وتوقفت. تابع يقول: «ها قد وصلنا. عليّ أن أحذركِ أنّ عائلتي كلها في المستشفى في الوقت الراهن. لا حاجة إلى القول إنّ وصولك صعب عليهم».

غدا التوتر سيد الموقف. تذكيره لها بأنّ عائلته تكرهها، جعل ستاسيا تشعر وكأنها اغتسلت بالمياه الباردة، وقضى على محاولتها بناء أي جسور بينهما. قالت له بقسوة: «أنتَ من طلب مني الحضور».

تنهد ريكو بصوتٍ عالٍ، ومرر أصابعه في شعره: «أعلم ذلك. لم يكن لدي أي خيار. شيرا سألت عنك، وهذا كافٍ بالنسبة لي».

حدّق بها بعينين قاسيتين محذرتين، وهو يتابع: «لكن عائلتي لا تشاركني هذا الرأي، لذا أطلب منكِ أن تُبقي آراءك لنفسك في هذه المناسبة».

بكلمات أخرى: لا يُسمح لها أن تتعدى حدودها. فجأة أدركت ستاسيا كم هو صعب عليه قدومها. أبعدها ريكو نهائياً عن حياته، ولم يعد لها وجود بالنسبة إليه، والآن أجبرته الظروف على دعوتها للعودة

من جديد، وهو يكرهها أكثر بسبب هذا الأمر. قالت له بنبرة ملؤها عزة النفس: «قد لا توافق عائلتك عليّ، لكن هذه مشكلتهم وليست مشكلتي. أنتَ من طلب مني القدوم إلى هنا، فلا تتوقع مني أن أبدل شخصيتي».

أطلق ريكو شتيمة قبل أن يقول: «أنا لا أطلب منكِ أن تبدلي شخصيتكِ! أريدك فقط أن تظهري بعض الاهتمام. إنهم جميعاً يشعرون بالتوتر بسبب حالة شيرا، وهم ليسوا بحاجة إلى المزيد من الضغط».

فكرت ستاسيا بحزن: لن يكون ذلك اللقاء سعيداً أو عادياً!

نزعت حزام المقعد عنها، وتبعته إلى مقدمة الطائرة ليغادرا.

www.elromancia.com

٣ - في المستشفى

انتقلا من المطار إلى المستشفى دون أن يتبادلا كلمة أخرى. مرة أخرى انشغل ريكو بهاتفه النقّال، تاركاً يديه الرشيقتين تتحركان بثقة وتأكيد صامتين، وهو يتحدث باللغة الإيطالية. في المقعد الأمامي، جلس سائقه وحارسه الشخصي بصمت خذر. علمت ستاسيا - من دون أن تنظر إلى الوراء - أنّ سيارة أخرى فيها المزيد من الحراس التابعين لريكو تحركت وراءهما على الفور. مركز ريكو كرجل أعمال ثري يفرض عليه التصرف بحذر دائم. اعتادت ستاسيا على وجود مرافقين لهما خلال فترة تعارفهما السريعة والأشهر الستة لزواجهما، حتى إنها كانت تستمتع بالقيام بأمور مبالغ فيها، وهي تعلم أنّ هناك من يراقبهما طوال الوقت تقريباً.

تفاجأت عندما تجنبا المدخل الكبير للمستشفى الحديث البناء. قاد السائق السيارة عبر عدد من الشوارع الجانبية قبل أن يقف أمام طريق فرعي ضيق، حيث رأت درجاً هو عبارة عن مخرج للحرائق.

- لماذا ندخل من هنا؟

- لأن المداخل الرئيسية للمستشفى مليئة بالصحفيين.

قال ريكو ذلك، فيما بدا الضيق على وجهه الوسيم. حثّ خطاه، وهو يقودها عبر الممر الضيق متابعاً: «هذا الطريق يقودنا إلى قسم العناية المركزة. حتى الآن يبدو أنّ الصحافة لم تكتشفه».

ما إن أصبحا بأمان داخل المستشفى، حتى سار بخطى واسعة عبر الممر، ليتوقف خارج الغرفة المقصودة، فيما طبع التوتر آثاره على ملامح وجهه البرونزي.

- انتظري هنا.

وقفت ستاسيا عند مدخل قسم العناية المركزة، فيما راح قلبها يدق بعنف داخل صدرها. فكرة رؤية عائلته تجعلها تشهق طلباً للمزيد من الهواء! عندما ظهر ريكو من جديد إلى جانبها، أعلن أنه سيأخذها مباشرة إلى شيرا، فشعرت بإحساس خفيف بالراحة، لأنّ المواجهة المحتمة مع عائلته تأجلت.

استلقت الفتاة المصابة بلا حراك. بدا لون وجهها الشاحب أشبه بلون أغطيتها، وظهر جرح كبير على جانب وجهها. بالقرب منها وضعت آلات حديثة الطراز تصدر أصواتاً مستمرة، تسجل وضعها الصحي بدقة. شعرت ستاسيا بالألم لمجرد رؤية تلك الآلات الطبية المخيفة. وصف ريكو المختصر لوضع أخته وجراحها لم يحضّرها لهذا الواقع المرعب أو لرؤية إصابتها الخطيرة تلك. فجأة أدركت كم هو قوي. إنه يعيش كابوساً فعلياً، ومع ذلك مازال قادراً على العمل؛ على إدارة شركته، على مساندة عائلته، وعلى الذهاب والبحث عنها، مع أن ذلك آخر عمل يرغب في القيام به. شعرت بالدموع الحارة تملأ عينيها. حتى الآن مازال ريكو غير قادر على إظهار عواطفه. هو يبدو متعباً ومتوتراً، مع ذلك لا يستطيع التحدث عما يشعر به. هذا أحد الأمور التي كانت موضع خلاف بينهما. كم هو عدد المرات التي انتظرت فيها أن تسمعه يقول إنه يحبها، لكنه لم يقل تلك الكلمات مطلقاً! هي تعلم الآن أنه لم يحبها أبداً؛ كان يشعر بالانجذاب إليها فقط، والآن بات يشعر بالاشمئزاز منها.

شعرت ستاسيا بالواقع المرير لوضعها الحالي يغمرها، فانهمرت الدموع من عينيها، وبدأت ساقاها بالارتجاف. لم تنتبه إلى أنها أصدرت صوتاً ما، لكن لا بد أنها فعلت، لأنها سمعت ريكو يتمتم شيئاً ما. في اللحظة التالية أصبح بجانبها، واضعاً يده القوية على كتفها. قطب جبينه، وبدا متجهماً وهو يقول: «أنتِ شاحبة جداً. هل تشعرين أنكِ لست بخير؟ الطقس حار جداً هنا. كان عليّ تحذيرك».

www.elromancia.com

حاولت ستاسيا جاهدة التخلص من دموعها. تساءلت كيف يعقل أن يبقى لديها دموع؟ خلال السنة الماضية بكت حتى جفت دموعها بسبب الحزن على موت علاقتهما وموت أحلامها أيضاً. ليس عليها في الواقع أن تفكر بهذه الأمور الآن، لكن هناك شيء ما في الجو البارد المعقم في المستشفى يجعلها تشعر بالعزلة والوحدة أكثر من ذي قبل، ويجعلها تدرك أن الحياة هشة وسريعة الزوال. شعرت بالدموع المالحة على شفتيها، فمسحتها بظاهر يدها وهي تقول: «أنا آسفة».

قال ريكو بنبرة قاسية ومليئة بالاتهام: «لا داعي لذلك. المستشفيات ليست مكاناً مريحاً حتى في أفضل الأوقات».

توقف عن الكلام، ودفعها بلطف نحو أقرب كرسي. جلست ستاسيا عليه بامتنان، ونظرت بحزن ويأس إلى شيرا. بقيت الفتاة هادئة، غير واعية لشيء مما يجري حولها.

تنهد ريكو، وجلس على الكرسي المجاور لها قائلاً: «لا تسير حياتنا بالطريقة التي نتوقعها. أليس كذلك؟».

سمعت ستاسيا في حنايا صوته شيئاً من العاطفة، اعتقدت أنها لن تسمعه مطلقاً. ظهر التوتر بوضوح على ملامحه الغاضبة، وهو يمسك باليد العاجزة لأخته. للحظة بقيَ صامتاً، كأنه يحث نفسه على الكلام. تنفس بعمق، وركز نظره على وجه شقيقته وهو يقول: «ستاسيا هنا».

عادت السيطرة الكاملة إلى طباعه، وتخلى عن كل أثر للعاطفة. للحظة تساءلت ستاسيا إن كانت قد تخيلت ذلك فقط. أخذ ريكو يتحدث بلطف وبسرعة بالإيطالية، وهو لا يزال ممسكاً بيد شيرا، كأنه يتمنى لو أن باستطاعته أن ينقل بعضاً من قوته الحيوية إلى الفتاة المصابة. جلست ستاسيا بهدوء وصمت، حابسة دموعها في أعماقها، محدقة بالفتاة التي لم تجعل كرهها لها سراً على أحد. بدا لها من المستحيل أن تصدق أن هذه هي الفتاة نفسها... في وضعها الحالي من الغيبوبة، بدت شيرا فاقدة لكل أساليب الهجوم والمراوغة التي تملكها. بدلاً من ذلك بدت مراهقة شابة صغيرة وضعيفة جداً، شعرت

ستاسيا أن ضيقها وغضبها منها يذوبان ويتبخران. رفع ريكو رأسه، ونظر إليها. قال: «يعتقد الأطباء أنها قد تشعر بتحسن إن سمعت صوتك. إن استطعت قول شيء ما... تحدثي إليها».

نظرت ستاسيا إليه بيأس. هذا أمر صعب للغاية. إنها ترغب في المساعدة، لكن كيف يفترض بها أن تفعل ذلك، بحق السماء؟ هل تحدثها عن الماضي؟ هذا أمر مستبعد. ما تشاركتا به هو العداوة والشجار فقط، لا سيما من جانب شيرا. عاملتها شيرا كعدوة لها منذ اليوم الذي تزوجت فيه بريكو.

أدركت أن ريكو يراقبها مترقباً ومنتظراً لما ستقوله. مالت ستاسيا إلى الأمام، والتصقت بالسرير، وهي تشعر بذاتها أكثر مما شعرت بها في حياتها كلها من قبل. بدأت بالقول وهي تحاول جاهدة أن تجعل صوتها هادئاً وعادياً: «مرحباً شيرا! أنا ستاسيا».

توقفت عن الكلام للحظة، متوقعة أن تقفز شيرا عن السرير، لتهشمها على خدها. لكن الفتاة لم تتحرك. تمنت فجأة لو أن ريكو يخرج من الغرفة، ويتركها بمفردها. لكن لا مجال لحدوث ذلك بالطبع، فهو يعتقد أنّ لها تأثيراً سيئاً على أخته الصغرى، لذا لن يتركها بمفردها معها.

- ماالذي فعلته بنفسك؟ لماذا لم ترتدي قبعتك؟ هل كان هناك شاب فاتن في الجوار يراقبك، ولم ترغبي في إخفاء شعرك؟

لاحظت كيف قطب ريكو جبينه، لكنها تجاهلته. إن كانت ستتحدث مع شيرا، فسوف تتحدث بأمور تثير انتباه الفتاة، أمور تعكس شخصيتها. من الطبيعي أن تتخلى فتاة لعوب مثل شيرا عن القبعة الحديدية إن كان هناك من يراقبها. ترددت ستاسيا للحظة، ثم لمست كتف شيرا بنعومة وهي تتابع: «الجميع هنا قلقون عليك، حتى إنّ أخيك تغيب عن عمله. هذا يخبرك كم الوضع سيء هنا. هل تتذكرين أنه توقف عن العمل يوماً؟ إن أردت ألا تنهار مؤسسة كريسانتي، عليكِ أن تستيقظي من غيبوبتك هذه».

استمرت في التحدث بكلام ناعم ولطيف، فراحت تثرثر عن كل شيء ولاشيء بالتحديد، حتى أوقفها أخيراً ريكو بحركة مفاجئة، كأنه لم يعد يحتمل المزيد.

- هذا يكفي لليوم. تأخر الوقت، وأنتِ بحاجة إلى بعض الراحة.

مرر أصابعه الطويلة في شعره، وبدت نبرة صوته قاسية، وكأن التوتر قضى على كل ما لديه من صبر. لم ترغب ستاسيا في ترك الفتاة المصابة، بل أرادت البقاء قرب سريرها. لعل أمامها فرصة في تبديل الوضع الحالي. قالت: «أفضل البقاء».

- تبدين مرهقة جداً.

بدا كأن ريكو يسحب الكلمات بالقوة من فمه، وكأنه خائف من أن تسيء فهمه، فتظنه مهتماً بها. آه...! لا أمل مطلقاً بذلك، فهي تعلم تماماً ما الذي يشعر به نحوها، وتعلم أيضاً أن حبه لأخته وخوفه عليها هما ما دفعاه للاتصال بشخص يحمل له كل هذا الكره والازدراء. قالت: «كان يومي مليئاً بالضغوطات».

بدا لها صوتها ضعيفاً، وأدركت فجأة أنه على حق. هي مرهقة جداً لأنها أمضت النهار وهي ترسم من دون توقف، محاولة أن تنسى مشاكلها في العمل. قال ريكو بنبرة صوت ثقيلة: «أنت لم تتغيري. ما زلتِ مهووسة بعملك. هل تدركين أنكِ فعلاً لا تتحدثين عن أي شيء آخر غير الرسم؟».

تمكنت ستاسيا من الابتسام بسخرية، لأن هذا دون شك ما توقعه منها. أجابت بنبرة جافة: «هذا الاستحواذ المفرط تعلمته منك».

لم يبادلها ريكو الابتسام، بل قال: «مازلتِ تتكلمين كثيراً».

غابت ابتسامة ستاسيا ما إن ذكّرها بماضيها الحلو المر. لطالما كان ريكو يغازلها ويسخر منها بشأن ذلك، فيقول إنها قادرة على التحدث طوال الوقت.

- اعتقدت أنك تريدني أن أتحدث.

سار نحو طرف السرير، كأنه بحاجة إلى وضع مسافة بينهما. قال:

«هذا صحيح. لكن هذا يكفي لليلة. مر هذا اليوم بصعوبة على كلينا».

التقت نظراته بنظراتها. أدركت ستاسيا على الفور مدى صعوبة الظرف الذي يمر به. تابع يقول: «سأطلب من أحدهم أن يأتي لاصطحابكِ إلى المنزل».

ابتلعت غصة كادت تخنقها، وتساءلت إن كان يدرك فعلاً ما يقول.

- لا تحاول التصرف بلطف وحنان ريكو. ذلك المنزل لم يعد منزلي منذ زمن بعيد. كلانا نعلم ذلك جيداً.

لا تريد ستاسيا البقاء في هذا المكان أكثر من الوقت الضروري. وجودها بالقرب من ريكو يمزقها إرباً. إنها تريد الارتماء على صدره الواسع وغرز أظافرها في جلده، حتى يتوسل إليها أن تسامحه، لأنه ببساطة رمى بكل ما تشاركا به دون أن يحاول حمايته وبقوة. تريده أن يشرح لها لماذا لم يأتِ في أثرها، ولماذا تركها ترحل... التقت عيناه بعينيها، ثم تمتم شيئاً ما باللغة الإيطالية وضغط بقوة على قبضته.

- للمرة الأخيرة أقول لكِ، مازلنا متزوجين.

إن كانت بحاجة إلى ما يذكرها أن نظرتها إلى هذه المؤسسة المميزة مختلفة عن نظرته، فهذا دليل جديد.

- أريد الذهاب إلى فندق.

- لا! لا مجال لذلك.

- ريكو!

- أريدك في الفيلا حتى تستيقظ شيرا من غيبوبتها. هكذا أعلم أين أنت، وبعد ذلك...

رفع كتفيه بلا اهتمام، وأكمل: «...ستكونين حرة في الذهاب إلى حيث تشائين».

عاشت ستاسيا من جديد ذلك الإحساس القوي المألوف لديها بالاحباط بعد الشجار مع ريكو. كالعادة هو يملي أوامره عليها. ما من مجال أمامه للاكتراث لرأيها أو التفكير بما تريده. هو معتاد على إصدار الأوامر فقط، وعلى من يتعامل معه إطاعته دون اعتراض. أرجعت

www.elromancia.com

رأسها إلى الوراء، فتحرك شعرها كالنار على ظهرها النحيل. قالت له بصوتٍ قاسٍ وحازم: «بإمكاني اتخاذ قراراتي بنفسي ريكو. لست واحدة من موظفيك».

علّق ببرودة: «لا! أنتِ زوجتي، ومن الأفضل لكِ أن تتذكري ذلك».

شهقت وهي تقول: «هذا ليس الوقت المناسب لتمارس جنونك بالتملك كصقلي عليّ».

توقفت عن الكلام، ما إن رأت النظرة المحذرة في عينيه السوداوين اللامعتين. علمت فجأة أنه يشعر بالضغط الذي تشعر به. لو لم تكن غاضبة وممزقة من البؤس والحزن، لابتسمت. بعد كل الاتهامات التي رماها بها، والأشياء التي صدقها عنها، لابد أنّ شعوره بالانجذاب نحوها يضايقه. بالنسبة إلى رجل معتاد على السيطرة على كل ما هو حوله، من الصعب عليه أن يجد نفسه غير قادرٍ على السيطرة على شعوره هذا. لكنها لا تشعر بأي رغبة بالابتسام. هي تشعر برغبة في الصراخ أو البكاء، أو حتى بضربه.

- ريكو!

أغمض عينيه للحظة، كأنه يستعيد النظام الخاص الذي يطبقه على نفسه. هذا هو ريكو الذي تعرفه. قال ببرودة: «إن كانت لديكِ التزامات في العمل، بإمكانك الاتصال هاتفياً وتأجيلها. افعلي ما تشائين، لكنك ستمكثين في الفيلا!».

لم تعد ستاسيا تملك الطاقة الكافية لتتشاجر معه. وكأن ريكو تأكد أنها غير قادرة على مقاومته أكثر من ذلك، حدّق في وجهها للحظات طويلة، ثم هزّ رأسه، وقال: «سأطلب من جيو أن يوصلكِ إلى الفيلا».

الفيلا! حيث أمضيا الكثير من الوقت معاً، وكانا سعيدين للغاية. هي لا تستطيع أن تصدقَ فعلاً أنه يريدها أن تمكثَ هناك. من المؤكد أنّ ذلك سيضاعف من عذابهما معاً. أتراه لا يكترث لها بقدر ما تفعل هي.

رفعت كتفيها وقالت: «ماذا عنك، أنتَ أيضاً بحاجةٍ إلى النوم».

لم تسأل ستاسيا نفسها لماذا تقلق عليه بعد كل ما حدث. ريكو كريساتي لا يحتاج إلى أي تعاطفٍ من الآخرين. هو يفضل أن ينظر إليه الجميع كشخص قوي لا يلين. رمقها بنظرة واثقة، كما لو أنه يمنع نفسه من الشعور بأي إحساس أو عاطفة، وقال: «أنا أفضل البقاء في المستشفى. عليّ إجراء بعض الاتصالات».

انكمش شيء ما في داخلها، ما إن فهمت الكلمات القاسية التي تفوه بها. لهذا السبب إذاً سيرسلها إلى الفيلا. هو لا يريد الذهاب إلى هناك أو مشاركتها أي شيء. معرفة ذلك جعلتها تشعر بالألم والشوق، وأشاحت ببصرها عنه، متخلية عن أي أمل بالاتصال به. هو لا يريد أن يعترف بما يشعر به من عاطفة نحوها.

* * *

مرت أربع ساعات...

جلس ريكو مرهقاً على كرسي غير مريح في الغرفة المخصصة للعائلة والأقارب، تلك الغرفة التي أصبح يكرهها خلال الأسابيع القليلة الماضية. أخيراً قرر أن المكوث في الفيلا أكثر راحة من غرفة الانتظار هذه المليئة بأقاربه المرهقين. لم يطرأ أي تبدل على حالة شيرا. أصرت أمّه وجدته على البقاء في المستشفى، أما الصحفيون فما زالوا رابضين في الخارج كالذئاب بانتظار خبر أو قصة ما.

لماذا أرسل ستاسيا إلى الفيلا... إلى المكان الوحيد الذي يقدم لها الملاذ الآمن من هذا التوتر؟ أي جنون تملكه ليفعل ذلك؟ لماذا لا يستطيع إبعادها عن تفكيره، في حين أنه يحتقرها من أعماق روحه؟ عليه أن يشغل تفكيره بشقيقته فقط، ويتوقف عن التفكير بالمرأة الوحيدة التي كادت تحطم حياته. ضغط ريكو بقوة على قبضتيه. من دون أن يطرح المزيد من الاسئلة على نفسه، نظر إلى حارسه الشخصي الواقف عند الباب، وأعطاه التعليمات ليحضر السيارة لتقله إلى الفيلا.

ارتمى ريكو مرهقاً على المقعد الخلفي للسيارة. اعترف لنفسه أنّ

السبب الذي دفعه لإرسالها إلى الفيلا، هو أنه لا يثق بها. ربما ستسافر إن تركها تذهب إلى الفندق. من الواضح أنها لا تريد التواجد هنا. عندما أصبحت الحياة صعبة بينهما، أثبتت له ستاسيا أنها ستكون أكثر سعادة بالرحيل بعيداً عنه. كان رحيلها صعباً للغاية، لا سيما بعد أن لاحظ ريكو أنها تتودد إلى الشبان الذين بالكاد تخطوا سن المراهقة. شعر بالغيرة تجتاحه، فضغط على أسنانه ما إن تفجر الألم القوي في أعماقه. ربما كانت على حق عندما رحلت، لأنه في ذلك الوقت أراد أن يدق عنقها بيديه الاثنتين، إلاّ أن رحيلها أكد له أنها مذنبة.

دخل إلى الفيلا وهو يسير بخطىً واسعة، فيما بدت كل عضلةٍ في جسده متوترة ومستعدة للقتال. لم يجد ريكو أي أثر لستاسيا، فافترض أنها نائمة. بدت شاحبة ومرهقة جداً عندما أبعدها عن المستشفى في وقت متأخر جداً. تساءل بحزن وغضب، هل سبب ذلك رؤيتها لشيرا أم رؤيته هو؟ هل بدأ ضميرها بتأنيبها أخيراً؟

صرف الموظفين وسكب لنفسه شراباً وهو يبتسم، معترفاً في سره بضعف الرجال. حتى بعد معرفته بخداعها له وبما هي قادرة عليه، فهو لا يزال يحس بالشوق إليها. كم علّم نفسه أن يكرهها، مع ذلك هو مازال يريدها بإحساس من اليأس البدائي. هذا برهان أكيد على أن علاقتهما بعيدة عن المنطق والعقلانية، وهي عبارة عن انجذاب حسي لا أكثر. فكر بذلك وهو يحمل كوبه إلى الشرفة، ويقف هناك للحظة محدقاً بالبحر. ستاسيا تسري في دمه. أعجبه ذلك أم لا. طلاقهما لن يغير شيئاً في حقيقة الأمر، لذا كلما تعلّم أن يعيش مع تلك الحقيقة، كلما كان ذلك أفضل لكليهما. قال مؤكداً لنفسه إن ما يحدث له هو ردة فعل على الوضع الحالي المتوتر. هو يبحث عن أي عذر للتخلص من الطاقة التي تملؤه ضغطاً وتوتراً، وفي هذه اللحظة بالذات، وصل هذا التوتر في حياته إلى حد الانفجار. عادت أفكاره إلى شقيقته. شعر بكتفيه تترنحان من ثقل الهموم، وعلت ملامح وجهه الحيرة والحزن. كما أن الإجهاد بدأ يظهر بوضوح عليه. حدق ببركة السباحة الكبيرة

التي تقع مباشرة تحت الشرفة، وتساءل إن كان أي شكل مختلف من الإجهاد قد يخلصه من بعض التوتر والضغط...

في وقت لاحق، قرر ريكو وهو يعود إلى الداخل أن يستلقي على أحد المقاعد البيضاء الطويلة، التي وضعت في مكان يجعلها تطل على البركة والبحر معاً. وعده الأطباء أن يتصلوا به إن كان هناك أي تغيير في وضع شقيقته، أما في الوقت الراهن فلديه بعض الاتصالات الهامة التي عليه إجراؤها. هو يدرك بوضوح كلي أنّ فريق عمله يقوم بمجهود كبير كي لا يضطر إلى الاعتماد عليه في كل صغيرة وكبيرة، لكنه يدرك أيضاً أنّ إمبراطورية أعماله المعقدة لا يمكن أن تعمل من تلقاء نفسها.

أنهى ريكو شرابه، ثم اتصل بمديره المالي، الذي يعمل على حل الخلافات الناشئة في مكتبه في نيويورك. أنهى المكالمة بعد مرور ساعة من الوقت. أمسك بطبق من اللحم البارد وضعته الخادمة أمامه في وقت سابق. تناول الطعام دون أن يلاحظ ما الذي يأكله، فيما رأسه مدفون في كومة من الأوراق أرسلها مساعده الشخصي من المكتب. راح يتوقف من وقت إلى آخر ليدوّن بعض الملاحظات أو ليجري اتصالاً هاتفياً، وبقي على هذه الحال حتى منتصف الليل. أخيراً وضع الأوراق جانباً على الطاولة، وتراجع إلى الوراء، ثم أغمض عينيه. بدت فكرة السباحة أكثر إغواء الآن، فنهض على الفور برشاقة، وبدأ يخلع ثيابه وهو سائر نحو البركة. لفت نظره لمعان المياه الزرقاء تحت صف الأضواء الصغيرة المشعة عبر البركة كلها. غطس في المياه الباردة، ثم ظهر على سطح المياه، وسبح إلى الجانب الآخر بضربات قوية من ذراعيه. شعر بطاقة كبيرة تسري في جسده بسبب المياه والحركة الرشيقة السريعة. في تلك اللحظات فقط شعر أنه بات قادراً على إبعاد نفسه عن وضعه الحالي...

شعر ريكو بوجود ستاسيا قبل أن يراها. لا بد أنها في مكان قريب! شيء ما تبدل في الجو، شيء رقيق جداً لا يمكن لأي شخص آخر أن يشعر به. لطالما كان الإحساس المشترك والقوي بينهما جزءاً من

علاقتهما الرائعة. حتى في غرفة مليئة بالناس، كان ريكو قادراً على الإحساس بحضورها، وهو يعلم أن هذا هو شعورها بالذات. صعد إلى سطح الماء، ومرر يده السمراء على وجهه ليمسح المياه عن عينيه، فرآها تقف على حافة البركة. بدت رقيقة ونحيلة كغزالة رائعة. شعرها الناري الجميل يتدلى بنعومة فوق قميص حريرية بيضاء اللون. إنها إحدى قمصانه!

- أتسرقين ثيابي، ستاسيا؟

تحدث ريكو معها بالإيطالية من دون تفكير، فسمع شهقتها على الفور، ولاحظ الارتجاف في أوصالها. بالرغم من أنها لم تكن يوماً واثقة من مهارتها في التحدث بلغة بلاده، أجابت ستاسيا بالإيطالية بصوت دافىء ومتردد: «لم أتوقع البقاء هنا... لم أحمل معي أياً من ثيابي».

قال باللغة الإنكليزية: «لطالما كنت تسرقين قمصاني».

لطالما فكر ريكو أنها تملك موهبة تحويل ما هو عادي إلى غير عادي ومميز، كعقد الوشاح بطرق متعددة، أو استخدام ألوان لا يجرؤ أحد غيرها على ارتدائها معاً. نظرتها الفنية واضحة وظاهرة في كل شيء تلمسه، أما شعرها - تلك الكتلة النارية الملفتة من النار واللهب التي تعكس طبيعتها العاصفة- فهو كفيل بجعل أي رجل يفقد عقله من أجلها.

رفعت ستاسيا كتفيها بخفة لا يمكن ملاحظتها، وأجابت: «لديك ذوق رفيع في اختيار قمصانك. لم أعتقد أنك ستأتي إلى الفيلا... سمعت صوت أحدهم في البركة».

بدت نبرة صوتها متكاسلة، كأنها استيقظت للتو. حتى وهو في المياه الباردة، شعر ريكو بالاستجابة لصوتها الحالم المميز. اعتاد ريكو إيقاظها في الليل ليمرحا معاً، أما هي فكانت تضحك بنعومة وتغازله بنبرة متكاسلة حالمة. رفع جسمه ليخرج من البركة بحركة رشيقة وسريعة، فيما راحت عيناه تلمعان بشدة. حدق بها، ورأى أنها تبتلع

غصة في حلقها لرؤيته. قرأ الشوق الكبير في نظرتها قبل أن تخفيها بحركة سريعة من جفونها السوداء الطويلة. سيطرت عليه الرغبة بالاستجابة لذلك الشوق في عينيها، فشتم نفسه لعدم قدرته على الشعور باللامبالاة تجاه هذه المرأة. بدا له كأن جسده خارج سيطرته. هذا ما حدث له بالطبع، منذ اللحظة التي التقيا بها؛ أصبح ريكو تحت سيطرتها تماماً. أصبح ضعيفاً مثل كل الرجال الذين يضعفون أمام النساء، أما هو فضعفه الوحيد هو ستاسيا.

لفّ المنشفة حول جسده، وقال: «عليّ القيام ببعض الاتصالات الهاتفية، فلدي الكثير من الأعمال، وأنا بحاجة إلى فرصة للابتعاد عن المستشفى».

بالنسبة لريكو، الأهم هو الابتعاد عن أقاربه! فكر بذلك باستياء. هو غير قادر على الاعتراف بذلك أمام ستاسيا، لكن من الواضح أنها تعلم دائماً بما يفكر به. بإمكانه إدراك ذلك من خلال نظرة عينيها الخضراوين. هاتان العينان الخبيرتان اللتان تلمعان بسحر أخاذ، يجعلها قادرة على السيطرة على الرجل، ويجعله يحترق من شوقه إليها. أحس كلاهما بوطأة الصمت والتوتر الذي ساد بينهما. للحظة تمنى ريكو لو أنه فعل ما طلبته منه وأرسلها إلى الفندق، إلى أي مكان، مادامت ستكون بعيدة عنه. رؤيته لها وهي ترتدي قميصه في منزله، تجعله يشعر بحميمية لم تعد موجودة بينهما. عليه دائماً أن يذكر نفسه أنها لم تعد ملكه، وأنه لا يحق له أن يحس بتلك المشاعر، أو أن يفكر بالتملك الذي يسيطر على عقله الواعي والمنطقي ويطبق عليه كقبضة من حديد. هو يعلم أنها تفكر به وتتوق إليه أيضاً، وهذا الأمر لا يساعده أبداً. أدرك ذلك من خلال فمها الناعم، الذي يتكور عندما تتوقع عناقه، والتماع عينيها الخضراوين اللتين تجذبانه إليها.

قال بقسوة وبنبرة أقسى مما يرغب: «توقفي عن النظر إليّ هكذا، توقفي! نظراتك تقول إنك تتوقين إلي، بينما كلانا يعلم أنكِ ستلاحقين أي رجل متوفر، ما إن تسنح لك الفرصة».

فقَدَ وجه ستاسيا الجميل لونه. قالت وهي تشهق: «كيف يمكنك أن تقول لي مثل هذا الكلام!».

هل هي بريئة؟ هل أخطأ في الحكم عليها؟ برزت تلك الكلمات في ذهن ريكو وهو ينظر إليها، مع أنه يعلم أن أي كلمة من تلك الكلمات لا تنطبق عليها. هي ليست بريئة! رآها بعينيه في سريرهما مع رجل آخر.

ضغط ريكو على أسنانه وهو يقول: «لأن هذه هي الحقيقة».

ستاسيا تحاول أن تجعله يشعر بالذنب، مع العِلم أنه ما من سبب يدعوه لذلك. ألم يضبطها متلبسة؟ ألم تكن تملأ أيامها باللهو والعبث بينما هو يعمل، وتمضي أمسياتها في الملاهي الليلية مصطحبة معها شقيقته اليافعة السريعة التأثر؟

- أنتَ أيضاً تنظر إليّ بطريقة غريبة، فما معنى ذلك؟

بدا صوتها مضطرباً، فقطّب ريكو جبينه مفكراً، غير متأكدٍ من ردة فعلها تلك. رآها تذرف الدموع في المستشفى، وتفاجأ كم أزعجته رؤية دموعها. هو يعرف كم هي قوية، ويعلم أيضاً أنّ ستاسيا ليست من النساء اللواتي يشعرن بالضعف ويتعمدن البكاء ليحققن مرادهن. لابد أنّ السبب عائدٌ للتوتر والانزعاج من الوضع الراهن، فهي مجبرة على مواجهته بعد خيانتها الأخيرة له. لا بد أن دموعها هي بسبب إحساسها القوي بالذنب ومن توبيخ ضميرها!

- أنظر إليك لأنني لا أصدق أنني كنت أحمق لدرجة كافية كي أتزوج بكِ.

قال ذلك بقسوة وهو يراقب إجفالها. تساءل لماذا يشعر برغبة في أن يسبب لها الألم والأذى، في حين أنّ ما حدث أصبح جزءاً من الماضي. عندما كانت علاقاته مع النساء تسوء، كان يشعر بالرضى لمجرد الابتعاد عنهن، ولطالما كان الانفصال ودياً وملطفاً بفضل الهدايا الثمينة التي كان يختارها لتقضي على الإحساس بالذنب، لأنه فعلاً لم يكن يهتم. لم يشعر يوماً أنه منقاد بحاجة ماسة ليهاجم ويسبب

الألم كما يفعل الآن مع ستاسيا.

قالت ستاسيا وهي تشهق بنعومة: «أنا أكرهكَ!».

للحظة اعتقد ريكو أنه أساء سماع ماقالته، لذا احتاج إلى بعض الوقت ليرد عليها.

- ربما! لكن سواء أعجبك ذلك أم لا، فأنتِ أيضاً تشعرين بالانجذاب إليّ.

رآها تتراجع خطوة إلى الوراء، وتمنى لو أنها كانت ترتدي أي شيء آخر غير قميصه. إنها تملك جمالاً يمكنه أن يسبب الجنون لأي رجل، وهي فعلاً تقوده إلى الجنون. شعر ريكو بالتوتر السائد بينهما والذي يملأ الجو. انتظر منها أن تهاجمه بدورها. أليس هذا ما كانا يفعلانه دائماً؟ يتشاجران ويتعاركان... هو معتادٌ على النساء اللواتي يتملقن له، ويوافقن على كل كلمة يقولها، أما ستاسيا فلم تفعل شيئاً من هذا. لطالما اعتادت أن تتحداه وتثير غضبه بقدر ما كانت تؤثر به.

وقفت ستاسيا بجانب بركة السباحة مرتدية قميصه. بدت يافعة جداً وضائعة. قالت: «لم آتِ إلى هنا لأتشاجر معك».

مررت يدها في خصلات شعرها الناري الفاتن... حركة يعرفها ريكو جيداً، جعلته يشعر بإحساس مؤلم. بدت متعبة وحائرة، بحيث أنه لا يتذكر مطلقاً أنه رآها على هذا الحال من قبل.

- سمعتُ ضجةً، وأردت التحقق منها. عندما رأيتك في البركة، أردت أن أسألك عن شيرا. قلت لي إنك ستبقى في المستشفى. هل هناك تحسن في حالتها؟

بدا صوتها بطيئاً وهادئاً بشكل غريب، كما أنه خالٍ من أي عاطفة.

- لا، أبداً.

منذ أن ظهرت ستاسيا على الشرفة، لم يفكر ريكو بأخته لحظةً واحدةً. سأل نفسه بمرارة، أي نوع من الرجال هو؟ ما الذي يمكنه أن يقوله عن تصرفه هذا؟ شعر بالاشمئزاز من نفسه. استدار مبتعداً عنها، وسار بخطىً كبيرة نحو الفيلا الفسيحة المترفة. شعر فجأة بثقل التوتر

المسيطر عليه طوال الأسبوعين الماضيين، فهو لم يحظَ بأي ليلة من النوم الكامل طيلة ذلك الوقت. بدا له كأن عقله الحاذق ينظر إلى ما حوله من دون أي تركيز أو اهتمام. تمدد فوق أقرب أريكة، وأغمض عينيه، وهو يشعر أنه فقد السيطرة على حياته كما لم يشعر مرة من قبل، فقرر التخلص من هذا الشعور المربك والمزعج.

- ريكو!

شعر بالأريكة تنخفض بجانبه، وأحس بلمسة أصابعها المترددة على عضلات كتفه القاسية. بدا له أن ستاسيا هذه مختلفة جداً. إنها ستاسيا اللطيفة الناعمة. هذا الجانب الجديد من شخصيتها ينزلق تحت جلده، ويضاعف من عذابه، كأنه يذر حبيبات من الملح فوق جرح نازف. عطرها الناعم الرقيق لامس حواسه، فاستدار ليواجهها راغباً في التخلص من اهتمامها، وفي إرسالها إلى سريرها مع بعض الكلمات الباردة. لكن شيئاً ما في عينيها الخضراوين الرائعتين أجبره على الصمت. قالت بهدوء: «لا بد أنّ كل ما يحدث مزعج جداً لك، و... ربما حان الوقت لنعترف أنك تملك مشاعر أيضاً. بإمكان كل شخص الاعتماد عليك، لكن ما ينساه الجميع هو أنك بحاجةٍ إلى شخصٍ تعتمد عليه أنت أيضاً».

تمنى لو أنها تبعد يدها عن كتفه. لمسة أصابعها الرقيقة حركت كل ذرة في كيانه. أدرك ريكو فجأةً كم يفتقد للمستها ويشتاق إليها. قاوم بشدةٍ محاولاً السيطرة على إحساسه القوي بوجودها. أجاب قائلاً: «أنا متعب فقط. أمضيت أكثر من أسبوعين في المستشفى».

- أنتَ بحاجة إلى التفكير بنفسك وبحاجاتك الخاصة ريكو. عليك أن تبقى قوياً من أجل الجميع، لتتمكن من اتخاذ القرارات.

من الخطأ أن تقول له هذا الكلام. في هذه اللحظة ليس هناك سوى حاجة واحدة تشغل تفكيره. رفع ريكو نظره إلى عينيها، وتذكر أنّ هذه المرأة تعرف كل شيء عن حاجاته. قاوم بشدة رغبته بأن يدفن وجهه في عنقها، لينعم بدفء بشرتها الناعمة المليئة بالأنوثة. شعر بالإغواء،

وأدرك أنه يتوق إليها بقوة، كأن في أعماقه ناراً تحرقه.

لم يدرك أي منهما من قام بالخطوة الأولى، أو متى تحولت لمساتها اللطيفة على ذراعه من التخفيف عنه إلى شيء آخر أكثر إغواءً. بعد مرور لحظة واحدة، غرقا في حميمية سيطرت على حواسهما. عانقها ريكو بكل قوته مانعاً إياها من التنفس أو الاعتراض. على أي حال، ربما لم يكن لديها أي اعتراض. شعر بذراعيها النحيلتين تحيطان بعنقه، وبأظافرها تلامس كتفيه. نسي أمر القلق الذي يمزقه والارهاق الجسدي والعقلي الذي يعاني منه. نسي كل شيء إلا القوة العاصفة في أعماقه، وحقيقة أنّ هذه المرأة هي الوحيدة التي يريد أن يكون برفقتها. من دون أن يرفع رأسه، تنشق ريكو عطرها. لم يعد يهتم إن كانت تلك قميصه أم قميصها. عقله لم يعد يعمل بشكل صحيح. عطرها الرقيق، المنعش، الغني برائحة الأزهار ملأ كل إحساس فيه...

مرر يده على كتفيها وشعرها، فشهقت ستاسيا من السعادة. أبعد رأسه عنها ليحدق بها، وليلاحظ بشرتها الرقيقة الناعمة التي بدت أكثر بياضاً أمام بشرته البرونزية السمراء. لطالما شعر ريكو بالذهول من التباين الواضح بينهما. رقتها أمام قوته، شحوبها الإنكليزي أمام سمرته الداكنة، التي تميز شعوب البحر المتوسط، المرأة الناعمة أمام الرجل القاسي...

سمعها تتلفظ باسمه بنعومة. هو يعرف هذه المرأة جيداً. يعرف كم تؤثر فيها لمسته. هو يدرك ما الذي تستطيع أن تفعله به. هذا ما حدث معهما منذ الموعد الأول: عواطفهما المتبادلة تبدو خارج السيطرة دوماً. لكن الوقت اليوم ليس لهما، فها هو الهاتف يرن ويفصل بينهما. هذه الآلة الصغيرة البريئة وضعت لهما القيود معاً في الوقت نفسه. تجمدا للحظة، وعلما أنّ ما يحدث الآن غير مناسب، وقد سبب لهما صدمة كبرى.

أطلق ريكو شتيمة، ونهض على الفور ليجيب على الهاتف بحركة سريعة من إصبعه.

٤ - ماذا بعد الغيبوبة؟

- هل استيقظت؟

استقامت ستاسيا في جلستها، فيما حجب شعرها الأشعث وجهها المتورد خجلاً وحزناً، وجسدها مازال يرتجف من الإحباط والإذلال. كيف أمكنها أن تفعلَ ذلك؟ هي لم تقصد أن تتبعَ ريكو إلى الغرفة، لكن عندما رأته مستلقياً فوق الأريكة والإرهاق بادٍ عليه، شعرت بالألم في أعماقها، ما دفعها لتدخل الغرفة، ثم تسير نحوه لتمنحه بعض الراحة. كان عليها أن تعلم أنّ تصرفها هذا ليس سليماً، ولن يجعلها تشعر بالأمان.

لمسة واحدة ! لمسة واحدة فقط جعلتها تستلقي إلى جانبه، كأنها تابعة مسكينة له، هي التي لم ترضَ يوماً أن تكون كذلك. أليس لديها كبرياء؟ أين إحساسها بالكرامة واحترام الذات؟ الطريقة الوحيدة للتخلص من ريكاردو كريسانتي هي عدم السماح له بالحصول عليها. لكن رجوعها إلى الفيلا، حيث عاشا بسعادة، جعلها ضعيفة. شعرت ستاسيا بالضعف والوحدة، وتساقطت دموعها. عندما رأته بكل وسامته وقوته، كأنه رجل خُلق ليغوي المرأة، لم تعد قادرة على الاحتفاظ بمظاهر الغضب منه والعداوة تجاهه.

- استعادت شيرا وعيها منذ خمس دقائق.

لم تستطع ستاسيا إلا أن تلاحظ التوتر في صوته. هي تشك بأن يكون سبب ذلك التوتر قلقه على شقيقته. إنها ليست عمياء، وهي تعلم أنه مازال يشعر بالضيق والإحباط مثلها تماماً. نظر إليها ريكو، فيما بدت القسوة على ملامح وجهه، وقال: «يجب أن نعود إلى المستشفى».

جال بنظره على بشرتها الناعمة، فلمح أثر احمرار طفيف على عنقها بسبب عناقه. استدار كأنه غير قادرٍ على تذكر ضعفه نحوها. تابع يقول بنبرة قاسية: «عليكِ أن تبدلي ثيابك بسرعة».

- تباً لكَ ريكو! لن أسمح لك بإلقاء اللوم علي بشأن ما حدث.

كيف يجرؤ على النظر إليها هكذا، في حين أنه مسؤول مثلها عما حدث بينهما؟

- أتيتِ إلى هنا وأنتِ ترتدين قميصي. . . أتعتقدين أنك بتوددكِ إليّ ستجعلينني أسامحك؟

توددها إليه؟! قالت ستاسيا بنبرة قاسية: «لست بحاجة إلى غفرانك ريكو، بل أنتَ من تحتاج إلى الغفران. اخرج من هنا!».

حدقا ببعضهما للحظات طويلة. لا أحد منهما مستعدٌ لتقبل حقيقة أن ليس لديهما القدرة على أن يكونا معاً من دون أن يتوقا لبعضهما. كلاهما يرفض الاعتراف بأن الانجذاب القوي بينهما ذو سيطرة خارجة عن إرادتهما، وأنه أمر طبيعي لإرادي تماماً مثل التنفس.

حدق بها ريكو للحظات. لاحظت ستاسيا النبض الخافق في فكه القاسي. راحت عيناه تلمعان بشدة وتنذران بالخطر وهو يطلب الرقم على هاتفه، ويأمر بإعداد السيارة وإحضارها إلى الفيلا. بعد ذلك قال لها: «بدلي ملابسكِ. سنغادر بعد خمس دقائق».

ما إن انتهى من مخاطبتها حتى غادر الغرفة، حدقت ستاسيا بكتفيه العريضتين وبساقيه الطويلتين وعضلاته المشدودة. بقيت تحدق به للحظة، وهي تشعر باحتقار نفسها، لأنها تتمنى لو أنه يستدير ويعود إليها. تأوهت وهي تقاوم رغبة في رفس الأريكة بقدمها. في تلك اللحظة بالذات، لم تعد تعلم من تكره أكثر: ريكو، لأنه يفقد سيطرته القوية على نفسه كلما اقترب منها، أم تكره نفسها لأنها تتوق إليه بكل ذرة في كيانها تماماً كما يتوق هو إليها؟ عزاؤها الوحيد هو أن ريكو يكره ضعفه أمامها تماماً مثلها. وإن كانت هي تشعر بالمهانة والمعاناة، فما من شك أنه يعاني من ذلك الشعور هو أيضاً. في الوقت الراهن،

هي تريده فعلاً وبكل صدق أن يعاني. إن كان يشعر بجزء من العذاب الذي تشعر به، فذلك بلا شك يؤمن لها الإحساس بالرضى في تحقيق العدالة.

لفّت ستاسيا القميص حول جسدها، وسارت بصمت إلى غرفة نومها، التي شعرت أنها الملاذ الوحيد لديها. بحماقة منها خاطرت بالنظر إلى المرآة، وكانت تلك غلطة فادحة. حدقت الصورة المنعكسة فيها، كأنها تسخر منها. هي لم ترَ المرأة التي ترغب في رؤيتها. أرادت أن ترى المرأة الفاتنة، المرنة، الواثقة من نفسها. أرادت أن ترى الهدوء والسيطرة على الذات، لكنها بدلاً من ذلك رأت الشوق والضعف. التفت خصلات شعرها الناري حول وجهها بدوائر ناعمة، لكنها حملت بوضوح آثار مداعبة أصابعه. أما بشرتها الشاحبة الحساسة، فأظهرت بوضوح آثار ما حدث بينهما من عناق. آه، يا إلهي! غطت شفتيها بأصابعها المرتجفة. ما كان عليها أن تأتي إلى هنا مطلقاً.

لطالما كانت ستاسيا قوية، مستقلة، وناجحة في عملها، حتى تعرفت إلى ريكو. إنه يشبه الدواء الخطير القاتل. لا يمكنها أن تكون بالقرب منه من دون أن تفكر فيه، وتتوق إليه. هي تحتقر نفسها بسبب ضعفها هذا. إنهما يملكان وجهتي نظر مختلفتين وبعيدتين عن بعضهما ابتعاد الشمال عن الجنوب، مع ذلك يبدو أنها لا تستطيع مقاومته. لن تتمكن أبداً من نسيانه والتخلص من تأثيره عليها إلا إذا تمكنت من وضع مسافة كبيرة بينهما.

الآن بعد أن استعادت شيرا وعيها، هذا ما ستفعله بالتحديد. ستقوم بالزيارة المطلوبة منها إلى المراهقة، وربما ستبقى بجانب سريرها لفترة قصيرة. ستقوم بكل ما تقتضيه حالتها من الاستنكار لما حدث لها والتعاطف معها، ثم ستختفي من جديد في إنكلترا. ستجد كوخاً جديداً بسقف منخفض أكثر، كي لا يتمكن ريكو من الدخول إليه دون أن يعرض سلامته للخطر.

* * *

تحركت بهما السيارة بسرعة نحو المستشفى. جلس ريكو بصمت، فيما راح ذهنه وجسده يضجان بالمشاعر البدائية، ما زاد من حدة طباعه. لم يستطع أن يسمح لنفسه بالنظر إليها. لم يستطع أن يسمح لنفسه بالتركيز على الدليل الواضح لفقدانه السيطرة على نفسه. عندما ضمها إليه بشوقٍ ويأس، لم يفكر للحظةٍ بأنّ بشرتها الناعمة تظهر دائماً دليل اهتمامه بها لعدة ساعات بعد أن يلمسها. لطالما كانت بشرتها البيضاء الحساسة جداً مصدر إعجاب شديد بالنسبة إلى رجلٍ بشرته تتحول إلى اللون البرونزي كلما تعرضت أكثر لأشعة الشمس. في المقابل، أقل تعرضٍ لأشعة الشمس يحوّل بشرة ستاسيا إلى لونٍ زهري ويزيد النمش عليها. ريكو معجب حتى الوله ببشرتها العاجية، حتى إنه جعل همه الوحيد حمايتها. اشترى لها مجموعة من القبعات المصممة خصيصاً لتقيها بشكل دائم من الحرارة القوية لشمس إيطاليا. أما الليلة فلم يفكر بأي شيء آخر سوى شوقه لعناقها، والآن عليه أن يدفع ثمن تصرفه الطائش.

بعد أقل من عشر دقائق سيقابلان عائلته، ولا شك أنه سيتلقى نظرات أمه المتسائلة المعنفة، وربما... أسئلتها التي لا يريد الإجابة عنها مطلقاً، فهو لا يستطيع أن يجيب عنها. في كافة الأمور يعتبر ريكو نفسه رجلاً حازماً وقوياً. تعلّم جيداً وفي عمرٍ مبكرٍ أهمية السيطرة على النفس، لكنه مع ستاسيا يتحول إلى مراهقٍ، لا شيء يشغله سوى مشاعره البدائية. لسوء الحظ، سيطرة العقل في هذه الأمور عملٌ نادرٌ جداً. في حالته هو، مشاعره هي التي تسيطر على عقله. أكد لنفسه معزياً، أن كل ما في الأمر هو أنه يشعر بثقل الأمور عليه، وأن ما يشعر به هو مجرد انجذاب حسي، وهذا لا يعني شيئاً.

حدق ريكو إلى الخارج عبر النافذة، وضغط بقوة على أسنانه مدركاً أنها تجلس على مسافة قريبة منه. بدا شعرها المتموج مصففاً كيفما اتفق وراء رأسها، أما جسدها الجميل فيبدو في أبهى حلةٍ في ذلك الثوب الخوخي اللون. لا همّ إن ارتدت ستاسيا أجمل الثياب أم أقبحها،

فالانجذاب بينهما يبقى أقوى منهما. كلما أسرع في إرجاعها إلى إنكلترا وتفويض أمر الاتصال بها إلى محاميه، كلما كان ذلك أكثر أماناً لهما معاً. سيعطيها الوقت الكافي لتزور شقيقته - هذا فقط إن كانت الزيارة تساعد على شفاء شيرا بسرعة- بعد ذلك سيرسلها مباشرة إلى الطائرة، وسيحرص على أن تكون محركات الطائرة جاهزة للإقلاع.

* * *

وجدت ستاسيا كل أفراد العائلة واقفين بالقرب من سرير شيرا. شعرت على الفور بقلبها يغوص في صدرها. بعد مواجهتها العاصفة مع ريكو شعرت أنها أكثر ضعفاً من ذي قبل، وهي تدرك ذلك جيداً. بالرغم من المجهود الذي بذلته وهي تضع مساحيق الزينة على وجهها وعنقها، مازالت آثار عناقه واضحة لكل من ينظر إليها. أرادت أن تغوص في جوف الأرض من شدة الخجل عندما التقت عيناها بعيني والدة ريكو المصدومتين.

- إذاً، ها قد عدت!

سمعت ستاسيا نبرة صوت أمه القاسية، وهي تجول بنظرات عينيها على وجهها المتورد من شدة الضيق. ركزت المرأة نظرها على احمرار بشرة عنقها، قبل أن تنقل نظرها إلى ابنها، وترمقه بنظرة ملؤها الغضب وعدم التصديق.

حدّق ريكو بأمه بهدوء مثير للتعجب، ثم أمسك بيد ستاسيا كأنه يتحدى الجميع بشكل علني. بعد ذلك تقدم نحو السرير، ليظهر للآخرين من هو المسؤول هنا. شعرت ستاسيا بالامتنان لمبادرته بحمايتها بالرغم من الحزن المسيطر عليها. هي تعلم أن عمله هذا لا يعني شيئاً، لكنها أمسكت بيده كأنها حبل النجاة. تراجعت والدة ريكو إلى الوراء بوقارها المعهود، لكن النظرة التي رمقت بها ستاسيا سببت للمرأة الشابة ألماً. شعرت هذه الأخيرة بغصة في حلقها كادت تخنقها. ما الذي فعلته لتستحق تلك النظرة؟ لا شيء، ما عدا الزواج ببليونير. من الواضح أنّ هذا كافٍ لتستحق لقب «الباحثة عن الذهب».

- شيرا!

ظهر القلق بوضوح في نبرة صوت ريكو، وهو ينحني ليقبل شقيقته. رفرفت الشابة بعينيها قبل أن تفتحهما. للحظة حدقت بأخيها بغموض كلي. بعد قليل ظهرت ابتسامة على وجهها.

- ريكو!

بدا صوتها أشبه بالهمس، لكن العائلة كلها تنهدت بارتياح. تقدمت أمها إلى الأمام وضمتها إليها، أما جدتها فارتمت فوق كرسي موجود قرب السرير، لتمسك بيدها والدموع تنسكب على خديها المجعدين.

- هاقد عادت إلينا!

بدت تلك إشارة لستاسيا كي تغادر. من دون أن تدرك ما تقوم به، سحبت ستاسيا يدها من يد ريكو، واتجهت نحو الباب. لا أحد يحتاج إليها هنا، هي لم تكن يوماً جزءاً من هذه العائلة، ولن تكون مطلقاً. شيرا استعادت وعيها، إذاً حان الوقت لترحل وتعود إلى بلادها.

بدا كأن شيرا تقول أشياء أخرى بصوتها المضطرب والساكن في آنٍ معاً، ما أجبر ريكو على إحناء رأسه والاقتراب منها أكثر ليتمكن من سماعها. بعدئذٍ عاد ليقف مستقيماً وعيناه تحدقان بستاسيا التي كانت الآن قرب الباب تستعد للمغادرة.

- انتظري!

امتلأ صوته بالعاطفة وهو يتابع: «إنها تسأل عنك، وهي تريد التحدث إليك».

جمدت ستاسيا في مكانها، وللحظة اعتقدت أنها لم تسمعه جيداً. لماذا تريد شيرا أن تتحدث إليها الآن، بعد أن استعادت وعيها؟ التلفظ باسمها وهي في حالة من فقدان الوعي شيء، وطلب التحدث إليها الآن شيء مختلفٌ جداً. أدركت ستاسيا أنّ أفراد العائلة كلهم ينظرون إليها. ابتلعت غصةً مؤلمةً، وأبعدت يدها عن مقبض الباب. في النهاية، ماذا يمكن لشيرا أن تقول الآن بعد كل ما قالته في السابق؟ ماذا يمكنها أن تفعل لتسبب الألم لها أكثر مما فعلت في الماضي؟ شعرت بدقات قلبها

www.elromancia.com

تتسارع وتتضاعف وهي تسير نحو السرير. كل خطوة تخطوها بحاجة إلى قوة وإرادة كبيرتين.

وقف ريكو بجانب السرير، فيما اقتربت ستاسيا لتحدق بشيرا. لاحظت أنّ الجرح في جبهتها يبدو أكثر زرقةً. قالت بصوت منخفض أجش: «مرحباً شيرا! أنا سعيدة جداً لأنكِ أصبحتِ بخير. شعرنا بالقلق عليكِ».

- ستاسيا!

ابتسمت شيرا ابتسامة ناعمة، ثم أغمضت عينيها، وهي تتابع: «ستاسيا الجميلة! عندما أصبح بحال أفضل، هل يمكننا الذهاب إلى السوق معاً؟ أنتِ دائماً تبدين فاتنة. أريدك أن تعلميني كيف أختار ثيابي لأبدو أنيقة مثلك».

شعر الجميع بالصدمة. ساد صمت مقلقٌ، وظهر عدم التصديق على كل شخص واقف قرب السرير. بدت ستاسيا متوترة وغير متأكدة مما عليها أن تقوله. هي وريكو يعيشان منفصلين عن بعضهما منذ أكثر من سنة. لِم قالت شيرا هذا؟ أتراها تحاول استخدام سيفها في اللحظة نفسها التي استعادت فيها وعيها؟ حدقت ستاسيا بوجه شيرا، باحثة عن دلائل للسخرية التي أصبحت تعرفها جيداً. الهجوم والسخرية كانا جزءاً أساسياً من شخصية الفتاة عندما تعرفت إليها، لكنهما الآن غائبان تماماً.

فتحت شيرا عينيها، وحدقت حولها محاولة أن تجد سبباً لهذا الصمت السائد من حولها. بدت قلقة وحائرة وكأنها شعرت بأن شيئاً ما خاطئاً يجري هنا.

- ماالأمر؟ ماذا...؟ ماالذي قلته؟

أسرع ريكو يطمئنها وهو يغطي يدها الضعيفة بيده: «لا شيء عزيزتي. كيف تشعرين الآن؟».

أجفلت شيرا قليلاً، وأجابت:

أشعر بصداعٍ مؤلمٍ، كما أنني لا أفهم لماذا أنتم... جميعاً هنا؟

ماالذي حدث؟

- أخبرتك عن الحادث الذي تعرضت له.

قطب ريكو جبينه، وتابع يسألها: «ألا تتذكرين الحادث؟».

فكرت شيرا قليلاً، ثم هزت رأسها بصعوبة وهي تقول: «لا، لا أتذكر كل شيء. فقط أتذكر أنكَ كنتَ في شهر العسل».

ابتسمت لأخيها ابتسامة خجولة مترددة، وتابعت: «...وأنك كنت غاضباً جداً مني لظهوري فجأة من دون إنذار، لأزعج زواجكما الرومنسي. أما زلت غاضباً مني، أم أنكَ سامحتني؟».

بدا ريكو كأنه تحول إلى حجر. وقف بقامته الفارعة من دون حراك. وقفت ستاسيا بالقرب منه شاعرةً بتوتره الكبير، ثم سمعت تمتمة أمه من الجانب الآخر للسرير. أجرت عملية حسابية صغيرة، وعلمت أنّ الحادث الذي تتكلم عنه شيرا جرى منذ سنة ونصف تقريباً. حصل ذلك في بداية شهر العسل، قبل أن يمضيا الوقت الكافي ليتعرفا على الاختلافات العديدة بينهما، والتي لا يمكن تخطيها. لكن ماذا يعني هذا؟ أما زالت شيرا تمارس المزيد من ألاعيبها؟

تداعت ابتسامة شيرا، وحدقت بهم باستغراب، إذ شعرت أنّ هناك شيئاً ما في الجو.

- ريكو! أمازلت غاضباً مني؟

- لا، صغيرتي! أنا لست غاضباً.

لمعت عينا ريكو وهو يحدق في وجه أخته، كأنه يبحث عن سرٍ ما أو إشارة ما. قال:

- لكن، هل هذا آخر أمر تتذكرينه؟ قدومك إلى الفيلا عندما كنا أنا وستاسيا في شهر العسل؟

هزت شيرا رأسها وسألت: «لماذا؟».

ابتسم ريكو، وأجابها مطمئناً: «ليس هناك من سبب».

نبرة صوته القوية بدت واثقة، ولم يظهر فيها أي أثر للقلق الذي يشعر به من دون شك.

- أحتاج إلى التحدث إلى الأطباء مرة ثانية. حاولي أن ترتاحي وألا تقلقي بشأن أي شيء.

* * *

تحلق الأطباء حول السرير نزولاً عند طلب ريكو، وعادت العائلة إلى غرفة الأقارب لتعيش من جديد حالة التوتر والترقب. لم ينتظروا لمدة طويلة. في غضون دقائق تمّ استدعاء ريكو إلى غرفة شيرا ليعود إلى غرفة الانتظار بعد فترة قصيرة. بدا أكثر إحباطاً وتوتراً. لم تستطع ستاسيا أن تتذكر أنها رأته على هذا الحال من قبل.

- يقول الأطباء إنها تعاني من فقدان الذاكرة.

ركز نظره على أمه محاولاً معرفة ردة فعلها على ما يقوله، فيما أردف متابعاً: «من الواضح أنّ هذا أمرٌ طبيعيٌ. هي لا تستطيع تذكر أي شيء منذ اليوم الذي وصلت فيه إلى الفيلا، حيث كنا أنا وستاسيا...».

توقف عن الكلام لبرهة، ثم تابع وهو يبذل جهداً واضحاً: «...كنا في شهر العسل».

شعرت ستاسيا بتلون خديها ما إن استدار الجميع ليحدقوا بها. عادت ذكرى ذلك اليوم إلى رأسها. كانا على الشاطىء يسبحان ويتغازلان بشكل دائم. عندما عادا أخيراً إلى الفيلا، وهما لا يزالان بين أذرعة بعضهما البعض، وجدا شيرا في بركة السباحة. غضب ريكو بشدة من تصرف أخته، لكن ستاسيا تدخلت بلطفٍ بينهما، مع أنها أصيبت هي أيضاً بخيبة أمل عندما اكتشفت فجأة أنّ لديهما رفقة. في النهاية وافق ريكو على طلب ستاسيا، وسمح لشيرا بالبقاء وتمضية عطلة نهاية الأسبوع معهما، ثم عمل على إعادتها إلى المدرسة بعد أن ألقى عليها درساً مطولاً بشأن التركيز على دراستها والاهتمام بالشؤون التي تناسب عمرها.

تنهدت ستاسيا بحزن مدركة أنّ هذا آخر ما تتذكره شيرا الآن. هذا يعني أنها فقدت جزءاً أساسياً من حياتها.

شعر الجميع بالصدمة من هذه الأخبار، ومن التعقيدات الجديدة الطارئة. سقطت والدة ريكو فوق أقرب كرسي والرعب بادٍ على وجهها، وهي تقول: «هل ستبقى دائماً على هذه الحالة؟».

رفع ريكو كتفيه، فبدا لستاسيا أنه قويٌ جداً أكثر من ذي قبل.

- لا يمكنهم التأكد من أي شيء. هناك احتمال بأن تعود إليها ذاكرتها، لكن لا أحد يعلم متى. في الوضع الراهن ما يهمنا هو استعادة عافيتها. إنهم جميعاً سعداء بتقدمها الواضح. كل فحوصاتها جيدة، وإن استمرت على هذا الحال بإمكانها العودة إلى المنزل في غضون أيامٍ قليلةٍ. لا يمكننا إلا الاعتراف بأنّ ما حدث هو معجزة بالفعل.

ابتسمت أمه بسعادة وارتياح. ضمت يديها إلى بعضهما في حضنها، وسألته: «هل ستأخذها إلى الفيلا؟».

هزّ ريكو رأسه موافقاً، وقال: «إنها بحاجة إلى الهدوء والجو المريح. الفيلا هي المكان المناسب. سأقوم بالترتيبات لأعمل من منزلي حالياً. هكذا أتمكن من الاعتناء بها».

قالت أمه على الفور: «سآتي للبقاء عندك أيضاً والاعتناء بها بنفسي».

لكن ريكو هزّ رأسه قائلاً: «لا داعي لذلك. عليها أن تبقى هادئة قدر الإمكان. منّ الأفضل أن تبقي في منزلك، وتأتي لزيارتها من وقت لآخر».

هزت أمه رأسها على مضض قائلة: «حسناً! إن كنتَ تجد هذا أفضل لها».

كالعادة هي تفوض أمرها لريكو، تماماً كما تفعل العائلة كلها. عندما التقت ستاسيا بهم للمرة الأولى، أدهشها اعتمادهم المطلق عليه في كل قرار، لكن في ما بعد أصبح ذلك يثير جنونها. نظرت ستاسيا إلى ساعة يدها، وأدركت أنه عما قريب سيحل الفجر. قالت بهدوء: «حسناً! من الواضح أن لا حاجة لكم بي هنا بعد الآن».

جالت عيناها على ريكو محاولة التخلص من رغبتها بأن ترمي

بنفسها عليه. من المحتمل أن تكون هذه المرة الأخيرة التي تراه فيها. من الآن فصاعداً ستعود الأمور بينهما لتتم من خلال المحامين. تلك الحقيقة جعلتها تشعر بإحباط مطبق.

- أخشى القول إنّ الأمر ليس بهذه السهولة.

بدت ملامح ريكو حزينة وغامضة، كأنه يتعامل مع قضية كريهة لا حل لها. تابع يقول: «لسوء الحظ، ذاكرة شيرا متوقفة منذ ثمانية عشر شهراً، أي عندما كنا في شهر العسل، وهي تعتقد أننا زوجان سعيدان جداً».

تنفست ستاسيا ببطء لتأخذ كمية كبيرة من الهواء هي بحاجة إليها.

- إذاً، أعتقد أنك في وقت ما ستوضح لها أننا نعيش منفصلين، بالتحديد منذ سنة.

لكن لن تتمكن ستاسيا من ذكر السبب. شيرا وهي فقط تعرفان الحقيقة، وذاكرة شيرا لا يمكنها استعادة ذلك الآن.

- عليك أن تخبرها الحقيقة.

لا خيار آخر أمامهما. في وقت ما ستبحث شيرا عن سبب ابتعادهما عن بعضهما.

- في وضعنا الحالي، الحقيقة ليست خياراً مناسباً.

سُحبت الكلمات منه بصعوبة، لأنه بدا بوضوح كرجلٍ خُيّر ما بين أمرين كلاهما صعبٌ للغاية.

- أصرّ الأطباء على عدم تعريضها لأي صدمة، وأن يكون كل شيء من حولها هادئاً ومريحاً بقدر الإمكان. يجب ألا تتعرض لأي ضغوطات مهما كانت.

إذاً، ما الذي يقترحه بالتحديد؟ ضحكت ستاسيا ضحكة تخلو من المرح، قبل أن تقول: «كلانا يعلم أنّ شيرا لن تصاب بأي أذى إن علمت بفشل زواجنا، ريكو. لا داعي لتقوم بأي ألاعيب هنا. بدت سعيدة جداً عندما فشلت علاقتنا، وتذكيرها بهذه الحقيقة لن يسبب لها أي تدهور في حالتها الصحية».

زفرت والدة ريكو أنفاسها معترضة، لكن ستاسيا وريكو لم يوجها إليها نظرة واحدة. بدا كأنهما الشخصان الوحيدان في الغرفة. تشابكت نظراتهما، فيما راحت المشكلة تكبر وتكبر بينهما.

هدر صوت ريكو: «لسوء الحظ، شيرا تعيش في جو مختلف جداً بشأن علاقتنا».

لغة جسده أظهرت كم أنه يجد الوضع برمته صعباً، تماماً كما تجده هي.

- لن نعيد فتح الجراح من جديد الآن. ياإلهي! ألا تعتقدين أنّ لدينا ما يكفي من الضغوطات في الوقت الراهن من دون تذكر مساوىء الماضي؟

شعرت ستاسيا بدقات قلبها تتسارع في صدرها. سألته: «إذاً... ما الذي تقترحه؟».

أحست أنها مليئة بالإحباط والتوتر بسبب يأس لا تفهمه. لم تستطع أن تبعد السخرية من نبرة صوتها وهي تكمل: «أتريد أن نلعب دور العائلة السعيدة؟ أتريد إعادة خاتم الزواج إلى إصبعي؟».

ساد صمت مقلق ونابض بالتوتر في الغرفة، حتى إن تنفس ريكو كان مسموعاً. قال: «إن كان هذا ما تحتاجه شيرا لتشفى، فالجواب هو نعم».

٥ - لن ترحلي!

حدقت ستاسيا إليه بصمت وهي مصدومة. لم تتوقع مطلقاً هذه الإجابة. أخيراً تمكنت من إيجاد صوتها لتقول: «لا يمكن أن تكون جدياً».

- يالإلهي! هل تظنين أنني أمزح في أمر كهذا؟ في الواقع، جهّز المحامون الأوراق الضرورية لإتمام معاملات الطلاق، فهل تعتقدين أنني أرغب في تضييع الوقت وإطالة الأمر أكثر من ذلك؟

إن كان يقصد إيذاءها بكلامه هذا، فقد نجح بشكل مذهل. حتى أمه بدت متفاجئة من وقاحته وفقدانه للياقة والذوق.

أطلق ريكو شتيمة بصوت خافت، ثم مرّر يده فوق مؤخرة عنقه، محاولاً بشدة السيطرة على نفسه. تمتم معتذراً: «لم يكن من داعٍ لمثل هذا الكلام. أنا أعتذر!».

أرجعت ستاسيا رأسها إلى الوراء، فالتمع شعرها بقوة.

- لماذا تعتذر ريكو؟ ألأنك لم تتغير؟

تمنت ستاسيا لو أنها تموت قبل أن تدعه يرى تأثيره عليها. إنها تفضل الموت على السماح لريكو بأن يدرك أنّ لديه القدرة على جرحها وإيلامها بعمق.

- لكنني أعتقد أنّ ردة فعلك هذه هي برهان أكيد على أنّ اقتراحك هو فعلاً مثير للسخرية. بإمكانك أن تضع خاتم الزواج في إصبعي من جديد، لكننا لن نتصرف مطلقاً كزوجين يحبان بعضهما. هذا اقتراح سخيف بالفعل.

علا الحزن والغضب ملامح وجه ريكو الوسيم. استدار لينظر إلى أفراد عائلته، وقال: «لا بد أنّ شيرا ترغب بصحبتكم».

لم يطلب منهم الرحيل، لكن ما قصده بدا في منتهى الوضوح. هو يرغب في التحدث إلى ستاسيا على انفراد. غادر الجميع الغرفة كالنعاج. لم يجرؤ أحد منهم على طرح أي سؤال عليه.

راقبتهم ستاسيا وهو يغادرون، ولم تصدق ما تراه. استدارت نحوه، فيما توهجت عيناها كالنار الملتهبة.

- هل تعلم ما هي مشكلتك؟

حدق ريكو في عينيها، وحوّل كل مافيه من قوة إلى عينيه لتسخرا منها وهو يقول: «لا، لكنني متأكد أنكِ ستخبرينني».

تجاهلت ستاسيا التحذير في نبرة صوته الناعم، وتجاهلت أيضاً كل الدلائل التي تؤكد على ازدياد غضبه. قالت: «لا أحد يجرؤ أن يقول لكَ لا. أنتَ تسير في الحياة في سيطرة دائمة. أنتَ من يتخذ القرارات، وأنتَ من يواجه الصعاب مهما كانت. حسناً! لدي أخبارٌ جديدة لكَ».

تنفست بصعوبة محاولةً أن تُدخل الهواء إلى رئتيها، قبل أن تتابع: «أنا لست واحدة من التابعات لك، اللواتي هن دائماً بانتظارك وتحت طلبك، من أجل الحصول على فُتات اهتمامك، أولئك النساء الطائعات اللواتي يقلن لك نعم ساعة تشاء. أنا في الواقع... أشفق عليهن».

تقدم ريكو نحوها بسرعة خاطفة، لدرجة أنها لم تلاحظ اقترابه على الفور.

- كلانا يعلم أنني أستطيع أن أجعلك تقولين «نعم» في أي وقت أشاء، حبيبتي.

- لا تنادني بهذا الإسم.

إحساسها بقامته الفارعة وبقوته الطاغية، جعل قلبها يدق بسرعة. تراجعت ستاسيا خطوة إلى الوراء، وتمنت لو أنها لم تفعل ذلك، ما إن رأته يرفع حاجبه ساخراً منها. اقترب ريكو أكثر منها، وقال: «أتخافين مني ستاسيا، أم تبتعدين لأنكِ غير واثقة أنكِ قادرة على مقاومتي؟».

إنه متفاخر جداً، كما أنه واثق من نفسه إلى درجة تثير جنونها.

- لست خائفة. كل ما في الأمر أنني لا أوافق على استخدام

الرجال قوتهم الجسدية للسيطرة على النساء. هذه حيلة وضيعة.

أرجع ريكو رأسه إلى الوراء، وأخذ يضحك بمرح واضح بصوتٍ عميقٍ وناعم كالمخمل، ما جعل التوتر لا يُحتمل بالنسبة لها.

- أتتوقّعين مني أن أصدق أنني أخيفك، أنتِ مع لسانكِ السليط وعينيك المتوهجتين اللتين تتحدياننني طوال الوقت؟ أخبريني عن أمرٍ واحدٍ فقط تخافين منه، أمر واحد فقط!

ابتلعت ستاسيا غضبها بصعوبة. هي تخاف من عواطفها نحوه ومن المشاعر التي تحملها له. هذه الأخيرة مخالفة لكل ما فيها من شخصية قوية وتعقل. لسوء حظها، منذ أن التقت بريكو، اكتشفت وبألم شديد أنّ لديها صفات لم تكن تعرف مطلقاً بوجودها؛ أحاسيس عميقة اكتشفها فيها، وكأنه سيدٌ مطلقٌ عليها.

رطبت شفتيها الجافتين، وقالت: «لن يصل بنا الحوار إلى أي اتفاق».

ندمت ستاسيا على الفور على ماقالته، إذ سقطت نظرته على فمها وعينيها اللتين تلمعان كالذهب. تلك النظرة مألوفة لديها تماماً مثل الأحاسيس التي تسيطر عليها إثرها. تجاهلت تلك الأحاسيس على الفور، وتابعت: «لكنه يبرهن أننا لا نستطيع البقاء في الغرفة نفسها، دون أن يسعى أحدنا لقتل الآخر. إذا لم تكن شيرا قد فقدت رشدها أيضاً مع فقدانها للذاكرة، فلن يكون هناك جدوى من إقناعها أنّ علاقتنا حقيقية أو صادقة. سأدخل لأودعها ثم أرحل».

قال ريكو بنبرة ناعمة كالحرير: «لن تذهبي إلى أي مكان، وإن كنتِ غير واثقة من أننا نستطيع إقناع شيرا أننا مغرمان ببعضنا، إذاً دعيني أساعدكِ لتتخلصي من هذه المشكلة».

كان عليها توقع حدوث ذلك، وكان عليها أن تشعرَ بما يفكر به ريكو قبل أن يتصرف، لكن عقلها يعاني من ضبابية تجعل التفكير أمراً مستحيلاً وصعباً جداً عليها. امتدت يده لتحيط بخصرها وتضمها إليه، ثم عانقها بمهارة، كأنه يعدها بالمزيد مما سيقدمه لها. في الواقع،

نجح الأمر. شعرت ستاسيا كأنها وسط لهب من الشوق واللهفة، ما جعلها تنسى كل شيء: نسيت أنهما واقفان في غرفة انتظار عامة مضاءة بأنوار قوية جداً، وأن أخته المريضة مستلقية على سرير في غرفة قريبة منهما. نسيت كل خلافاتهما، وحقيقة أن لا شيء يجمعهما بالمطلق غير الأوضاع الحميمة كهذا الوضع مثلاً. كل ما تدركه وتشعر به الآن هو ريكو... عناقه العميق والإحساس المتنامي الذي يتركه على كل خلية من خلاياها. مدّت ذراعيها، ولفتهما حول عنقه لتجذبه إليها أكثر.

أنهى ريكو العناق ببساطة مهينة. رفع رأسه، وتراجع إلى الوراء. بدت عيناه باردتين وخاليتين من أي عاطفة، وهو يقول: «أعتقد أنّ هذا كافٍ ليبرهن أننا نستطيع أن نكون مقنعين جداً عندما يحين الوقت لإثبات ذلك».

ترنحت ستاسيا من شدة الدوار الذي شعرت به. كرهته كثيراً لأنه في منتهى السيطرة على نفسه، بينما هي تشعر بالضياع. لاحظت عينيه الثاقبتي النظرات وملامح وجهه المبهورة بما يشبه الغطرسة والتعجرف.

- تحبين أن تفكري أنكِ لستِ بحاجة إليّ ستاسيا، لكن كلانا يعلم أنك ستأتين راكضة إليّ إن طلبت منك ذلك، لذا لا فائدة من التظاهر بعكس ذلك.

دوت الصفعة القوية في الغرفة الصغيرة، ما إن رفعت ستاسيا يدها، وهوت بها على خده. قالت بصوت مرتجف: «أنت وغد مغرور، معتدٌ بنفسك، ريكو!».

ضمت يدها التي آلمتها من قوة الضربة إلى صدرها. شعرت بالصدمة من العنف غير المعتاد الذي ملأها بسبب كلامه الوقح. لم ترفع يدها على أحدهم من قبل في حياتها حتى هذه اللحظة، لكن ريكو عاد ليسبب لها الألم من جديد.

- لن أبقى لحظة واحدة هنا، من فضلك قُل لقائد طائرتك أن يستعد لإعادتي إلى وطني.

- لن تذهبي إلى أي مكان.

ظهرت آثار أصابعها على خده النحيل، لكن عينيه لمعتا منذرتين بالخطر.

- طلبت مني القدوم إلى هنا لأن شيرا غائبة عن الوعي. حسناً! ها قد استيقظت، وأنتَ لست بحاجة إليّ بعد الآن.

ظهر الضيق في نبرة صوت ريكو وهو يقول: «شرحت لكِ لماذا أنا بحاجةٍ إلى وجودكِ هنا».

لمعت عينا ستاسيا، وهي تحدق به وتسأله: «لأكون عشيقة في متناول يدك؟ لا أعتقد ذلك ريكو. هناك مئات النساء الراغبات بشدة في القيام بهذا الدور. اذهب واحضر واحدة منهن بدلاً عني».

قال ريكو بصوت كالزئير: «أريدك أن تكوني زوجتي حتى تستعيد شيرا ذاكرتها».

وضع يديه في جيبي سرواله، كأنه خائف مما قد يفعله بهما إن ظلتا طليقتين.

- لكن القيام بدور الزوجة ليس أمراً تجيدينه، أليس كذلك ستاسيا؟ أعطيتكِ كل شيء. أمنت لكِ حياةً تتعدى أغرب أحلامكِ، لكن عندما كنت أعود إلى المنزل بعد يوم عملٍ شاق متوقعاً أن أجد زوجتي بانتظاري، كنت أجدكِ مسافرة.

- مرتان... مرتان فقط غادرت روما. أنا أيضاً لدي عمل عليّ القيام به.

- لأي هدف كنتِ تسافرين؟

رفع كتفيه بلا اهتمام. أظهر هذا بوضوح جهله المطلق لشخصيتها. تابع قائلاً: «لم تكوني بحاجة إلى المال. وضعت مبالغ طائلة لا محدودة تحت تصرفك، وكنت تملكين كل ما يمكن لامرأة أن تحتاجه».

ماعدا الحب!

مدّت ستاسيا يديها أمامها لتعبر عن غضبها وانزعاجها.

- المال، المال، المال! المال ليس كل شيء في الحياة ريكو.

هناك أمورٌ أخرى هامة جداً أيضاً، كتحقيق الذات والاعتماد على النفس. أحب عملي، وأنا بحاجة لأن أكون ماهرة في القيام بأمر ذي فائدة وأهمية بالنسبة لي وللآخرين.

قال ريكو بنعومة وعيناه مركزتان عليها: «كنتِ رائعة في السرير. هذا ما يهمني حقاً».

تورد خداها من الانزعاج، فأشاحت ببصرها عنه وهي تزفر بازدراء.

- أنتَ مغفل ريكو. أنتَ لا تريد زوجة، بل عشيقة.

- كان لدي عشيقتان قبل أن أتزوج بكِ.

قال ذلك ببرودة، في حين أنّ عينيه لم تفارقاها، ثم تابع بنبرة ملؤها الضيق والملل: «لماذا عليّ أن أرغب بثلاث؟».

فقَدَ وجهها لونه لدى سماعها تلك الكلمات، التي ذكّرتها أي نوع من الرجال تزوجت به، وإلى من سلمت قلبها. لا بد أنها مجنونة لاعتقادها أنّ ريكو يمكن أن يبادلها المشاعر التي أحست بها نحوه. إنه لا يعرف ما هو الحب. هو غير قادرٍ على التعامل مع أي امرأةٍ من الناحية العاطفية. سمعت شائعات تقول إن لديه عشيقتين إحداهما في روما والأخرى في باريس، لكنها في ذلك الوقت اختارت أن تتجاهلها. ريكو وسيم جداً، وهي لم تتوقع للحظة أن يكون قد عاش حياته كناسك. قالت بصراحة: «كالعادة، نقاشنا لن يوصلنا إلى أي مكان».

التقطت ستاسيا حقيبة يدها، وعلقتها على كتفها وهي تتابع: «أنا مغادرة ريكو. ليس هناك ما تستطيع القيام به لتمنعني. إن لم تدعني استخدم طائرتك، فسأذهب إلى المطار وأستقل طائرة تجارية».

ستفعل أي شيء لتذهب بعيداً عنه. في هذ اللحظة بدت يائسة لدرجة أنها قد تستأجر طائرة خاصة بها إن كانت هذه الوسيلة الوحيدة التي تضمن لها الهروب من هنا.

- المكان الوحيد الذي ستذهبين إليه هو الفيلا، للقيام بدور الزوجة

www.elromancia.com

السعيدة.

- أنا لست واحدة من فريق عملك، كما أنني لست فرداً من عائلتك، لذا أنا لا أتلقى الأوامر منك.

أجاب ريكو بهدوء وبرودة: «لم تفعلي ذلك يوماً، لكن مع ذلك، هذا ما ستفعلينه الآن بالتحديد».

- بأي وسيلة ستعمل على إكراهي وإخضاعي؟

مالت ستاسيا برأسها إلى جانب واحدٍ، ثم حدقت به بتحدٍ واضح وهي تتابع: «هل ستلوي إبهامي أم ستعذبني؟».

- لست بحاجة إلى استعمال أي من هذه الأساليب العنيفة. كل ما عليّ القيام به هو إصدار تعليماتي للمصرف بتوقيف القرض المقدم لمتجر التحف القديمة الخاص بأمكِ.

تابع بهدوء، بعد مرور لحظات من الصمت المرهق: «اتصال واحد ستاسيا. هذا كل ما عليّ القيام به».

ساد صمت طويل بينهما، لم يقطعه سوى صوت أنفاس ستاسيا المتسارعة. عندما تمكنت أخيراً من الكلام، بدت نبرة صوتها مرتجفة، بعيدة كل البعد عن نبرة امرأة هادئة واثقة من نفسها: «لا يمكنك أن تفعل ذلك. ما كان يجب حتى أن تعرف بشأن القرض».

هزت رأسها مستغربة، رافضة الاعتراف بأنه يقول الحقيقة.

- لا علاقة لك مطلقاً بذلك القرض.

علّق بملل: «والآن من هو المغفل بيننا ستاسيا؟ لماذا تعتقدين أنّ المصرف وافق على طلبكِ للقرض بسهولةٍ وبسرعةٍ قصوى؟».

حدقت ستاسيا به غير مصدقة، وأجابت: «لم يكن ذلك عملاً سهلاً. قدمنا لهم أكثر من خطة ناجحة لعملنا...».

قاطعها بنعومة:

خطط طموحة جداً في الواقع، لكنها بدون أي ضمانات. تمّ تقديم القرض لكِ، لأنني وافقت على أن أكون الضامن.

- هذا غير صحيح. أنتَ تكذب

لم يبعد ريكو نظره عنها. قال بثقة: «يمكنك الاتصال بالمصرف الآن».

تسارعت أفكارها، وجالت على كل الاحتمالات الممكنة، وهي تفكر بالوقائع التي جرت أثناء قيامها بإجراءات القرض: «لكنني قدمت طلب القرض باسم أمي. أنا لم أذكر اسمك أبداً».

- أنت مازلت زوجتي، ولدي ما يكفي من المشاكل التي تدفعني لأبقى بعيداً عن الأنظار.

تابع ريكو باستياء وفظاظة: «أحد العاملين في المصرف علم من أنت من خلال الأوراق المقدمة. بعد ذلك كانوا سعداء جداً بتقديم المساعدة لكِ بكل وسيلة ممكنة».

برعب تنامى في أعماقها، تذكرت ستاسيا كيف أن فريق العمل في المصرف تحول فجأة من التكلف ووضع العوائق بكل ما للكلمة من معنى إلى الموافقة السريعة. في ذلك الوقت افترضت أنهم فعلوا ذلك بعد أن فكروا جيداً بخطتها العملية. كيف أمكنها أن تكون بهذه الحماقة؟ كيف أمكنها ألاّ تشك بأن علاقتها بريكو هي وراء ذلك التحول المفاجيء في موقفهم؟ ألم ترَ ذلك من قبل مئات المرات؟ ألم ترَ كيف أن الناس يتملقون لريكو، ويفعلون أي شيء لينالوا رضاه؟ أغمضت ستاسيا عينيها. هي لا تريد أن تصدق أنّ هذه هي الحقيقة، مع أنها في الواقع متأكدة منها. شعرت فجأة بقدميها ترتجفان وأنها فعلاً مريضة.

- لا، لم أرد أن يحدث ذلك أبداً. لم أرغب في أخذ شيء منك.

وإلا لأصبحت تماماً كما يحلو لأفراد عائلته أن يظنوا بها: «باحثة عن الذهب». مجرد التفكير بهذا الأمر يرعبها. لطالما أرادت أن تحقق النجاح بمجهودها الشخصي دون مساعدة أحد. لم تكن يوماً مهتمةً بأموال ريكو، بل اهتمت بالرجل نفسه. حدقت به ستاسيا من دون أن تدرك. قالت بنبرة متقطعة: «لماذا؟ لماذا... فعلت ذلك؟ نحن لم... نكن معاً».

لم تظهر على وجه ريكو الوسيم أي ملامح مفهومة، وهو يقول: «النقل إنه نوع من التعويض مقابل الخدمات التي قدمتها».

استدارت إلى الجهة الأخرى، كي لا يرى الألم على وجهها. هو يرى كل شيء من خلال المال، بما في ذلك علاقتهما. هذا التصرف يفسر بوضوح لماذا كان خلال فترة زواجهما يمطرها بالهدايا والمجوهرات الباهظة الثمن. بنظره، المال يمكنه تسوية الخلافات بينهما. كانت تشعر حينها أنها عشيقته لا زوجته. هذا التفسير الوحيد الذي يمكن إيجاده لمثل هذا الأمر.

قال ريكو بنبرة حازمة مؤكداً بشكل نهائي: «أنا أعني ما قلته ستاسيا. إما أن تبقي هنا، وتلعبي دور الزوجة المحبة إلى أن أقرر أنّ شيرا تعافت وأصبحت بخير، أو أنني سأقفل متجر أمك. أستطيع القيام بذلك، وهذا ما سأفعله إن اضطررت».

نظرت ستاسيا إليه بكره شديد، وهي تقول: «لا أستطيع التصديق أنك منحط إلى هذه الدرجة».

- رأيك في الموضوع لا قيمة له عندي مطلقاً.

كورت ستاسيا يديها بقبضتين كي تمنع نفسها من ضربه مجدداً.

- إن قمت بأي عمل يسبب الأذى لأمي...

قاطعها بنبرة ناعمة قائلاً: «القرار بين يديك، إن كانت أمك ستصاب بالأذى أم لا. وافقي على البقاء كزوجة لي حتى تستعيد شيرا ذاكرتها، وسيبقى القرض على ما هو عليه. عندما يتم الطلاق بشكلٍ نهائي سأعمل على إيفاء القرض، فيصبح العمل ملكك».

أبتلعت ستاسيا غصة في حلقها بصعوبة. بدت نظرتها إليه مليئة بالكره وهي تفكر بالوضع الذي زجها فيه. لم يترك لها أي خيار، وهو يعلم ذلك.

- أنت قاسٍ وعديم الرحمة.

- عندما أريد أمراً ما، أقوم بأي شيء للحصول عليه. إن كان هذا يعني أنني عديم الرحمة، إذاً نعم، أنا بلا رحمة.

رفع ريكو كتفيه بلا مبالاة، مظهراً أنّ هذا الاتهام لا يسبب له أي مشكلة. استدارت ستاسيا مبتعدة عنه باشمئزاز، هي تعلم أنه طبّق تلك الطريقة بالتحديد ليتمكن من اللحاق بها. أراد الحصول عليها، وكان مستعداً للقيام بأي شيء ليحصل عليها. قالت بصوت يعلو قليلاً عن الهمس: «لماذا تفعل ذلك؟ زواجنا كان كارثة، كلانا يعلم هذا. لماذا تريدني بقربك من جديد؟».

منذ أكثر من سنة لم يتصلا ببعضهما. من المؤكد أنه لا يستطيع أن يطلب منها ذلك. أظهرت نظرته السريعة إليها عمق كرهه لها، وهو يقول: «أنا لا أريدك قربي من جديد، لكن شيرا بحاجة إلى محيط ثابت وآمن. إلى أن تستعيد ذاكرتها، هي بحاجة إلى الحماية من أي صدمة، كما أن زواجنا لم يكن كارثة!».

لمعت عيناه منذرتين بالخطر، فيما تابع: «لكنك كنتِ عنيدة جداً للسماح له بالنجاح، ومستقلة بشكل عنيف لتتقبلي أنّ الزواج يعني المشاركة. لن أسمح بمعاقبة شيرا بسبب فشلك في تقبل هذه الأمور، ولا أريدها أن تعلم أنّ علاقتنا منتهية وفاشلة».

للحظة حدقت إليه ستاسيا بغموض كلي مندهشة من اتهامه. أهو من يقول لها إنّ الزواج مشروع مشترك بين شخصين، وإنها عنيدة... في حين أنّ كل التضحيات والمسامحة كانت من قبلها فقط؟

هزت رأسها غير قادرة على استيعاب ما يجري معها. قالت: «لا أستطيع التصديق أنك تفعل ذلك بي وبنفسك».

ما يجري يسبب له الألم أيضاً. بإمكانها أن تقرأ كرهه لهذا العمل في ملامح وجهه الوسيم ومن خلال لغة جسده، فهو يحرص على إبقاء مسافة آمنة بينه وبينها، كأن الاقتراب منها يفسده. حدقت ستاسيا إليه بيأس وحزن. لا عجب أنه رجل أعمال ناجح. إنه كباقي صائدي الفرص الخطيرين، يبحث عن نقاط ضعف ضحيته، ثم يستعملها ليحقق ما يسعى إليه. كيف أُغرمت برجل مثله؟ أهي عمياء حتى لا ترى ميزات شخصيته؟ كيف أمكنها أن تظن أنّ هذا الرجل قادر على امتلاك

عاطفةٍ رقيقةٍ مثل الحب؟

- إنه ليس بحل عملي ريكو. أنا بحاجة إلى العمل، ولدي التزامات علي إنهاؤها.

حدق إليها ريكو بغضب وهو يقول: «بإمكانك العمل في الفيلا، لكنك لن تسافري. أي عمل قد يدفعك للرحيل عن صقلية عليه الانتظار حتى تسمح حالة شيرا بأن نخبرها الحقيقة».

أرادت أن تجادله، لكن كيف يمكنها ذلك، في حين أنّ سعادة أمها تعتمد على طاعتها له؟ وهو لم يترك لها أي خيار. لا علاقة لزواجهما بما يحدث الآن، المسألة تكمن في حاجته إلى السيطرة وتنفيذ ما يريد. بالكاد استطاعت التلفظ بالكلمات: «حسناً! أوافق على القيام بذلك، لكن لا تتوقع مني أن أحب ما تفعله».

لم يبعد ريكو نظره عنها. بدت السخرية واضحة في نبرة صوته وهو يقول: «كم تتغير الأمور! أتذكر عندما كنت تتصلين بي على هاتفي النقال، وتتوسلين إلي كي أعود إلى البيت لأكون قربك».

آلمتها كلماته. من القسوة أن يذكرها كم كانت صريحة وصادقة معه. في تلك الأوقات لم تشعر بالحرج مطلقاً من الاعتراف بشعورها نحوه، مع أنه لم يقل لها يوماً إنه يبادلها ذلك الشعور. أدركت ستاسيا في النهاية ومن خلال تبصرها في الأمور أنه لم يفعل ذلك لأنه لم يشاركها تلك العواطف. كيف له أن يعبر عن عاطفة لا يشعر بها؟ رفعت ذقنها محاولة أن تتعلق بما تبقى لها من كبرياء.

- أنا لا أتوسل مطلقاً.

أجاب ريكو بصوت ناعم أثار أشجانها: «بلى! كنتِ تتوسلين ستاسيا، بصوتكِ الشجي العذب. كنت أصل إلى البيت، فأجدكِ بانتظاري في غرفتنا متلهفة من شدة شوقك إليّ».

أغمضت ستاسيا عينيها. هي تكره الصورة التي يرسمها لها. صورة امرأة متعلقة، ضعيفة، وهذا ما أقسمت دائماً ألا تكونه. لم تكن أبداً سعيدةً بالمرأة التي أصبحت عليها بعد زواجها بهذا الرجل. قالت

ببرودة وهي تبذل جهداً كبيراً لتبقى متماسكة وقوية: «آه، بالطبع! ما زلت أتذكر فترات الانتظار. أتذكر الأيام التي لا تنتهي والأسابيع التي تمر بانتظار عودتك إلى المنزل من رحلة عمل أخرى، فيما أنا جالسة هناك وحيدة، والملل يقتلني».

- شعرت بالملل إلى درجة أن أصبح لديك حبيب.

- ليس هذا ما حدث.

- إذاً كيف تفسرين وجود رجلٍ في غرفة نومنا؟ غرفة نومنا!!

ساد الصمت والتوتر بعد ذلكَ الانفجار الغاضب. شعرت ستاسيا أن قلبها سيتوقف عن النبض بين ضلوعها. هما لم يتحدثا أبداً عما حدث. لسعها الاتهام الواضح في عينيه. أصابها الرعب من الوضع المدمر لعلاقتهما، فغادرت روما ولم تعد، متوقعة منه أن يتبعها وأن يطلب منها تفسيراً لما حدث، لكنه لم يفعل. رفعت حاجبها مستغربة، وأجابت: «أتريد أخيراً التحدث عن الأمر؟ عمّ تود التحدث بعد مرور سنة كاملة؟ ألا تعتقد أن الوقت تأخر قليلاً على القيام بذلك؟».

اختار ريكو أن يتجاهل سخريتها، لكن علا الاحمرار ملامح وجهه الوسيم، وهذا يعني التحذير من إثارة المشاكل. سألها بغضب: «هل أدرك المسكين كم أنتِ خطيرة؟ لا يمكن لشابٍ صغيرٍ مثله أن يسعدكِ».

شحُب وجه ستاسيا. هي لم تعرف رجلاً غيره. إنه الرجل الوحيد في حياتها. الرّجل الوحيد الذي أحبته وتزوجت به، لكنه لا يشعر بأهمية هذه الأمور.

مرّر ريكو يده في شعره الأسود، ثم قال وهو يزفر بقوة: «يا إله السماوات! لماذا نتحدث عن الأمر الآن؟ أنا بحاجة إلى تنشق بعض الهواء، وإلا سأقوم بعملٍ قد أندم عليه لاحقاً».

رماها بنظرة خطيرة محذرة، جعلتها تدرك جيداً مدى الغضب والعدائية المسيطرين عليه. استدار ريكو، وغادر الغرفة مغلقاً وراءه الباب بقوة.

٦ - عذاب الحب

سُمِح لشيرا بالعودة إلى المنزل بعد مرور أيام قليلة، مع تعليماتٍ واضحة بتأمين وسائل الراحة لها، ومراقبتها بشكلٍ دائم. شعرت ستاسيا بالارتياح لأن المراهقة أصبحت بخير لدرجة كافية تسمح لها بالخروج من المستشفى والعودة إلى المنزل، لكن التوتر مازال يسيطر عليها ويضغط أحياناً على أعصابها. أمضت شيرا وستاسيا أوقاتاً طويلة معاً عندما كانت ستاسيا تعيش في روما كزوجةٍ لريكو. كانت تلك الأوقات مليئة بالتوتر والضيق. هي تعلم أنّ شيرا تكره الفيلا في صقلية، إذ تجدها معزولة ومملة جداً. كيف تراهما ستتصرفان وهما مجبرتان على التواجد برفقة بعضهما في الأسابيع القادمة؟

لكن شيرا بدت مختلفة تماماً. منذ اللحظة الأولى التي وصلت فيها إلى الفيلا، بدت متشوقةً لإسعاد الجميع ومصممةً على ألا تسبب المضايقة لأحد، كما أنها سُحرت بالمنظر الرائع الذي تطل عليه الشرفة.

حدقت بشوقٍ إلى الشاطىء الخاص حيث أمواج المحيط تتلاطم وتتكسر على الشاطىء الذهبي، وسألت: «هل تعتقد أنني قادرة على السباحة في البحر؟».

أجاب ريكو وهو يقدم لها قبعةً، ويشير نحو مقعدٍ طويل للتمدد تحت أشعة الشمس: «جربي البركة أولاً. اجلسي، ودعي ماريا تحضر لكِ شراباً. من الأفضل أن تحاولي الاستلقاء والنوم قليلاً. عليّ إجراء بعض الاتصالات الهاتفية. إن احتجت إلى شيء، اسألي ستاسيا. سأراكِ أثناء العشاء».

لامس رأس أخته بحركة لطيفةٍ وعاطفيةٍ، ثم استدار مبتعداً، تاركاً

إياها تحدق به.

- إنه يعاملني دائماً كأب وليس كأخ.

تمتمت شيرا بذلك، فحدقت ستاسيا إليها بقلق. ماذا عليها أن تقول؟ في السابق، كانت شيرا تكره ذلك الاهتمام، وتكره أن يكون ريكو حازماً جداً معها. علقت ستاسيا بنبرة هادئة: «إنه يحبك كثيراً».

لحسن الحظ، نامت شيرا طوال فترة بعد الظهر. ذهبت ستاسيا للتجول في بساتين الفاكهة المحيطة بالفيلا، وهي تقاوم الذكريات التي هاجمتها بقوة. عندما أحضرها ريكو للمرة الأولى إلى هنا، أُغرمت بالجزيرة، وأعجبت بالتمازج بين الحضارة والتاريخ وجمال المناظر الطبيعية. طلبت من ريكو أن يأخذها إلى كل الأماكن المشهورة. زارا معاً المعابد اليونانية الرائعة، والكاتدرائيات النورماندية والقصور، وعند ارتفاع حرارة الطقس وتواجد الناس بكثافة حولهما، كانا يعودان إلى الفيلا الهادئة المكيفة ليستمتعا برفقة بعضهما. تلك الأيام السعيدة المميزة أعطتها بعض الأفكار الواضحة عن معنى أن يكون الإنسان من صقلية. علمت أنّ هذا الأمر يعني الكثير بالنسبة لريكو.

سارت ستاسيا تحت الأشجار غارقة في أفكارها. قطفت برتقالة لتأكلها، ثم عادت إلى الشرفة الباردة المغطاة بتعريشة من الدوالي. وجدت أنّ شيرا مازالت نائمة، فاستلقت على مقعد طويل، وانشغلت برسوماتها، مستمتعة بالهواء العليل القادم من البحر.

في الوقت الذي استيقظت فيه شيرا، وجدت أن الوقت حان لتبدل ثيابها استعداداً لتناول العشاء. عادت إلى غرفة النوم التي كانت تشغلها طوال فترة وجود شيرا في المستشفى، لكنها وجدت الغرفة خالية من أغراضها تماماً. ذهبت على الفور لتسأل مدبرة المنزل عن الأمر.

- تمّ نقل أغراضك كلها إلى الجناح الرئيسي في الفيلا، سنيورا.

قالت لها المرأة ذلك باحترام. قطبت ستاسيا جبينها. لماذا يقدم ريكو على مثل هذا العمل؟ شعرت بضيقٍ مفاجىءٍ، فاندفعت نحو غرفة النوم الرئيسية. دخلت إلى الغرفة من دون أن تزعج نفسها بطرق الباب.

في اللحظة ذاتها، خرج ريكو من غرفة الاستحمام وقد لف منشفة حول وركيه، فيما جسده البرونزي يلتمع من رذاذ الماء.

جمدت ستاسيا مكانها، شاعرة أنّ أنفاسها حُبست في صدرها. جالت عيناها على كتفيه العريضتين وعضلاته القوية، وحبست آهةً من الشوق إليه. تذكرت أخيراً أنها بحاجة إلى التنفس، لكنها لم تستطع أن تبعد نظرها عنه. لم يُظهر ريكو أي انزعاج من تحديقها به، بل حدق إليها بدوره قائلاً: «حسناً! لو أنّ أختي الصغرى تستطيع رؤيتنا الآن، لما واجهنا أي مشكلة في إقناعها أننا منجذبان لبعضنا».

ما إن أنهى كلامه حتى رفع حاجبيه بسخرية واضحة. استدارت ستاسيا وكأنه صفعها، متفاجئة من قوة استجابتها له.

لقد حدقت به طويلاً... آه، بالإلهي! استدارت متوردة الوجه من شدة الخجل، لكن ريكو ضحك بصوتٍ عالٍ، غير أنّ ضحكته لم تحمل أي أثر للمرح.

- أعتقد أن الوقت تأخر كثيراً كي يتظاهر أي منا بعدم الاهتمام بالآخر.

قال ذلك وهو يسير، فيما تابع يقول: «حقيقة أنني مازلت معجباً بكِ بالرغم من معرفتي بما تفعلينه، دليل واضح على جاذبيتك القوية، حبيبتي».

سمعت ستاسيا نبرة حادة وغاضبة في صوته، ما دل بوضوح على أنه غير راضٍ مطلقاً لمعرفته أنه مازال منجذباً إليها. أبقت نظراتها منخفضة، وضمت يديها إلى بعضهما وراء ظهرها، كي تخفي ارتجافهما. قالت بصوت مرتعش، وكأن الغرفة فرغت من الهواء فجأة: «قالت لي ماريا أنّ أغراضي نُقلت إلى هنا، وأريد أن أعرف السبب».

سار ريكو نحو غرفة ملابسه قائلاً: «ماذا تعتقدين؟».

أمسك بقميص قصيرة الكمين، وشدها إلى جسده من فوق رأسه. أغمضت ستاسيا عينيها، وهي تتمنى أن ينتهي من ارتداء ملابسه بسرعة. ارتدى ريكو ثيابه. بدت السخرية في عينيه السوداوين كالليل وهو

يقول بتحدٍ: «اعتقدت أنّ السبب واضحٌ جداً».

انتظرت ستاسيا أن تشعر بشوقها وحماسها إليه يموتان، لكن كما يبدو ليس هناك من أثر لذلك. جسدها كله يتقد كالنار أمامه. كل ما في الأمر أنها لم تفكر بأي علاقةٍ جسديةٍ طوال سنةٍ كاملة. قالت ذلك لنفسها بسرعة، وهي تتراجع نحو الباب، محاولةً تجاهل ما تشعر به. قالت: «سأعود في ما بعد».

قال ريكو بنبرة ناعمة: «بالطبع ستفعلين. من الآن فصاعداً ستنامين هنا. وستقومين بكل الأشياء التي يقوم بها أي زوجين عاديين في غرفة نومهما».

جمدت ستاسيا مكانها، وسألته: «هل تتوقع مني أن أتشارك معك هذه الغرفة؟».

- دون أدنى شك.

- إذاً لا بد أنك مصاب بوهم كبير.

شعرت بقلبها يضطرب في صدرها وهي تتابع: «ليس هناك من مجال أبداً لأن أنام هنا معك».

لا يمكن أن يكون جدياً في ما يقوله. لا يمكن أبداً...

سار ريكو عبر الغرفة بهدوء، ثم قال: «إذاً سأتصل بالمصرف».

رفع سماعة الهاتف، فتوقفت ستاسيا عن الحركة تماماً. قالت بحدة: «لا!».

رفعت يدها إلى جبهتها وهي تحاول أن تفكر بوضوح. تابعت: «لا تفعل ذلك. ضع الهاتف جانباً».

شعرت بقلبها يغوص في صدرها وهي تفكر بالخيارات المتاحة أمامها. إنه لا يترك لها أي خيار. لكن كيف يمكنها أن تتشارك معه الغرفة نفسها؟ هذا أسوأ نوع من أنواع العذاب.

أعاد ريكو سماعة الهاتف إلى مكانها، وحدق مباشرة في عينيها قائلاً: «من الآن فصاعداً، هذه هي غرفتك. غرفة شيرا لا تبعد أكثر من بابين من هنا. إن لم تنامي هنا، سوف تعلم».

أجبرت ستاسيا نفسها على التنفس بهدوء قبل أن تقول: «لكنني لن أنام في السرير نفسه معك».

نظر إلى ساعة يده متجاهلاً تعليقها الغاضب، وقال: «العشاء بعد عشر دقائق، ألست بحاجة لتبدلي ملابسك؟».

حدقت إليه ستاسيا بغضب واضح للحظة، ثم سارت نحو غرفة الملابس، وأغلقت الباب بقوةٍ وراءها.

* * *

تمهلت ستاسيا في تناولها للعشاء، راغبة في إطالة الوقت قدر ما تستطيع قبل عودتها إلى غرفة النوم. غرفة نوم ريكو.

قالت شيرا بسعادة وهي تسكب في طبقها المزيد من الزيتون: «من الرائع العودة إلى المنزل، لكنني أشعر بالذنب لأنني جعلتك تبقى هنا. أنا أعلم أنك راغب في العودة بسرعة الى روما، ريكو».

قفزت ستاسيا في مكانها ما إن غطت يد ريكو يدها وهو يقول: «كما ترين، إنها فرصة مثالية لأمضي بعض الوقت مع ستاسيا».

حدق بهذه الأخيرة بعينين كالمخمل، وهو يتابع: «ابتعدت عنها بما فيه الكفاية في الماضي بسبب العمل، وأنا راغب في التعويض عن ذلك».

رفع يد ستاسيا إلى شفتيه وعيناه تعدانها بالكثير. شعرت ستاسيا بغصةٍ تكبر في حلقها. تلك هي الكلمات التي كان يجب أن يقولها عندما كانا لا يزالان متزوجين ويعيشان معاً، وليس الآن، بعد أن فات الأوان على ذلك، وفقط من أجل شقيقته.

ابتسمت شيرا جاهلةً تماماً للأجواء السائدة في الغرفة. علقت قائلة: «حسناً! أعدكما أنني لن أزعجكما هذه المرة. بإمكانكما أن تمضيا فترة رومنسية بقدر ما تشاءان، حتى إنكما لن تلاحظا وجودي».

سحبت ستاسيا يدها من يد ريكو، وأسقطت شوكتها من اليد الأخرى.

- آسفة! أشعر ببعض التعب. أعتقد أنني سأنام باكراً.

تجاهلت نظرة ريكو المحذرة، ونهضت على قدميها وهي تتابع: «أتمنى لك ليلة سعيدة، سأراك عند الفطور».

ما إن انهت كلامها حتى غادرت الغرفة لتبحث عن الأمان في غرفة النوم. لو أنّ هناك مفتاحاً لأقفلت الباب، لكن لم يكن هناك أي مفتاح. علمت أنها مسألة وقت فقط قبل أن يأتي ريكو إلى الغرفة.

دخل ريكو الغرفة بعد دقائق وعلامات الغضب بادية على ملامح وجهه الوسيم. جالت عيناه على وجهها الشاحب.

- من الأفضل لك أن تعملي بجهدٍ أكبر على ما تظهرينه، وإلا سأقوم بالاتصال بالمصرف.

جلست ستاسيا على حافة السرير وهي تشعر بالمرض فعلاً. قالت: «أنا أجد صعوبة في الكذب. ربما... هذا أمرٌ عليّ أن أتعلمه».

نصحها ريكو بصوتٍ ناعمٍ: «إذاً تعلمي بسرعة، وألاّ فإن الاتفاق ملغى».

٦- هذا ما أحاول القيام به.

- هل تقولين إنّ جلوسكِ صامتة طوال فترة العشاء محاولة؟

رفع حاجبيه متسائلاً وهو يتابع: «أمضيتِ الأمسية وأنتِ تحدقين في طبقكِ. ماذا حدث لكِ؟ أين هي نظراتكِ المحبةِ لي؟».

- أنا أعمل على... هذا.

- إذاً اعملي بجدٍ وبسرعةٍ أكبر. من الآن فصاعداً أريدكِ أن تتحدثي كما كنتِ تفعلين عادة. الصمت ليس من طباعكِ. كلانا يعلم ذلك جيداً. أريدكِ أن تبتسمي وأن تتصرفي كأنك لا تستطيعين الابتعاد عني، حبيبتي.

- حتى لو كنت أرغب بخنقك؟

لمعت عيناها بشيء من الحرارة، ولمعت عيناه على الفور استجابة لها. قال مقترحاً وهو يبتسم ابتسامة جعلتها تدرك أنها في خطر: «وفري ذلك لغرفة النوم. في العلن أريدكِ أن تتصرفي كأنكِ متيمة بي».

نظرت ستاسيا إليه وهي تشعر بالألم والمرض قائلة: «لكنني لست

متيمة بك».

- هذه كذبة، وكلانا يعلم ذلك.

قال ريكو ذلك بنعومة، ثم اقترب منها بحركة بطيئة.

- ربما يكره كلانا تلك الحقيقة، لكننا لا نستطيع أن نبعد أيدينا عن بعضنا عندما نكون معاً. ربما أنتَ بحاجة لأذكرك بهذا.

حاولت ستاسيا أن تهرب بعيداً عن السرير، لكنه تحرك بسرعة البرق، واضعاً ذراعه حول خصرها ليمنعها من الابتعاد.

- دعني! لم يكن هذا جزءاً من اتفاقنا.

شعرت بقلبها يدق بعنف كأنه سينفجر. رفعت يديها إلى صدره راغبة في دفعه بعيداً عنها، لكن ما إن لامست أطراف أصابعها صدره، حتى رغبت في الالتصاق به. بيأسٍ شديد حاولت أن تستجمع كل ما لديها من قوة لتحرر نفسها من قبضة يده، لكنه كان قريباً جداً، وساحراً جداً... فجأة شعرت ستاسيا بالدوار، وبدا كأن رأسها أصبح خفيفاً.

مضى وقتٌ طويل، طويل جداً منذ آخر مرةٍ ضمها إليه... وقتٌ طويل منذ أن تنشقت عطره آخر مرةٍ وشعرت كم هو جذاب.

بقيا على هذا النحو للحظة، كأنهما يرغبان في استعادة توازنهما بسبب قوة ما يشعران به، بعد ذلك أخفض ريكو رأسه وعانقها.

شعرت ستاسيا أنها لم تعد تستطيع الوقوف. بدا الشوق في داخلها قوياً لدرجة شعرت معها أنها بحاجة إلى كل ما لديه من حبٍ وشوقٍ لها. لا شيء آخر يهم الآن. تأوهت، فرفع ريكو رأسه ليحدق بها وهو يبتسم، لكنها أغمضت عينيها راغبة في عدم التفكير بأي شيء غير الإحساس الذي يخلقه في كيانها كله.

قال بصوت عميق: «لطالما كنتِ المرأة الأكثر جمالاً وجاذبية التي عرفتها في حياتي. لا عجب أنه كانت لديك علاقة ما، لأنني كنت أتركك بمفردك لأوقات طويلة جداً».

شعرت كم أنّ تعليقه قاسٍ وظالم، لا سيما أنها غير راغبة في الإجابة عليه. أغمضت عينيها متجنبةً الإجابة، لكنها قالت بعد قليل:

«ريكو! لا... أنتَ لا تقصد ذلك».

- كلانا نعلم ما الذي نريده، وما أريده الآن بالتحديد هو زوجتي العزيزة، أنتِ.

حاولت ستاسيا أن تدفعه بعيداً عنها، أن تجادله، لكنها لم تستطع، فقالت أخيراً: «أنتَ لا تريدني».

- أحقاً؟ لسوء الحظ، العقل والجسد لا يعملان دائماً معاً بتناغم.

- أنتَ تعتقد أن لدي عشيق.

- كما قلت لك، العقل والجسد لا يعملان بتناغم معاً. معرفة أنك خائنة لا ينهي مشكلتي.

أصبح صوته قاسياً وهو يحدق بعينيها ويكمل: «في هذه اللحظة، أنا حقاً لا أهتم بالماضي. عليّ أن أتخلص من فكرة أنّ هناك رجالاً غيري في حياتك، بينما كنت أعتقد أنني رجلكِ الوحيد، لأنني - كما تعلمين - لست ناجحاً في المشاركة».

شعرت ستاسيا بجرح عميق لا يمكن تحمله. أجابت على الفور: «إن كنت خائنة، فماذا تكون أنتَ إذاً؟».

- بائس.

لم يدعها ريكو تتكلم أكثر، إذ ضمها إليه بقوة. حملها إلى السرير بقسوة لم يعهدها في نفسه من قبل. أما ستاسيا فلم تعترض مطلقاً، بل نشجت باسمه ورفعت رأسها إليه ليعانقها، كأنها تقدم له قلبها. ضمته إليها وغرقت في دفء صدره. إنها لم تتوقف لحظة عن حب هذا الرجل. إنه يثير غضبها أكثر من أي رجل آخر تعرفت به، ومع ذلك هي لا تستطيع التوقف عن حبه، لذا استسلمت له بطيبة خاطر...

* * *

أغمضت ستاسيا عينيها وكورت جسدها بملاصقة ريكو، فشعرت بدقات قلبه وبحرارة بشرته. تساءلت كيف ستتمكن من التقدم في حياتها في حين أن هذا هو الرجل الوحيد الذي ترغب في البقاء بقربه. أخيراً، ابتعد عنها ريكو ونهض عن السرير، واضعاً ساعده فوق عينيه، ما

جعلها تشعر بالحرمان.

ابتلعت غصةً، وخاطرت بالنظر إليه، إلاّ أنها ندمت على القيام بذلك على الفور. إن كان هناك رجلٌ حزينٌ ومعذبٌ في هذه اللحظة بالذات، فلا بد أنه ريكو. إن كانت تتوقع سماع كلمات حب ناعمة، فسوف يخيب أملها. ليس هناك أمل في إطالة الحميمية بينهما، بل هناك هالة من إدانة الذات بقوة، لدرجة أنها قادرة على الإحساس بذلك في الجو المحيط بها. من الواضح أن ريكو يشعر بالضيق لأنه استسلم لرغبته فيها. من دون أي كلمة أو نظرة أخرى، سار نحو غرفة الحمام وأغلق الباب وراءه.

عندها فقط سمحت ستاسيا لدموعها بالانهمار على خديها.

إغلاق الباب وراءه عمل رمزي يمثل الحدود التي يضعها ريكو كريسانتي بينه وبين النساء في حياته، وهي لم تشكل لديه أي فرق. صحيح أنه تزوج بها، لكنه لم يشاركها بأي شيء غير العلاقة الحسية. هي اختارت أن تُغرم برجل مكتفٍ بعالمه الخاص، لذا هو ليس بحاجة ليغلق الباب كي يقيم حاجزاً بينهما. إنها ليست سوى عشيقة مع خاتم زواج في إصبعها. سمعت ستاسيا صوت تدفق الماء. تخيلته يغسل أثر علاقتهما عن جسده. معرفتها أنه يشعر بالحاجة إلى القيام بذلك يجرحها حتى الصميم، ومعرفة أنها لن تتمكن مطلقاً من التخلص من العواطف التي تكنها له يصيبها بألم لا يُحتمل. استدارت بسرعة على جنبها، وتكومت ككرة وهي تغطي نفسها بالغطاء. هي تحبه بقوة، وريكو لن يتمكن من مبادلتها تلك العواطف أبداً. بطريقة ما، عليها التعامل مع هذه الأحاسيس.

* * *

ياإلهي! لم يرغب في حدوث ذلك. مازال يشعر بالاشمئزاز من نفسه بسبب ضعفه. وقف ريكو تحت المرشة، تاركاً المياه الباردة تهدىء حرارة جسده. أغمض عينيه واتكأ على الجدار، وهو يحاول غسل إحساسه بالذنب والخجل. لقد تعامل مع ستاسيا بقسوة بالغة. مع

أنها شعرت بالسعادة بالقرب منه، إلاّ أن فقدان السيطرة على نفسه جعله يشعر بالغضب والانزعاج. هو يدرك أنه سبب لها الألم، وهذه الفكرة ترعبه. مهما كان ذنبها، ما من امرأة تستحق ذلك. أدرك أنّ المياه الباردة لن تخفف من إحساسه بالذنب. أوقف انهمار المياه ومدّ يده نحو المنشفة.

جفف عينيه، ولف المنشفة حول خصره. أتراه فعل ما فعله بسبب الكبرياء؟ سار نحو المرآة، ولاحظ لحيته النابتة بوضوح، فقطب جبينه باستياء. ستاسيا تركته ورحلت، لهذا أراد أن يثبت لها أنها لن تجد رجلاً مثله. ما إن لمعت تلك الفكرة في رأسه، حتى أمسك بحافة المغسلة بقوة جعلت أصابعه بيضاء اللون. لا علاقة مطلقاً هنا للكبرياء. كل ما في الأمر أنه لم يحسن التعامل مع فكرة وجودها مع رجلٍ آخر غيره. إنها امرأته!

بالرغم من الاستحمام بالمياه الباردة، لمعت قطرات من العرق على جبهته. أطلق ريكو شتيمة خافتة. هو مدركٌ تماماً للعواطف المتصارعة في أعماقه. الغيرة! إنه إحساسٌ بدائي لدى الرجل حيال امرأته، وهذا ماقاده لامتلاك ما هو له... لكنها لم تعد له. لقد رحلت. هو تركها تفعل، فيما كان منشغلاً وغاضباً مما يشعر به نحوها، لدرجة أنه لم يفكر بأي خيار آخر. ألهذا السبب أسرع بالموافقة على طلب الطبيب إحضار ستاسيا لزيارة شيرا؟ هل أراد دون وعي منه أن يحصل على فرصة أخرى معها؟ تنفس بعمق وحدّق بانعكاس صورته في المرآة. منذ اللحظة التي تلفظت فيها شيرا باسم ستاسيا علم أنّ هذا ما سيحدث. لا مجال مطلقاً لأن يتواجدا قرب بعضهما ولا يستجيبا لذلك الانجذاب القوي الذي يربطهما دائماً. تذكر موعدهما الأول. يومها أخذها لتناول العشاء في قصره في روما. أمضت ستاسيا الأمسية وهي تقول له إنها لن تمكث عنده، وإنها ستعود إلى الفندق. لكن اعتراضها افتقد إلى الإقناع، وكلاهما علما ذلك. كأنما قدر لهما أن يبقيا معاً، منذ اللحظة التي التقت فيها عيونهما في باحة الاستقبال الرخامية في مبنى شركة

كريسانتي. منذ تلك اللحظة لم يدعها ريكو تبتعد عنه. أراد أن يبقيها قربه، وهذا ما فعله بعرض الأمر الوحيد الذي لم يقدمه لأي امرأة أخرى: الزواج!

أعطاها ريكو كل ما يمكنها أن تتمناه، لكن بدا من الواضح أنّ ما قدمه لها لم يكن كافياً. معرفة ذلك تركت مرارة في أعماقه يستطيع تذوقها بفمه. حتى ليلة البارحة اعتقد أن لا مجال للعودة إلى الوراء، والآن فجأة لم يعد متأكداً من ذلك. ضحك بسخرية. هذا دليلٌ واضحٌ على أنه أحمق. مع معرفته بما هي عليه، مازال متعلقاً بها بشكلٍ كاملٍ. غسل وجهه بالماء البارد، وحدق إلى المرآة من جديد. بدت ملامح وجهه باردة فجأة. لماذا ينكر على نفسه ما يشعر به؟ ستاسيا امرأة جميلة، وهي مازالت زوجته. علاقتهما الجسدية رائعة، وبالرغم من إنكارها للأمر، فهي ما زالت تتوق إليه كما يفعل هو تماماً. ما من سبب منطقي يمنعهما من الاستمتاع معاً. أليست هذه أفضل أنواع العلاقات؟ لا كلمات حب فارغة المعنى ولا ارتباطات عاطفية. مجرد علاقة مدهشة بين رجل وامرأة منجذبين إلى بعضهما.

عندما تستعيد شيرا ذاكرتها، سيبتعد عن ستاسيا دون أن ينظر وراءه للمحة واحدة.

بعد أن تمكن ريكو من ترتيب الوقائع بهذه الطريقة، واستطاع إعادة النظر إلى ما حدث في غرفة النوم بدون أي إحساس بالذنب أو المرارة، مدّ يده إلى آلة الحلاقة وبدأ بحلق ذقنه.

٧ - صراحة... بعد فوات الأوان

عندما استيقظت ستاسيا في صباح اليوم التالي، وجدت الجهة الأخرى من السرير فارغة. بدا واضحاً لها من انتفاخ الوسادة قربها أنها نامت بمفردها، كما أنّ الأريكة الضيقة في زاوية الغرفة تحمل آثار وجود ريكو. أجفلت وهي تحاول أن تتخيل التبدل الذي طرأ على ريكو، والذي جعله يختار النوم بانزعاج هناك بدلاً من استعمال سريره. من الواضح أنه لا يريد التواجد في أي مكان قربها. تساءلت لماذا تملؤها هذه المعلومة بكل هذا اليأس والحزن. ما الذي توقعته؟ أن تستيقظ على عناق مليء بالحب؟ ماجرى ليلة أمس بينهما لا علاقة له مطلقاً بالحب. ريكو رجل جذاب جداً، وهو لن يحرم نفسه لأن سوء حظه أجبره على البقاء في الفيلا مع من ستصبح قريباً زوجته السابقة.

جلست على حافة السرير وهي تفكر بما جرى معها. ابتسمت بقلق، ثم توجهت إلى غرفة الحمام. من الواضح أنّ الاستحمام لفترة طويلة ليلة البارحة قد أفاده. ربما ستحاول استعمال العلاج نفسه.

شعرت ستاسيا بتردد في مواجهة ريكو من جديد، فهي لا تثق بقدرتها على إظهار الحب له كما طلب منها. أخذت وقتها في ارتداء ملابسها، آملة أنها، حين تظهر أخيراً، ستجد ريكو قد أنهى تناول فطوره واختفى في مكتبه ليعمل.

لكن يبدو أنها سيئة الحظ، إذ وجدته ممدداً على مقعد طويل على الشرفة، وهو يبدو بكامل وسامته وصحته، كأنه رجل نام بشكلٍ متواصلٍ لعشر ساعات كاملة، بدلاً من اختطاف لحظات متقطعة من النوم على أريكة. أخرت لحظة الانضمام إليه، واتجهت مباشرة إلى أقرب شجرة فاكهة. وقفت هناك لفترة قصيرة، غارقة في الذكريات الجميلة والمؤلمة

معاً، ثم مدّت يدها وقطفت برتقالة. لطالما شعرت ستاسيا بالدهشة والفرح معاً من إمكانية أن تقطف فطورها مباشرة من الشجرة، ولطالما سخر منها ريكو لأنّ متطلباتها بسيطة. قلبت البرتقالة في يدها، وحدقت بها مستمتعة برائحتها وحجمها. إنها حقاً ذات متطلبات بسيطة، لكن يبدو أن ريكو لم يفهم ذلك مطلقاً وكذلك عائلته. سارت على مضض إلى الشرفة لتنضم إليه.

وجدت شيرا تنهي قطعةً من الحلوى وتتحدث مع أخيها. رفعت نظرها وهي تبتسم ما إن جلست ستاسيا.

- نمت فترةً طويلةً. لا بد أنكِ متعبة حقاً.

قدمت الفتاة لستاسيا فنجاناً من القهوة، وضاقت نظرتها وهي تكمل: «هل تعرضتِ كثيراً لأشعة الشمس البارحة؟ بشرة عنقكِ شديدة الاحمرار».

أدركت أنّ ريكو يراقبها، وقد التفت أصابعه الطويلة بكسل حول فنجان قهوته. مدّت ستاسيا يدها لتأخذ طبقاً وسكيناً، فيما قالت بهدوء: «لدي بشرة حساسة جداً».

تلوّن وجه شيرا ما إن فهمت ما تقصده. شعرت المراهقة بالخجل، وقالت: «آه! لم أقصد».

حدقت إلى جهة البحر، وأكملت: «من الواضح أنّ النهار اليوم حار جداً. قد أذهب إلى الشاطئ».

أعطى ريكو تعليماته على الفور: «حسناً! لكن خذي جيو معك. لا تذهبي بمفردكِ، ولا تمكثي هناك لفترة طويلة، ومن الأفضل أن تجلسي في الظل».

بدا واضحاً أن شيرا راغبة في الهروب من الوضع الذي خلقته. تمتمت شيئاً ما، وتحولت بشرتها إلى لون زهري، وهي تسرع نحو الفيلا.

راقبت ستاسيا انسحابها، ثم قشّرت البرتقالة بحركة ناعمة بالسكين.

- حسناً! أعتقد أن أختك الآن مقتنعة تماماً أننا زوجان بالفعل.

وضعت القشور في الطبق، وقطعت البرتقالة، هي تتابع: «لابد أنك

سعيد جداً، فقد سارت الأمور تماماً كما خططت لها».

أنهى ريكو فنجان قهوته، وقال: «لا! ليس هذا ما أردته بالتحديد. لدي إحساس بالندم بشأن ليلة البارحة».

- آه! أحقاً؟

حاولت ستاسيا جاهدة أن تبقي نبرة صوتها ثابتة وهادئة، وهي تتابع: «إقامة علاقة حميمة لم تكن جزءاً من خطتك. أليس كذلك؟».

أجاب بتوتر: «ستاسيا!».

- هل تعتقد حقاً أنني لم أعرف ما كان شعورك بعد علاقتنا الحميمة البارحة؟

على الرغم من جهودها، شعرت بنبرة صوتها ترتجف وهي تتابع: «لقد كرهت نفسك، ريكو! كرهت نفسك لأنك فقدت السيطرة، وهذا ما كنت تفخر به دائماً. كرهت نفسكَ لأنكَ أقمتَ علاقةً مع امرأةٍ مثلي».

تنفس ريكو بضيق، وعلق: «هذا غير صحيح».

شيء ما في نبرة صوته دفعها لترفع رأسها، وتنظر إليه. التقت عيونهما، فحبست ستاسيا أنفاسها. فجأة تذكرت كل لحظة مرت بهما الليلة السابقة، وبدا أن ريكو تذكرها أيضاً: الإحساس الغامر، المشاعر المفرطة، الشغف...

- لنتفق على... ألاّ يحدث ذلك ثانية.

أشاحت ستاسيا بنظرها عن وجهه، وأعادت انتباهها إلى طبقها. تساءلت إن كانت ستشعر من جديد بالرغبة في الأكل، إذ فقدت شهيتها حتى. تابعت: «ما من داعٍ لذلك، ألا إذا كنتَ ترغب في دعوة شيرا إلى غرفة نومنا. بإمكانك أن توفر كلمات الندم هذه».

قال ريكو: «لم أشعر بالندم لما حدث بيننا. لا نستطيع أنا وأنت أن نكون معاً من دون أن نقيم علاقة طبيعية بيننا. لا تتظاهري أنكِ كنتِ ضحية ليلة أمس، فقد أردت ذلك بقوة، مثلي تماماً».

أرادت ستاسيا أن تنكر ذلك. أرادت أن تمسح تلك النظرة الواثقة

www.elromancia.com

عن وجهه الوسيم، لكن كيف يمكنها ذلك؟ هي غير قادرة على إقناع نفسها، فكيف ستحظى بفرصة لإقناعه؟ وجدت خلاصها في الهجوم عليه، فقالت: «أنتَ تعتقد فعلاً أنكَ أفضل عاشق على وجه الأرض. أليس كذلك؟».

لم يتردد ريكو للحظة، بل حدق بها وعيناه تلمعان كالنار وهو يجيب: «إن كانت ردة فعلك البارحة أمر يمكن الاعتماد عليه، فالجواب نعم».

رفع كتفيه بلا مبالاة، فرطبت ستاسيا شفتيها الجافتين، متسائلةً إن كانت هناك أي وسيلة لتتعلم كيف تسيطر على ذاتها. رفعت ذقنها بسرعة، وسألته: «إذاً، علامَ أنتَ نادمٌ؟».

تحولت نبرة صوته إلى همس ناعم مليء بالعاطفة وهو يجيب: «كنت قاسياً معك، وربما سببت لكِ الأذى. أنا آسف».

فاجأها كلامه. دفعتها دهشتها لابتلاع الملاحظة القاسية التي كانت سترميه بها. لم تسمعه يعتذر من قبل على أي شيء مهما يكن، وهذه سمة ضمنت له النجاح في عالم الأعمال. عندما يفاوض ريكو بشأن أي اتفاق، ينتظر حتى يفقد الآخرون أعصابهم. فجأة شعرت بالتعاطف معه، وهذا أمر سخيف. قالت: «أنت لم تسبب لي أي أذى».

ابتسم ريكو وهو يقول: «حسناً! إن لم أفعل، فالسبب الوحيد هو أنك كنت مشتاقة لعلاقتنا مثلي تماماً».

غابت ابتسامته، وبدت عيناه باردتين، وهو يتابع: «إذاً ماهو عذركِ زوجتي الجميلة؟ ألم يكن حبيبكِ قادراً على إسعادكِ مؤخراً؟».

- تباً لكَ، ريكو!

نهضت ستاسيا بسرعة، ما جعل كرسيها يتحرك على أرض الشرفة محدثاً ضجة. شعرت بالغضب والحزن، لأنه بطريقة ما حوّل علاقتهما المليئة بالشغف والحب إلى شيء مرير وجسدي فقط. استدارت لتحدق به وتتابع: «أمضيت معظم الوقت في العمل. كنت تأتي إلى البيت فقط من أجل إقامة علاقة حميمة، مع أنك تستخدم المئات من الموظفين.

عليك أن تتعلم كيف توزع مهام عملك».

سارت خطوة أخرى نحو الفيلا، لكن يده أطبقت على رسغها مانعاً إياها من الهرب. شعرت بقلبها يدق بعنفٍ في صدرها، ما إن التقت عيناها بالغضب المشع من عينيه. أدركت أنه ما كان عليها قول ذلك.

- سآخذ برأيك عندما أحتاج إلى خبير في شؤون إدارة أعمالي، وإن كنت بحاجةٍ إلى درس في كيفية إرضاء زوجتي، سأطلب النصيحة منكِ أيضاً.

بدا صوته هادئاً، لكن عضلةً نابضة في خده أظهرت لها مدى غضبه. تابع قائلاً: «من الواضح أنني كنت أتركك لفترات طويلة بمفردك، لكنني الآن أحذركِ أنك طوال مدة إقامتنا في الفيلا، لن تجدي الوقت لتنظري إلى أي رجل آخر، حبيبتي».

- ريكو!

تجاهل ريكو اعتراضها. أظهرت ملامح وجهه هدفاً معيناً وهو يرفعها بين ذراعيه بسهولة، ويحملها إلى غرفة النوم.

- ريكو، حباً بالله!

حاولت ستاسيا أن تقاومه للحظات، لكنها شعرت أن جسدها يتجاوب معه. كل ما عليه فعله هو أن ينظر إليها حتى تشعر بالضياع. شعرت بالشوق إليه، وبدأ جسدها يرتجف لمجرد لمسته. وضعها ريكو على السرير وهو يقول: «أردت المزيد من اهتمامي، والآن ستحظين به».

- ريكو! هذا كله تظاهر.

تمتم بصوتٍ عميقٍ، وهو يعانقها: «لا! ليس تظاهراً... أبداً».

أغرقها ريكو في عناقٍ حميم، قبل أن يصطحبها في رحلة من المشاعر القوية، ما جعلها تشعر أن غرامهما ليلة الأمس كان مجنوناً وعنيفاً، أما الآن فهما يتوهان في عالم آخر من الحنان والشغف...

سألها بعد فترة: «هل تشعرين بأننا نتظاهر، ستاسيا؟».

بالطبع تلك لم تكن حالتهما. فتح ريكو عينيه، ثم قال وهو يتأهب:

«من الأفضل أن تحظي ببعض الراحة، هكذا تحتفظين بنشاطك إلى وقت لاحق».

قفز من السرير برضى، كقناص قام باصطياد فريسته.

إلى وقت لاحق؟! شعرت ستاسيا بالدوار، وكأنها تعيش في جو من الضباب. حاولت بقوة أن تجد صوتها لتقول: «لا يمكننا الاستمرار في القيام بذلك ريكو».

قال بتلك الثقة التي تميز كل ما يفعله: «لِم لا؟ نحن ما زلنا زوجين في النهاية».

أهذا كل ما يعرفه؟ بالنسبة له، الزواج والعلاقة الجسدية مترادفان. الأمر فعلاً بهذه البساطة... ! هناك هوة كبيرة بينهما، وهو لا يشعر بها. هو يصدق أنها قادرة على القيام بعمل كريه كالخيانة، ومع ذلك قرر أنه يريدها لأن ذلك مناسب له. إنه مستعد لينسى كل شيء من أجل الحصول عليها. كأن مشاكلهما ليست هامة على الإطلاق، وربما هي كذلك بالنسبة لريكو. إنها جيدة في السرير، وهذا كل ما يريده منها. حدقت ستاسيا بالسقف غير قادرة على تفهم ما يجري معها. هل الرجال والنساء مختلفون إلى هذه الدرجة؟ كيف يمكنه أن يعيش معها هذه العلاقة الحميمة ولا يشعر بأي شيء؟ غطت عينيها بذراعيها كي لا تراه. هي تشعر بالحزن والغضب، لكنها تعلم أنها ترحب به دائماً بقربها. إنها تكره نفسها من أجل ذلك. ليتها تشعر بالملل وهي بقربه، وليت جسدها يبقى هادئاً كما يحدث عندما تكون مع أي شخص آخر. عندما يتعلق الأمر بريكو، تصبح امرأة أخرى. احتاجت ستاسيا إلى بضع دقائق لتدرك أنه انتهى من الاستحمام، وها هو يرتدي سروالاً قصيراً مع قميص فضفاضة مفتوحة عند العنق، تكشف عن جزء من صدره القوي. إنه ينضح وسامةً ونشاطاً.

- سننضم إلى شيرا على الشاطىء. أتريدين الذهاب بنفسك أم تفضلين أن أحملكِ إلى هناك؟

سؤاله دفعها للنهوض بسرعة، وهي تقول: «أريد أن أستحم».

أرادت أن تبدو هادئة وواثقة من نفسها، لكن يصعب عليها القيام بذلك، وهو يراقبها بهاتين العينين الثاقبتي النظرات، واللتين تجدهما ساحرتين ومقلقتين دوماً.

- إذاً أسرعي! لا أريد أن أتركها بمفردها لوقت طويل.

علقت ستاسيا: «هي محاطة بالحراس، لذا لا يمكن القول إنها بمفردها».

سارت نحو غرفة الحمام للمرة الثانية هذا الصباح. قال ريكو وهو يتبعها ويتكىء بكتفه على إطار الباب: «لكن هذا لا يعني أنني بقربها».

نظرت إليه بتصميم، وقالت: «لن أستحم وأنتَ تراقبني!».

قال ريكو ساخراً بنعومة، وهو يرمقها بنظرة إعجاب: «تأخرت قليلاً على الشعور بالخجل. ألا تعتقدين ذلك؟ لا سيما أنني أعرف أدق التفاصيل فيك؟».

حدقت به ستاسيا قائلة: «أنتَ لا تعرفني أبداً ريكو».

تشابكت نظراتهما، وهو يقول: «أنا أعرف كيف ألمسكِ، وكيف أجعلكِ تشعرين بالشوق إليّ».

سارت نحو الباب ودفعته بلطف، بالقدر الكافي لجعله يتراجع خطوةً، كي تتمكن من إغلاقه. قالت بهدوء: «هذه أمور حسية، ريكو. لكنني أتحدث عن الأمور العاطفية. وأنتَ في هذا المجال لا تعرفني أبداً. سأنضم إلى شيرا بعد خمس دقائق».

بعدئذٍ أغلقت الباب خلفها.

* * *

أخيراً سارت ستاسيا على الرمال. تفاجأت عندما رأت ريكو ممدداً قرب شيرا على الشاطىء، في مكانٍ مازالت أشعة الشمس بعيدة عنه. لم تدرك أنه لن يذهب إلى عمله، وأنه يود تمضية الوقت معهما.

- أليس لديك عمل ريكو؟

جلست في المكان الأبعد عنه. لسوء الحظ، كان ذلك القسم الأكثر تعرضاً لأشعة الشمس. رأته يقطب جبينه قائلاً: «لا رغبة لي بالعمل».

بدا صوته خشناً، وما لبث أن مدّ يده ليجذبها نحوه، وهو يتابع: «أنتِ تعلمين كم من السهل أن تحترق بشرتك. ابقي في الظل حبيبتي، ففي هذا الحر ستصابين بالمرض».

الاهتمام البادي في نبرة صوته والدفء الواضح في نظرته هما أكثر مما تستطيع ستاسيا تحمله. ذكّرت نفسها بسرعة أنّ هذا كله من أجل شقيقته لا من أجلها. عزّت نفسها بحقيقة أنه سينهض من مكانه في أي لحظة، ليذهب إلى العمل في مكتبه دون أدنى شك. تحركت على مضض نحو الظل، مع أنها ستصبح أقرب منه. ركزت اهتمامها على شيرا قائلة: «كيف تشعرين؟».

- جيدة، لكنني أشعر بصداع خفيف.

رفعت الفتاة نظرها عن مجلة للمراهقين كانت تقرأ فيها، وتابعت بحزن: «أنا لا أستطيع أن أتذكر أي شيء حدث منذ شهر العسل كما هو واضح. لهذا أنا أعتمد عليكما لملء هذه الفجوة».

قال ريكو بنعومة محاولاً أن ينصحها: «عيشي الحاضر فقط».

مدّ يده نحو مستحضر للوقاية من أشعة الشمس. وضع القليل منه على يده، ثم وضعه على ظهر ستاسيا، وأخذ يدلكه على بشرتها بنعومة. لم تستطع ستاسيا إلا أن تستدير وتنظر إليه على الفور. التقت عيونهما، وظهر الشوق فيها. هذا ما يحدث دائماً ما إن يتلامسا.

قاومت ستاسيا بشدة كي لا تتنهد بإحباط. هي لا تعلم كيف ستتمكن من مقاومة هذا الانجذاب القوي إليه. ضحكت شيرا وهي تنقلب على معدتها وتغطي عينيها بيديها.

- الآن أنا أعلم لماذا فقدت ذاكرتي. لا بد أن السبب هو رؤيتكما معاً خلال شهر العسل. إذا كانت هذه حالكما بعد سنة ونصف من الزواج، فلا بد أنكما كنتما لا تُحتملان عندما تزوجتما. هل كنتما تغادران غرفة النوم؟

قطّب ريكو جبينه دليل عدم رضاه عما قالته شقيقته. قال بنبرة حادة: «شيرا! لا يمكنك التحدث هكذا».

تنهدت شيرا وهي تجيب: «لم أعد طفلة، ريكو! أنا أعرف حقائق الحياة. عليك أن تقلق عليّ إن كنت لا أعرفها».

شهقت ستاسيا من الدهشة. إنها المرة الأولى التي تسمع فيها شيرا تواجه أخاها.

قال ريكو بحزم: «سأبقى قلقاً على أي شيء تقومين به».

مدّ يده، ولامس شعر أخته الأسود الناعم بحركة مليئة بالعاطفة قائلاً: «هذا ما يجدر بالأخ أن يفعله. من الطبيعي أن يقلق على أخته. لطالما شعرت بالمسؤولية نحوك، وأنتِ تعرفين ذلك جيداً».

ابتسمت شيرا معلقة: «الآن لديك زوجة يجدر بكَ أن تقلق عليها، ريكو. ما أود معرفته الآن، لِم لم تُرزقا بالأطفال بعد؟».

ربما هي المرة الأولى في حياته، التي يبدو فيها ريكو مصدوماً بشدة. ساد الصمت، وامتد لفترة طويلة. في النهاية علمت ستاسيا أنّ عليها أن تجيب: «ربما أكون أنا السبب».

قالت ذلك بهدوء، وهي تمد يدها لتمسك بيد ريكو. إن كان عليها أن تقوم بهذا الدور، من الأفضل أن تلعبه بمهارة. تابعت: «لدي عمل، كما تعلمين... عمل أحبه كثيراً، وهو يدفعني للسفر لكي أرسم. لم أرغب بأن يكون لدينا أطفال في بداية زواجنا، لذا قررنا الانتظار لفترة».

لم تكذب، إلاّ أنها لم تخبرها الحقيقة أيضاً. الحقيقة هي أنهما لم يقررا أي شيء معاً. هما لم يتحدثا مطلقاً عن الأطفال، كما أنهما لم يتحدثا عن أي شيء آخر ذي أهمية في حياتهما. تزوجا بسرعة وبساطة. غادر بعض التوتر كتفي ريكو. شدّ على يدها كأنه يوافق على ما قالته، ويشكرها في الوقت نفسه. من الواضح أنه يعتقد أن جوابها أكثر من كافٍ. علقت شيرا وهي تستدير على جنبها، وتنظر إليهما بمرح: «أتعجب كيف سمح لك بالانتظار. مع أنني فقدت جزءاً من ذاكرتي، لكنني أعلم أن أخي رجل تقليدي، وهو يريد من زوجته أن تنجب له العديد من الأطفال. إن سمح لكِ بعدم الإنجاب حتى الآن، فلا

تصدقي ذلك. لابد أنكِ ستصبحين حاملاً بعد وقتٍ قصير».

- آه، يا إلهي!

تورد وجه ستاسيا، أما ريكو فقطب جبينه.

- هذا يكفي شيرا.

قال ذلك محدثاً أخته، ومثبتاً عينيه على ستاسيا، يراقبها باهتمامٍ واضح: «هل تشعرين بالحر؟».

- لا!

هزت ستاسيا رأسها، وتمكنت من الابتسام. إنها لا تشعر بالحرارة بل بالرعب. لا أحد منهما فكر بهذا الأمر سابقاً. شعرت بدوار وهي تجري حساباً صغيراً في عقلها. علمت أن من الصعب جداً أن تكون حاملاً. بطريقة ما، وبالرغم من كل ما يحدث بينهما، هي لا تستطيع إلا أن تشعر بالحماس لفكرة حمل طفل ريكو في أحشائها. آه! أي نوع من الحماقات ترتكبه بتفكيرها هذا؟

وضعت شيرا مستحضراً واقياً من أشعة الشمس على ذراعيها وهي تقول: «قلت إنكِ لم ترغبي بوجود الأطفال بسبب عملك، والآن أليس لديكِ عمل؟».

حاولت ستاسيا أن تبعد أفكارها عن أمر الحمل والأطفال. قالت: «لم أعد أرسم الجداريات. أنا الآن أرسم اللوحات عند الطلب فقط، لذا لم أعد بحاجة إلى السفر بكثرة، إنما فقط في بعض الأحيان».

توقفت عن الكلام في الوقت المناسب، إذ أدركت وهي تشعر بالرعب أنها كانت ستخطىء في الكلام، وتقول إنها أحياناً تساعد أمها في متجر الهدايا. أدركت كم كانت قريبة من قول الحقيقة: أنها هي وريكو لم يعودا يعيشان معاً. عضت ستاسيا على شفتها، وأنهت جملتها بسرعة: «أحياناً أبقى في المنزل، وأتجول في الحديقة المحيطة به».

لم يكن ذلك بعيداً عن الحقيقة. منذ أن عادت من إيطاليا، لم تجد لديها الطاقة الكافية للقيام بأي شيء. ملاذها الوحيد كان كوخها الصغير. قالت شيرا بمرارة: «أتمنى لو أنّ بإمكاني أن أرسم!».

وضعت المستحضر جانباً، وتمددت على ظهرها مغمضة العينين، وهي تتابع: «يبدو لي أنه عمل رائع».

وافقتها ستاسيا قائلة: «إنه كذلك. لكنني أحياناً أشعر بالإحباط والضيق، إن لم أتمكن من رسم اللوحة كما ينبغي. يجعلني ذلك كالمجنونة».

- أحب أن أتعلم الرسم. أحب أن أعرف ما هو ضروري لمزج الألوان وكيفية استعمالها. هل تعلمينني؟

نظرت ستاسيا إلى المراهقة بدهشة، ففتحت شيرا عينيها: «ماالأمر؟ هل كنتُ أكره الرسم، أو ما شابه؟».

تعلم ستاسيا أنّ ريكو يراقبها بنظرة ثاقبة وعينين ضيقتين. استجمعت ذاتها، وقالت بصدق: «لا أعلم. لم نتحدث عن هذا الأمر من قبل».

قطبت شيرا جبينها، ثم رفعت رأسها على مرفقيها، وسألت: «إذاً، ماذا كنت أحب أن أعمل؟».

حدقت ستاسيا بها بيأس محاولةً أن تجد جواباً مناسباً. من الواضح أنّ الحقيقة غير مناسبة الآن. في النهاية قررت إبقاء جوابها غامضاً: «كنتِ مراهقة بكل ما للكلمة من معنى، تحبين الثياب الصارخة والأصدقاء».

تساءلت شيرا بحيرة: «أصدقاء. هل كان لدي صديق ما؟».

زفر ريكو بصوتٍ عالٍ. بدا كأن غيمةً من الغضب غطت وجهه الوسيم فجأة. قال: «لم يكن لديك صديق. كنت حازماً جداً بشأن هذا الأمر. معظم صديقاتك كنّ يمضين أكثر أوقاتهن في النوادي الليلية، برفقة الشبان. لحسن الحظ أنك لم تظهري يوماً الرغبة في تمضية أمسياتكِ بتلك الطريقة».

حدقت ستاسيا نحو البحر، محاذرة أن تظهر أي تعابير على ملامح وجهها، بسبب تحول الحديث إلى أماكن خطرة جداً. بعدئذٍ جلست شيرا، ولفت ذراعيها حول ركبتيها. ركزت نظرات عينيها على وجه أخيها قائلة: «إذاً، كيف كنت أمضي أمسياتي؟».

رفع ريكو كتفيه، وأجاب: «معظم الأوقات كنت تدرسين. أحياناً كنت تنضمين إلى العائلة لتناول العشاء».

أبقت ستاسيا نظرها على الأفق. أحياناً كانت شيرا تصاب بأزمات قوية كمراهقة، فتمضي الأمسية كلها في غرفتها. خلال الليالي التي يكون فيها أخوها غائباً، كانت تذهب إلى النوادي الليلية، أو تدعو أصدقاءها إلى المنزل. أصدقاء حرّم عليها ريكو رؤيتهم أو التحدث إليهم. رنّ هاتفه النقال، فنهض ريكو على الفور وهو يشتم بصوت خافت. نظر إليهما باعتذار وهو يقول: «عليّ أن أتلقى هذه المخابرة. سأعود بعد قليل».

سار مبتعداً عنهما. للمرة الأولى لاحظت ستاسيا الحراس الموزعين في أماكن مختلفة عند حدود الشاطىء، وهم يحدقون بحذر ليتأكدوا من عدم وجود سائح متجولٍ أو صحافي فضولي في أملاك كريسانتي الخاصة. مدّت شيرا يدها إلى زجاجة المياه وهي تقول: «هيا، تابعي! الآن وقد رحل، بإمكانك إخباري الحقيقة».

شعرت ستاسيا بجفاف في فمها. سألتها: «بشأن ماذا؟».

- حسناً! بالرغم من أنني فقدت ذاكرتي، لكنني أشعر أن هناك شيئاً ما في ما قاله ريكو غير صحيح.

أكملت شيرا وهي تحف جبينها: «أتمنى لو أنّ هذا الصداع يتوقف، وهذه الغيمة فوق ذاكرتي تزول. كأن كل الأجوبة التي أريدها موجودة هناك، لكنها مختبئة في مكانٍ ما».

اقترحت ستاسيا: «ربما علينا العودة إلى الفيلا».

لكن شيرا هزت رأسها، وأجابت: «سيبقى الصداع أينما ذهبت، لذا من الأفضل أن أبقى هنا».

نظرت حولها باتجاه البحر، وتنفست بعمق متابعة: «أحب هذا المكان».

حدقت ستاسيا بها، غير قادرةٍ على إخفاء دهشتها: «حقاً؟ يسعدني ذلك».

- لم أكن أشعر بذلك من قبل. أليس كذلك؟.

ترددت ستاسيا، ثم هزت رأسها وأجابت: «كنت تجدين المكان مملاً. لكنكِ أصبحت أنضج الآن، و...».

تابعت شيرا بنبرة صوت جافة: «...وأقل إثارةً للمشاكل؟ كان لدي صديق، وهو لا يعلم. أليس كذلك؟ يمكنني معرفة ذلك من وجهكِ».

جمدت ستاسيا في مكانها. كيف يمكنها أن تجيب عن ذلك؟ أمن المفترض أن تخبر شيرا الحقيقة؟ أتخبرها أن الرجل الذي وجده ريكو في غرفة ستاسيا تلك الليلة كان واحداً من أصدقائها؟ وأنّ شيرا هي السبب في دمار زواجهما؟ لا! بالطبع لا تستطيع أن تقول لها ذلك. من المفترض أن تتم حمايتها من الصدمات، وبكل الأحوال، أي مصلحة لها بإخبارها الحقيقة الآن؟ فات الأوان على إصلاح علاقتها مع ريكو، فقد انتهت منذ فترةٍ بعيدةٍ. ما يهم الآن هو تسهيل الأمور على شيرا كي تُشفى. هكذا تتمكن هي من العودة إلى إنكلترا في أقرب فرصةٍ ممكنة.

قالت ستاسيا أخيراً وهي تبتسم بحرارة لشيرا: «لا أعتقد أنّ الماضي يهم الآن. ما يهمنا هو الحاضر، وعليك أن تهتمي فقط بأن تصبحي أحسن حالاً».

حدقت بها شيرا للحظة، ثم هزت رأسها وهي تتنهد، قبل أن تستلقي من جديد.

- هذا الضباب حول عقلي... أعلم أنّ الأجوبة موجودة في مكان ما، لكنها غير واضحةٍ بما فيه الكفاية حتى أتوصل إليها كلها.

تساءلت ستاسيا، ماالذي سيحدث إذا استعادت شيرا ذاكرتها بشكلٍ كاملٍ؟

عاد ريكو في تلك اللحظة، وتمدد قربها على الغطاء. سألته شيرا: «لماذا لا تعمل في مكتبك؟».

حدق ريكو بعينين ساخرتين بستاسيا، وأجاب بنعومة: «أنا أتعلم كيف أفوض أعمالي إلى الآخرين؟».

لم تستطع ستاسيا إلا أن تبتسم وتعلق: «هل الأمر الثاني الذي

www.elromancia.com

سأسمعه هو التحدث عن عواطفك».

- من الأفضل أن تبقي توقعاتك في مستوى المعقول، حبيبتي.

مال نحوها ليطبع قبلةً خاطفةً على رأسها، وهو يتابع: «الرجال في صقلية لا يعبرون عن عواطفهم».

هي تعلم ذلك، وليست بحاجة إلى من يذكرها. حدقت بكتفيه العريضتين القويتين، وصدره المفتول العضلات، واللحية الواضحة على وجهه. لا يمكن لريكو كريسانتي إلا أن يكون رجلاً قوياً. إنه رجل ساحر بشكل لا يوصف.

صححت قائلة: «أنتَ تقصد أنكَ لا تستطيع أن تظهر أي إمارات من الضعف».

أرادت أن تلطف الجو قليلاً، فقد بدا لها فجأة مشحوناً.

قالت شيرا: «من المحتمل أنّ تلك غلطتنا، ريكو هو رجل العائلة، ومنذ كان في الخامسة عشرة من عمره، نحن جميعاً نعتمد عليه. نتوقع أن يكون قوياً وأن يملك الأجوبة عن كل شيء. إذا ما رأيت ريكو ضعيفاً، فلا بد أنني سأصاب بالرعب».

جلست ستاسيا صامتة مذهولة، وهي تستوعب كلمات شيرا. لم تفكر مطلقاً بوضع ريكو من قبل. ذكر لها أنّ والده توفي وهو يافع، وبالطبع لاحظت أنه يُعتبر رأس العائلة، لكنها افترضت أن عائلته نموذجية في صقلية. تتبع التقاليد والعادات في بلادهم. هي لم تفكر أبداً ماذا يعني أن يتحمل ريكو المسؤولية وهو لا يزال في عمرٍ يافع. كيف يمكن لنساء راشدات أن يعتمدن على صبي في الخامسة عشرة من عمره؟ نظرت إليه محدقةً بشكٍ وحيرةٍ. فجأة رغبت في أن تسأله شتى أنواع الأسئلة التي لم تطرحها عليه في السابق. كيف شعر عندما أصبح فجأة رجلاً، في حين أنه مايزال مجرد صبي؟ من كان يعتني به عندما كان هو بدوره يعتني بكل فردٍ من عائلته؟

نهضت باندفاع، ورمته بابتسامة تحدٍ وهي تقول: «أترغب في السباحة؟».

لم تنتظر إجابته، بل سارت نحو المياه، وغطست دون أن تعطي لنفسها فرصة للتردد. في الحال أصبح ريكو وراءها. شهقت ستاسيا، ثم صرخت ما إن غمرت المياه كتفيها. ضحك ريكو بصوتٍ عالٍ، وأمسك بخصرها. قالت بتوسل، وهي تتمسك به لتحافظ على توازنها: «لا تدفعني تحت المياه. إنها باردة جداً».

في الواقع بدت المياه رائعة على بشرتها الحارة، لكنها كرهت الإحساس الذي يجعلها تبدو كطفلةٍ مرتعبةٍ إذا ما جذبها تحت الماء دون أن يحذرها. قال يذكرها: «مازال فصل الصيف في بدايته، سترتفع حرارة المياه قريباً. لا تنسي أنّ المياه تبدو أكثر برودة بسبب أشعة الشمس. إن نزلتِ تحت الماء فلن تشعري بالبرد».

لمعت عيناه بالمكر، فصرخت من جديد محاولة أن تخلص نفسها من بين يديه، وقد أدركت ما يجول في خاطره. ليس هناك مجال للمقارنة، فهو قوي. بحركةٍ بسيطةٍ رفعها ريكو، ومدّ ذراعيه إلى الأمام بينما تمسكت ستاسيا به، وهي تتوسله ألاّ يرميها في الماء. لكنه فعل ذلك بالضبط، فغاصت تحت الماء، وراحت ترفس بقدميها. أخيراً رفعت رأسها فوق سطح الماء، وصرخت بغضب، وهي ترمي بنفسها عليه. تراجع ريكو إلى الوراء، وهو يسقط في الماء ضاحكاً. بعد قليل بدأت هي نفسها بالضحك أيضاً.

- آه! أعتقد أنني ابتلعت نصف المحيط.

حاولت الوقوف، ثم مررت يدها على وجهها لتتمكن من الرؤية بوضوح. قالت: «هذا يكفي!».

- مستسلمة!

- أبداً.

لمعت عيناها بشدة وهي لا تزال تضحك متابعة: «سأنتظر حتى لا تتوقع هجومي، عندها سأقفز عليك».

- أهذا ما ستفعلينه؟

شعرت ستاسيا أن قلبها نسي أن ينبض وهو يتقدم نحوها، والمياه

تتساقط من شعره وتلمع على بشرته البرونزية.

- لا! ريكو، لا! سأصاب بالمرض إن ابتلعت المزيد من مياه البحر.

حاولت أن تتراجع بعيدة عنه، لكن ساقيها لم تساعداها في التحرك بسهولة في المياه. أمسك بها ريكو بسهولةٍ، لكن هذه المرة لم يحاول أن يغرقها في الماء، بدلاً من ذلك شدها إليه ونظر إلى وجهها. أخفت رموشه الكثيفة تعابير عينيه. ابتلعت ستاسيا غصة بصعوبة، وعادت بها أفكارها إلى أوقات علّمت نفسها أن تنساها. تنفس ريكو بهدوء، وكأنه قرأ أفكارها، ثم قال: «مايحدث الآن يذكرني بشهر العسل».

أغمضت عينيها قائلة: «لا، ريكو!».

هي لا تريد أن تفكر بالأمر. هذه ليست زيارة للماضي. إنها زيارة تتعلق بشفاء شيرا، بعدها سيتابع كل منهما حياته بمفرده. لم تشك ستاسيا للحظة أنّ هذا الاستعراض المرح بأكمله هو من أجل شيرا.

- مضى وقت طويل منذ أن رأيتك تضحكين هكذا.

بدا صوته قاسياً، وهو يرفع يده ليبعد خصلة من شعرها الناري عن جبهتها الرطبة. تابع يقول: «في البداية، عندما التقيت بك، كنت لا تتوقفين عن الضحك. لم تفارقك الضحكة مطلقاً. حتى في الأوقات غير المناسبة، لا يمكن لأحد أن يسيطر عليكِ أو يكبح إحساسكِ».

حبست ستاسيا أنفاسها وهي تشعر بحرارة يده على بشرتها، وبأصابعه في شعرها. حاولت أن تتنفس بهدوء وهي تقول: «عندما التقيت بك كنتَ تضحك أيضاً. في شهر عسلنا كنت تضحك كثيراً».

رفع ريكو يديه، ووضعهما على جانبي وجهها وهو يقول: «إذاً ما الذي يحدث؟».

- هل تسألني متى توقفنا عن الضحك؟

نظرت إلى البعيد، وشعرت بألمها قوياً لدرجة أنها كادت تختنق.

- أعتقد أن ذلك حدث عندما عدنا إلى روما. أنتَ انشغلتَ بعملكَ، وأنا بدأتُ بالعمل من جديد. كلانا كنا نشعر بضغطٍ جديد.

- لو أنكِ لم تصري على العمل لكان الضغط أقل علينا معاً.

- تباً لك، ريكو!

ابتعدت عنه لتحدق به بغضب، وهي تكمل: «لا داعي لنبدأ ذلك من جديد. أردت أن أعمل، وأنت كنت تعرف ذلك. الرسم جزءٌ من شخصيتي».

- لم أحاول أبداً أن أمنعكِ من الرسم.

- لكنكَ أيضاً لم تشجعني. لم ترغب بأن يتمتع أحدٌ بعملي. لم ترغب بأن يكون لدي أي نوع من العمل الجاد المثمر.

قطب ريكو جبينه، وأجاب: «لم تكوني بحاجة إلى العمل. ذكرتِ ذلك بنفسكِ. كانت حياتنا مليئةً بالضغط القوي. إصراركِ على العمل بدوامٍ كاملٍ أضاف على ذلك الضغط عبئاً جديداً».

- لماذا عليّ أنا وحدي أن أقوم بكل التضحيات؟ أنتَ كنت تفكر بنفسك فقط وبما أنتَ بحاجة إليه. حسناً! ماذا بشأن ما أنا بحاجةٍ إليه؟ كنتُ بحاجةٍ إلى عملٍ مثمرٍ. لست بارعة في البقاء في المنزل أنيقة ومتبرجة، لتجدني جاهزة فقط في حال مررتَ لإقامة علاقة سريعة معي.

علق ريكو بتوتر: «لم يكن هذا حالنا».

- بل هذا ماكان عليه بالتحديد. أنتَ من طلب الزواج بي ريكو. كنت تعلم بما أفكر وما هو المهم بالنسبة لي. مع ذلك، ولسببٍ ما، منذ اللحظة التي تزوجنا بها توقعت أن أصبح امرأة أخرى. توقعت أن أملأ القالب المعد للزوجة الإيطالية المثالية.

- لم أتوقع أن تملئي أي قالب. أعطيتكِ كل شيء يمكن أن تفكري به. أمنتُ لك كل ما أنتِ بحاجة إليه. كانت حياتكِ رائعةً ومثاليةً.

زفر وهو يتابع: «كان من المفترض بزواجنا أن يكون رائعاً ومثالياً».

حدقت إليه ستاسيا بحزن وضيق واضحين، وقالت: «ما كنت بحاجةٍ إليه ليس الأشياء المادية، لكنكَ كنتَ منشغلاً بنفسكَ لدرجة أنكَ لم تتمكن من رؤية أي شيء آخر».

رماها بنظرةِ رجلٍ غير قادرٍ على فهمها مطلقاً قبل أن يقول: «ما

الغاية من أن تتزوجي بليونيراً إذا كنت ستذهبين للعمل كل يوم؟».

- بالنسبة إلى رجلٍ فائق الذكاء مثلك، أحياناً تصبح بليد الذهن بشكلٍ لا يُحتمل. هل تعلم ذلك؟

ضغطت على قبضتيها بشدة، لتمنع نفسها من ضربه وهي تتابع: «لم أكن أعمل من أجل المال فقط. هذا ما كنت ستعرفه لو أنكَ تكلمتَ معي في بعض الأحيان، بدلاً من أن تعانقني وتسكتني في كل مرة نتقابل فيها!».

حدق بها ريكو وكأنها فعلاً ضربته. تخيلت ستاسيا نفسها وقد فعلت ذلك. لأول مرة بدا كأنه لا يجد الكلمات المناسبة ليقول أي شيء. نظرت حولها، وضحكت دون مرح أو سعادة.

- هل تدرك مدى سخافة ما يحدث الآن؟ نحن لم نبحث هذا الأمر بشكلٍ مناسبٍ من قبل، وفجأة ها نحن نتحدث بصراحة بشأن هذا الموضوع على شاطىء البحر، بعد فوات الأوان.

نظرت إلى الشاطىء، فرأت شيرا واقفة تحدق بهما. قالت: «ستعلم أننا نتشاجر إن لم ننتبه. علينا العودة».

دون أن تنتظر إجابته، سارت مبتعدةً عن البحر إلى الرمل لتصل إلى شقيقته. لم تعد ترغب في التحدث عن هذا الأمر أكثر. ما الغاية من ذلك على أي حال؟ كلاهما يعرف أنّ زواجهما انتهى منذ زمنٍ بعيدٍ. ما إن تُشفى شيرا وتستعيد ذاكرتها، حتى يعودان هي وريكو للعيش كلٍ بمفرده وبطريقتين مختلفتين تماماً.

إن كانت هذه الفكرة تعذبها، حسناً! عليها أن تعتاد على التعايش معها.

٨ - سعادة مزيفة

راح ريكو يذرع أرض غرفة مكتبه الواسعة ذهاباً وإياباً، وهو يتصارع مع عواطف لا يريد الاعتراف بها. ها إن الأمر يحدث من جديد! أيام قليلة فقط قضاها برفقة ستاسيا، وهاهو يقع تحت سحرها من جديد. لم يكفه أنها معه كل ليلة. هو يريدها أن تكون جزءاً من حياته. أي نوع من الأغبياء هو؟

حدق إلى المنظر الطبيعي الأخاذ أمامه، لكنه لم يلاحظه مطلقاً. وقف أمام النافذة يتذكر النقاش الذي دار بينهما على الشاطىء. هو ليس من الرجال الذين يظهرون عواطفهم، وليس أيضاً من الرجال الذين يعيشون في ظلال الماضي. ماالغاية من ذلك، في حين أنّ الماضي لا يمكن تغييره؟ لماذا هو غير قادر على التركيز على أي شيء منذ ذلك الحديث مع ستاسيا؟

كيف تمكنت من اتهامه أنه لا يهتم إلا لنفسه؟ هو يعمل ساعات طويلة ليؤمّن الأمان والرفاهية لعائلته. كيف تصفه بالأناني؟ لقد قدم كل الولاء لزواجه. التزم بالارتباط الكامل، ومع ذلك رمت كل شيء في وجهه ورحلت. أخيراً قرر أنّ المرأة لا يمكن فهمها مطلقاً. حدق في الحديقة أمامه، مجبراً نفسه على استرجاع كل أحداث زواجه لكن من زاوية مختلفة تماماً. من وجهة نظرها هي.

هل كان حقاً أعمى في ما يتعلق بحاجاتها؟ ازداد وجهه عبوساً. صحيح أنّ علاقتهما تبدلت ما إن عادا إلى روما بعد شهر العسل. لاحظ ريكو هذا التبدل، لكنه لم يسأل نفسه عن سبب ذلك، ولم يفعل حتى الآن. عاد بالذكريات إلى الوراء، وتحرك قليلاً في مكانه. أدرك للمرة الأولى أنه كان يمضي الكثير من الوقت في العمل. ربما تخلى عن

عروسه بسبب العمل، لكن صديقاته السابقات جميعهنّ كنّ سعيدات جداً بتمضية أيامهنّ وهنّ يستخدمن بطاقاته المالية. افترض أنّ ستاسيا هي واحدة منهنّ. بدلاً من ذلك كان يجدها تتجول بنفاد صبر في قاعة الاستقبال الرخامية في قصره، بانتظار عودته إليها. بعد ذلك توقفت عن انتظاره، وبدأت بالعمل. عاد ريكو عدة مرات إلى المنزل، ولم يجدها هناك. ضغط على أسنانه بقوة، معترفاً أنّ ردة فعله لم تكن جيدة بشأن زوجته التي كانت تلاحق اهتمامات عملها، لكنه ليس من الرجال ذوي التفكير العصري. أليس كذلك؟

ماالذي تعتقده؟ أليس قادراً على الاهتمام بها؟ أليس قادراً على تأمين حياة لائقة لعائلته؟

حفّ قفا عنقه بيده وهو يشتم، متذكراً تلك الليلة التي عاد فيها إلى المنزل فجأة ودون توقع، ليجدها في غرفة النوم مع رجل آخر... غرفة نومهما.

شعر بالعرق البارد يتصبب من جبينه، وبعضلات جسده تتقلص بردة فعل غريزية. لا! في مواضيع محددة هو دون شك ليس رجلاً ذا تفكير عصري، بل هو تقليدي تماماً. لكن ماذا بشأن الأمور الأخرى؟ توقف مفكراً للحظة، نظر حوله في المكتب بعينين حادتين، ثم رفع سماعة الهاتف.

* * *

لم تنضم شيرا إليهما لتناول العشاء. قالت له ستاسيا ما إن سار ريكو نحو الشرفة: «إنها تعاني من صداع».

لاحظت أنه بدل ثيابه. ارتدى سروالاً عادياً وقميصاً مفتوحة الياقة. سمحت ستاسيا لنفسها أن ترمقه بنظرة خاطفة، ثم حولت نظرها إلى المناظر المطلة عبر الشرفة. النظر إلى ريكو يؤدي إلى تدميرها. هي تعلم جيداً أنها لن تكتفي بالنظر إليه. هي تريد تنشق عطره وسماع كلماته... كل حواسها ستنشغل به قبل أن تعلم ما الذي يحدث لها. رغبتها في البقاء بقربه تشغلها وتسيطر على كل ما فيها. توقعت أن

يجلس قبالتها، لهذا قفزت من مكانها عندما شعرت به يجلس إلى جانبها.

- أتريدين العصير أم شراباً آخر؟

دون أن ينتظر جوابها، ملأ لها كوباً من العصير، ثم سكب واحداً لنفسه. قال بصوت هادىء وقوي: «هل شيرا مريضة؟ أتعتقدين أنّ عليّ الاتصال بالطبيب؟».

هزت ستاسيا رأسها محاولة أن تبعد كرسيها قليلاً عنه، فهو قريب جداً منها.

- أظن أنها بقيت مستيقظة لفترة طويلة اليوم، لذا هي بحاجة إلى البقاء في السرير.

هز ريكو رأسه موافقاً، وسكب في طبقه بعض الزيتون. تراجع إلى الوراء، وأسند ظهره إلى كرسيه عندما بدأ أحد الطهاة لديه بتقديم الطبق الأول للعشاء.

- إنها تبدو بحال أفضل قليلاً.

وجدت ستاسيا أن من الصعب أن تركز على أي شيء. هل عليه أن يجلس قريباً هكذا؟ ما الغاية من ذلك، فيما شيرا ليست هنا لتراهما؟ لم تعد قادرة على تحمل هذا التوتر المتزايد، فنهضت على قدميها، وهي تشعر بتسارع في دقات قلبها.

- أنا لست جائعة. أعتقد أن من الأفضل أن أذهب وأرسم على الشاطىء.

أطبقت أصابعه القوية على رسغها، وقال: «اجلسي!».

جالت عيناه على وجهها، وتابع: «حان الوقت لنتحدث، كما أنكِ بحاجة إلى تناول الطعام. هذه الجبنة شهية جداً. إنها ذات طعم مميز. تذوقيها».

هي لا تريد أن تأكل، ولا تريد أن تتحدث أيضاً، لكن نظرة واحدة إلى وجهه أعلمتها أن لا خيار لديها إلا أن تجلس من جديد وتمسك بشوكتها.

تمتمت: «ماالجدوى من الحديث؟ شيرا ليست هنا لتصغي إلينا».

- ليس هذا من أجل شيرا

قال ريكو ذلك وهو يبعد يده عن رسغها، ثم أمسك بشوكته متابعاً: «بل من أجلنا. أريد التحدث عن زواجنا. وجودنا هنا في صقلية ذكرني بعلاقتنا... ببدايتها».

بدت نبرة صوته خشنة وقاسية. أدركت ستاسيا بإحساس غريزي أنّ أفكاره تنزلق إلى الأماكن التي تصل إليها هي أيضاً بتفكيرها. علمت أن أحاسيسهما متشابهة، وأنّ الأمر مؤلمٌ لهما معاً.

مدّت يدها لتمسك بكوبها قائلة: «كان علينا أن نعلم أنّ زواجنا لن يدوم».

حدق ريكو بعينيها بقوة، وسألها: «لماذا لا يمكنه أن يدوم؟».

- لأنه لم يكن زواجاً حقيقياً. عندما التقينا في البداية لم نتشارك بشيء إلا بالعلاقة الجسدية.

تورد وجهها قليلاً وهي تكمل: «أمضينا أوقاتنا كلها في السرير».

قال يمازحها بنعومة وعيناه تجولان على وجهها المتورد بمرح واضح: «ليست كلها في السرير، حبيبتي. أحياناً على الأريكة وأحياناً على الأرض، وأحياناً أخرى على الشاطىء، ومرات عدة كنا... !».

قاطعته ستاسيا بسرعة، رافضةً الصور التي يخلقها في رأسها: «حسناً، حسناً! أنتَ تعلم ماذا أقصد. في البداية كانت علاقتنا محض حسية. لم نخصص وقتاً للتعرف على بعضنا. عندما عدنا فجأة إلى روما، عدنا إلى ما كنا عليه في الواقع. نحن غريبان عن بعضنا ريكو. لم نعمل أبداً على التعرف على بعضنا».

قطّب ريكو جبينه، وأجاب: «اختصرت من رحلاتي إلى الخارج بشكل كبير. نمت في منزلي خلال زواجنا أكثر مما نمت فيه طوال السنوات العشر السابقة».

قالت بصراحة: «هذا أيضاً كان من أجل العلاقة الجسدية، ريكو. كنت دائماً تأتي إلى المنزل من أجل ذلك، لكن من النادر أن تأتي

لتناول العشاء أو لتتحدث معاً مثلاً. هل تدرك أن أياماً كثيرة كانت تمر من دون أن نتحدث مع بعضنا؟».

زفر بضيق وهو يجيب: «كنت أعمل طوال تلك الأيام، كان لدي عمل يشغلني بحاجة لإدارتي».

مررت ستاسيا أصابعها فوق حافة كوبها، وسألته: «أحقاً؟ أما كنت تخاف من العلاقة الحميمة؟».

ساد صمت متوتر بينهما قبل أن يجيب: «كانت علاقتنا حميمة جداً».

- تلك كانت علاقة جسدية فقط.

رفعت الكوب لترطب فمها ولتشعر بالشجاعة كي تكمل: «أنتَ لم تشاركني بأي شيء ما عدا سريرك وحسابك المصرفي».

- أعطيتكِ كل شيء.

- أعطيتني هدايا، وهذا مال أيضاً. معك كل شيء ينتهي بالمال.

- إن كان هذا صحيحاً، فلأنني رأيت ما الذي يمكن أن يحدث لأي عائلة دون المال.

أصبحت نبرة صوته فجأة قاسية ومعذبة. رفعت ستاسيا نظرها إليه، مندهشة من التغير الذي طرأ عليه.

- المال ليس كل شيء ريكو.

- حاولي أن تقولي ذلك لامرأة فقدت زوجها والمعيل الوحيد الذي يطعم طفليها.

تابع ريكو بنبرة خشنة:

- حاولي قول ذلك لعائلة كانت على وشك الموت جوعاً، وعلى وشك خسارة السقف الوحيد فوق رأسها.

ليس من عادة ريكو أن يعبر عن شعوره بالكلام. للحظة لم تستطع ستاسيا أن تقول شيئاً. بدت مصدومة من عرضه المفاجىء لما يشعر به. أدركت بحدسها الداخلي أنه يتكلم عن أمه. خافت أن تتفوه بأي كلمة كي لا يتراجع وينغلق على نفسه عاطفياً كما كان يفعل في الماضي،

عندما كانت تحاول التحدث عن أي شيء يتعلق بطفولته أوعن وفاة والده. قالت: «وأنتَ قدمتَ لها العون».

رماها بنظرة حزينة، وهو يقول بنفاد صبر: «كنت في الخامسة عشرة من عمري. لم أكن في وضع يسمح لي بتقديم المساعدة التي هي بحاجة إليها».

مدّ يده إلى كوبه، وشرب قبل أن يعيد الكوب إلى الطاولة. تابع: «هذا ليس الأمر الذي أود التحدث عنه. بعد الليلة لا أريد أن نثير هذا الموضوع من جديد، لكن قبل أن تلغي أهمية المال بهذه البساطة، عليكِ أن تعلمي بعض الأمور: كيف هي الحياة بدون المال».

بدا هادئاً وبارداً، كأنه بعيد جداً. فيما جلست ستاسيا صامتة، خائفة أن تقول أي شيء، فقد يفسر الأمر بطريقة خاطئة.

- كانت أمي تحرم نفسها من الطعام صباح كل يوم حتى أتمكن أنا من الأكل، أما أختي التي لم تكن تبلغ الشهر من عمرها بعد، فكانت تبكي بشكلٍ دائم لأن أمي لا تأكل، وهي بالتالي لا تستطيع إرضاع الطفلة، فقد جف حليبها.

أغمض عينيه للحظة، كأنه يحاول تحمل الصورة التي ظهرت فجأة في مخيلته.

- كل ليلة كانت أختي تبكي من شدة الجوع، وكانت أمي تبكي معها. بدأتُ أرفض الطعام الذي تقدمه لي، وهكذا تتمكن أمي من أكله بضمير مرتاح.

ابتلعت ستاسيا غصة من الحزن، وقالت: «ريكو!».

وضع يده على الطاولة بقوة، وهو يحدق بها بغضب، ويسألها: «هل تعرفين كيف هو الإحساس بالجوع؟ أقصد، الجوع الحقيقي؟».

هزت ستاسيا رأسها غير قادرة على الإجابة، فضحك بمرارة.

- حسناً! أنا أعرفه جيداً، حبيبتي. وكذلك أمي.

حدق بالطعام في طبقه، وهو يتذكر ما هو شعور المرء عندما يُحرم من الحاجات الأساسية للعيش.

- في النهاية، الجوع هو الذي قادني نحو النجاح، وضاعف من قدراتي.

لم تظهر أي تعابير على ملامح وجهه. أرادت ستاسيا أن تمد يدها وتلمسه، أن تقدم له الراحة بأي طريقة ممكنة، لكنها علمت بإحساس داخلي لديها، أنّ تقديم التعاطف له الآن سيشكل إهانة لكبريائه ولشخصيته المتماسكة. تابع ريكو: «ذهبت إلى جاري، والد جيو. طلبت منه عملاً. . أي عمل. كنت بحاجة إلى المال الكافي لإطعام عائلتي. بالكاد كان لديه ما يكفي لعائلته، لكنه قدم لي ما يستطيعه، وبالمقابل عملت لديه. مع أنه لم يكن هناك إلا القليل من العمل، لكنه فهم ما معنى أن يكون المرء شريفاً ونزيهاً. علم أنني بحاجة إلى القيام بأي شيء للحصول على المال، وأنني يوماً ما سأعيد له كل ما قدمه لي».

ابتلعت ستاسيا الغصة التي تشكلت في حلقها. تخيلت ريكو يافعاً، ومصمماً بقوة على تأمين حاجات أمه وأخته الطفلة، حتى كادت تختنق وهي تقول: «ومازال جيو برفقتك».

رشف ريكو المزيد من العصير وتابع: «علاقتنا أعمق بكثير من مجرد الصداقة. عائلتي تدين له بكل شيء. دون مساعدة والده كنا سنموت من الجوع».

لكن ريكو هو من وجد الحل لمشاكلهم. هو من عمل لتأمين الحياة اللائقة لعائلته، لا عجب أنّ أمه تدين له، وتشعر بالرغبة الدائمة في حمايته. بالطبع المال مهم جداً لهم. هم يعرفون كيف تكون الحياة من دون المال، إذ ذاقوا طعم الفقر والجوع.

شعرت ستاسيا فجأة بالخجل من نفسها. من السهل القول إن لا قيمة للمال ولا أهمية له عندما يملك المرء ما يكفي حاجاته بشكل دائم.

- هل قمتَ برد الدين لوالد جيو؟

- من الناحية المادية، رددته مرات عدة. لكن الولاء بين العائلتين

أمر لا يُشك به أو يُسأل عنه.

بقيت ستاسيا صامتة للحظات طويلة، متأثرة بالوقائع غير المتوقعة عن شخصية ريكو وماضيه. كما أنها تأثرت كثيرا بالولاء الذي يكنه لعائلته. شعرت بشيء من الحسد. لماذا لم يقدم لها الولاء نفسه، الولاء غير المحدود والاهتمام المطلق؟

- لهذا السبب اعتمدت أمكَ عليكَ في كل شيء. أستطيع أن أفهم ذلك الآن. بالنسبة لهم، أنتَ أكثر من ابن غالٍ. لكنني لم أعش الطفولة نفسها.

تابعت ببساطة وهي تبدو حزينة قليلاً، لأنها تعلم أنه لن يتفهم ما تقوله: «لم يكن المال ما أنا بحاجة إليه. ما كنت بحاجة إليه هو أنت، ريكو. أردت أن أعرف كل فكرة تجول في رأسك. أردت أن أعرف ما سبب ذكائك الوقاد. أردت معرفة ماالذي يضحكك وما الذي يخيفك. ماالذي يدفعك للعمل بكل هذا الجد والاهتمام. كما أنني أردتك أن تظهر هذا الاهتمام لي!».

- تزوجت بكِ. اعتقدت أنّ هذا يؤكد مدى اهتمامي بك.

قال ريكو ذلك بحزم، فشعرت ستاسيا بقلبها يرقص في صدرها. بالكاد تجرأت على التفوه بسؤالها: «لماذا؟ لماذا تزوجتني؟».

أجاب ونبرة صوته تؤكد رغبته بالتملك: «لأنني ما إن رأيتك حتى علمت أنني لن أدعك ترحلين».

قالت ستاسيا بهدوء: «لكنك فعلت. تركتني أرحل، ريكو!».

حرك أصابعه بانزعاج على الطاولة وهو يقول: «أنتِ من رحل».

- لكنك لم تحاول منعي، ولم تبحث عني.

أنهى شرابه، وقال يذكرها: «لقد خنتني».

- أنا بريئة.

وضع ريكو الكوب على الطاولة بعنف، وأجاب: «البريء لا يهرب».

نهضت ستاسيا على الفور، وهي تشعر بساقيها ترتجفان. قالت:

«لكن الغاضب يفعل، وأنا كنت غاضبة جداً، ريكو. غاضبة منك ومن نفسي».

توقفت عن الكلام قبل أن تلفظ اسم أخته، مذكرةً نفسها أن لا جدوى من هذا الكلام.

- لا أستطيع أن أصدق أننا نتحدث عن هذا الموضوع الآن.

- ولا أنا.

سمعت القسوة الواضحة في نبرة صوته، قبل أن يمرر يده فوق مؤخرة عنقه مثل رجل يواجه أزمة لا يرغب في مواجهتها.

- أنت من تحدث عن الأمر.

قال ريكو بنبرة متعالية: «أخطأت بذلك. لننهِ الكلام عن هذا الموضوع، قبل أن أقول أو أفعل شيئاً أندم عليه».

حدقت ستاسيا بالطاولة. هي تشعر بما يكفي من الندم على أمورٍ كثيرة، وبالكاد ترغب في إضافة المزيد. إنها نادمة لأنها سمحت للهوة أن تزداد اتساعاً بينهما، ونادمة لأنها رحلت في ذلك اليوم، بدلاً من البقاء للمقاومة والاحتفاظ بحبها. كانت سريعة جداً في رمي الاتهامات عليه، لكن هل كان بإمكانها أن تبدل ما جرى؟ لو أنه أخبرها بهذه الحقائق عن ماضيه من قبل، هل كانت لتعمل على تبديل موقفها؟ ظهرت الدموع في عينيها، وسمعت زفيره الحاد، وهو يرى بوضوح مدى عمق عواطفها. قال ريكو وهو يضع يده على عنقها ويقترب منها ليعانقها: «لا داعي لذلك. أنت المرأة الوحيدة التي لم تستعمل الدموع معي مطلقاً».

تمتمت: «لست أبكي، فأنا لا أبكي أبداً».

- قوية حتى النهاية!

قال ذلك وهو يعانقها. وضعت ستاسيا يدها على عنقه، وضمته إليها ليقترب منها أكثر وهي تقول: «لست قوية كما تعتقد. أتمنى لو أنكَ أخبرتني بهذه الأمور من قبل».

- هذه أمور لا أتحدث عنها عادة.

www.elromancia.com

شعرت بحرارة أنفاسه على وجهها، وفجأة شعرت بمدى اشتياقها إليه. هي بحاجة إليه الآن. المستقبل لا يهمها أبداً. لا يهمها أنه لا يزال يعتقد أنها قادرة على القيام بأمور لا يمكن أن تفكر بالقيام بها. ما يهمها هو أنها تريده وأنها تحبه. عندما تزوجا أرادت كل ما فيه، أما الآن فهي يائسة لدرجة أنها ستأخذ بقدر ما تستطيع ما دام ذلك متوفراً لها. لا يهمها أنها أمضت السنة الماضية وهي تتعلم العيش بدونه، ولا يهمها أنها بمجرد أن عادت إليه، سقطت مجدداً أسيرة سحره، وكأنها مدمنة سيئة. هي تريده وهذا كل ما يهمها.

من دون أن يبعد أنفاسه عن وجهها، نهض ريكو على قدميه. حملها بين ذراعيه بخفة، كأنها لا تزن شيئاً. تمتم: «من حسن حظنا أن غرفة نومنا قريبة جداً، حبيبتي».

فتح الباب وأغلقه بحركة من قدمه. وضعها فوق السرير، ومرر يده في شعرها وهو يقول: «أنتِ ناعمة كالحرير».

ضمته ستاسيا إليها. قالت: «ريكو».

أجاب بنبرة ممازحة: «أعلم ما تشعرين به نحوي، لا داعي لتقولي لي ذلك. تقولين إنني لا أعرفك، لكن هناك أمور أعرفها جيداً عنك».

لم يعطها مجالاً للإجابة. عانقها وغابا معاً في بحر من الأشواق الملتهبة...

هي تعلم أن هذا الرجل هو رجلها. لطالما كان الرجل الوحيد في حياتها. بدا لها كأنها تحاول أن تعوّض عن تلك الأشهر الطويلة التي أمضتها من دونه، وهي تظن أنها لن تتمكن من لقائه مجدداً.

شعرت ستاسيا بقلبيهما يدقان معاً. أبقت عينيها مغمضتين وهي تفكر في ما حدث. هل اعتقدت حقاً أنها ستجد هذا الإحساس مع رجل آخر؟ مايحدث لها مع ريكو مميز، لأنه الرجل الوحيد الذي خفق قلبها بقوة له، ولأنه الرجل الوحيد في حياتها. إن اعتقدت حقاً أنها بابتعادها عنه ستتمكن من نسيانه، فهذا يعني أنّ عقلها وقلبها يافعان جداً، أكثر مما تظن.

كالعادة، لم تجد ريكو في السرير عندما استيقظت. من المحتمل أن يكون هذا أفضل، فكرت ستاسيا بيأس وهي ترتدي تنورة وقميصاً دون كمين، لتذهب وتتناول الفطور معه ومع شيرا. الاستيقاظ قرب رجل كادت تتوسل إليه أمر مذل، ولا يتسم بالكبرياء. والأكثر من ذلك، أنّ هذا الرجل لم يعد يحبها، وربما لم يفعل يوماً.

لم تشعر ستاسيا يوماً بفقدان الشهية كما تشعر الآن، لكنها ذكرت نفسها أن من المفترض أنها تقوم بدور العائلة السعيدة أمام شيرا، لهذا أجبرت نفسها على الانضمام إليهما إلى طاولة الفطور.

ما إن سارت على الشرفة، حتى نهض ريكو، وسار لملاقاتها. طبع قبلة ناعمة على جبينها. إنها الطريقة الأمثل للبدء بيوم جميل، لولا أن الواقع يؤكد أنّ شيرا تراقبهما. هي تعلم أنّ وجودها هو السبب في إظهار ريكو هذه العاطفة. قال بنبرة عميقة: «صباح سعيد».

شعرت ستاسيا على الفور بحواسها تستيقظ. قالت لنفسها موبخة: آه، لا! تماسكي!

حدقت به وهي تشعر بيأس كبير، لأنها تعلم أن كل ما عليه القيام به، هو أن يدخل المكان الذي تكون فيه، حتى تشعر بالشوق إليه. هو ليس بحاجة إلى لمسها حتى. شعرت بالحزن لأنها أدركت هذه الحقيقة. جلست إلى الطاولة، وشعرت بدقات قلبها تتسارع، ما إن وجدت أمامها طبقاً مليئاً بحبات برتقال. نظرت إلى ريكو، فابتسم لها ابتسامة ساحرة جعلت أعصابها ترقص من الفرح.

- فكرتُ أن أوفر عليك مشقة الذهاب إلى البستان هذا الصباح.

لمعت عيناه بالمكر، وهو يتابع: «اعتقدت أنكِ قد تكونين متعبة».

تورد وجهها، فانشغلت بإمساك برتقالة، وهي تشعر بإحساس لا يمكن وصفه من مبادرته تلك. تساءلت ما الذي يقصده بفعله هذا.

- شكراً لك.

تناولوا الفطور وهم يتحدثون أحاديث شتى. شربت ستاسيا فنجانين من القهوة. بدا ريكو عاطفياً ويقظاً معها، قدّم لها الطعام، وتأكد أنها

تجلس في الظل. لطفه نحوها جعل عواطفها أكثر حدةً وتأثراً، لا سيما أنها تعلم أن ذلك غير حقيقي. هذا تماماً ما أرادت أن يكون عليه زواجهما. هذا ما كان عليه في تلك الأسابيع القليلة بعد أن التقيا للمرة الأولى. كان عليها أن تذكر نفسها أنّ هذا العرض العاطفي والاهتمام الزائد هو من أجل شيرا، وأن ليس هناك أي شيء حقيقي. لكنها تريده أن يكون حقيقياً. أرادت أن يكون ذلك حقيقياً لدرجة أنها شعرت بألم في جسدها من شدة العذاب.

قالت شيرا بحزن، وهي تضع يدها على رأسها: «بالتحدث عن الظل، سأتجنب الذهاب إلى الشاطىء اليوم، وسأمضي نهاري في المنزل».

- إذاً ربما يمكنني أن أقترح عليكما طريقة ما لتمضية الوقت.

قال ريكو ذلك بنعومة، ثم نهض وأشار إليهما كي تتبعاه إلى داخل الفيلا. نظرت ستاسيا نحو شيرا بحيرة، لكن الفتاة رفعت كتفيها بارتباك، وهزت رأسها مستغربة أيضاً. فتح ريكو باب غرفةٍ لم تدخل إليها ستاسيا من قبل، فشهقت على الفور باندهاش ما إن نظرت حولها. بدت الغرفة كأنها محترف لفنان ما؛ مجموعة واسعة من أدوات مختلفة مكوّمة على الطاولة مازالت في العلب والأسعار عليها.

- آه، ريكو!

- أنتِ تقولين إنني لا أفكر بكِ، حبيبتي.

حملت نبرة صوته قلقاً لم تسمعه من قبل. إنها المرة الأولى التي يبدو فيها غير واثقٍ مما يفعله، وكأنه يحاول أن يتنبأ بردة فعلها.

- حسناً! ها أنا الآن أفكر بك. أردتِ أن تكوني قادرةً على العمل. الآن يمكنك أن تعملي، وبإمكانك أن تعلّمي شيرا الرسم أيضاً.

نظرت ستاسيا حولها، غير قادرة على التفوه بأي كلمة.

- لم أحاول ترتيبها. اعتقدت أنك تفضلين القيام بذلك بنفسك.

تقدمت ستاسيا إلى وسط الغرفة، وهي تفكر، إنها المرة الأولى التي يهتم فيها ريكو برسوماتها.

- من أين حصلت على كل هذه الأشياء؟ وكيف؟

اعترف ريكو قائلاً: «اتصلت بأمك عبر الهاتف، وبعد ذلك وصل كل شيء بالطائرة. هل أنتِ سعيدة؟ هذه الغرفة مضاءة من الشمال. أتذكر أنكِ قلت مرةً إن ذلك يعني المحترف الأمثل».

فجأة تعرفت ستاسيا إلى الغرفة، فقالت: «تلك كانت غرفة مكتبك».

رفع كتفيه بلا اهتمام، وقال: «أفضل المنظر المطل على الناحية المقابلة، في إحدى الغرف هناك».

لكن ستاسيا رأت دفئاً في عينيه جعلها تشعر كأنها أسيرتهما. للحظة مليئة بالأمل والدهشة اعتقدت أنه فعل ذلك من أجلها. بعدئذٍ سمعت تنهيدة شيرا، وتذكرت أن تبديلاً كبيراً كهذا بحاجة إلى التخطيط، وريكو لا يفعل أي شيء إن لم يكن لديه هدف خاص من ورائه. وفي هذه الحالة، هدفه هو إقناع شيرا أنهما زوجان سعيدان، وأنه زوج حنون وشديد الاهتمام بزوجته.

اختفى توهج تلك اللحظة على الفور، فقالت ستاسيا كأنها قطعة من الخشب: «هذا رائع، شكراً لك».

قطب ريكو جبينه للحظة. حدق بها باهتمام، ثم نظر إلى ساعته معلقاً: «لدي اتصال هاتفي هام جداً علي القيام به. سأراكما في ما بعد».

دون أي تحذيرٍ شدّ ستاسيا إليه، وعانقها، لكنها لم تستطع أن تبادله العناق. بدا عناقه تذكيراً لها بما حدث بينهما ليلة البارحة ووعد بما سيحدث لاحقاً، لكنها لم تستطع أن تتجاوب معه. كانت لتشعر بالسعادة لو أنه فعل ذلك من أجلها لا من أجل شيرا. لولا شيرا لما كانت هي هنا. ذكرت نفسها بذلك. بالرغم من العواطف الملتهبة من قبله والتلميحات بالحب الخالص، تعرف ستاسيا أن ذلك كله ليس حقيقياً، وأن شيرا قد تستعيد ذاكرتها في أي لحظة، فينتهي الأمر كله كوميض البرق.

بقي ريكو يحدق بها، فيما ملامح وجهه الباردة لم تترك لديها أي

شك بأنه منزعج لأنها لم تبدُ سعيدة بمبادرته الأخيرة. تذكرت ستاسيا أن عليها هي أيضاً القيام بالدور المطلوب منها. نظرت حولها، وأجبرت نفسها على الابتسام وهي تقول ببرودة: «هذا رائع، ريكو. رائع حقاً! شكراً لكَ».

حدق بها للحظات أخرى، وعيناه السوداوان لا تظهران ما يجول من أفكار في رأسه، أخيراً قال: «أراكما في ما بعد».

شعر ريكو بالتوتر، وهذه الصفة ليست مناسبة لشخصيته. سار مبتعداً من دون أن يلقي نظرة إليهما. راقبته ستاسيا، وهي تشعر كأن كتلة من رصاص وضعت مكان قلبها. لكن يبدو أن شيرا لم تلاحظ أي شيء مما يجري أمامها. قالت مستغربة، وهي تتجول عبر الغرفة وتحدق بعلب الألوان: «لم أتصور مطلقاً أنني قد أرى أخي مجنوناً بحب امرأة ما، ومن المؤكد أنني لم أتوقع أبداً أن يتخلى عن مكتبه الغالي. هذه أفضل غرفة في الفيلا. أتعلمين ذلك؟».

أجبرت ستاسيا نفسها على الابتسام وهي تجيب: «إنها الأفضل، لأنها مضاءة بنور طبيعي مثالي».

قطبت شيرا جبينها، ورفعت يدها إلى رأسها وهي تقول: «هذه ليست من عادات أخي. أليس كذلك؟ إنه لا يبقى بعيداً عن عمله كل هذا الوقت».

ترددت ستاسيا قبل أن تقول: «لا، في الواقع».

حدقت شيرا بها حائرة.

- إنني مزعجة جداً. أطرح أسئلة لا تنتهي، محاولة أن أكمل الأحجية التي تشغل عقلي.

هزت ستاسيا رأسها، وشعرت برغبة في أن تميل إلى الأمام لتحتضن الفتاة بين ذراعيها وتقول لها: «لا! أنتِ لست كذلك، وأنا فعلاً أستمتع بتمضية الوقت معك!».

هذا صحيح. المراهقة أصبحت فتاة أخرى بعد ذلك الحادث. لم تعد تلك الفتاة المتمردة المزاجية التي جعلت حياة ستاسيا صعبة جداً،

وحلّ مكانها فتاة لطيفة كثيرة الاهتمام، حلوة المعشر. ابتعدت شيرا عنها قليلاً، وبدت الحيرة على وجهها وهي تسألها: «تتكلمين وكأننا لم نكن هكذا من قبل. لكنني عشت معك في روما. ألم نكن نمضي بعض الأوقات معاً؟».

توترت ستاسيا، وأدركت أنها - من دون قصدٍ منها- أثارت أسئلة في عقل شيرا، هي غير جاهزة للإجابة عنها، وغير قادرة على ذلك. قالت بسرعة: «بالطبع، كنا نمضي بعض الأوقات معاً، لكن كان لكل منا حياة مختلفة. والآن، لنتحدث عن الرسم. ما رأيك في أن نبدأ بالرسم؟».

ابتسمت شيرا وأجابت على الفور: «لنفعل ذلك إذاً».

* * *

حدق ريكو باللوحة، هو يدرك الموهبة الحقيقية المعروضة على القماش.

مضى أسبوع على عودة شيرا من المستشفى. خلال هذا الأسبوع أمضى الثلاثة الكثير من الوقت معاً، ومعظم تلك الأوقات كانوا يستريحون حول بركة السباحة. لكنه يدرك أنه عندما كان العمل يجبره على الذهاب إلى مكتبه لملاحقة الأعمال وهو بعيد عن الشركة، كانت ستاسيا تختفي في المحترف. قاده فضوله ليكتشف بالتحديد كيف تمضي أوقاتها. رفع الغطاء عن لوحة أخرى، وحبس أنفاسه على الفور، مندهشاً مما رآه. إنها لوحة مذهلة! بإحساس من الضيق وعدم الارتياح أدرك أنه لم يفكر للحظة من قبل بفنها. كان منشغلاً بالنظر إليها، ولم يولِ أي اهتمام لما ترسمه.

اقترب ريكو من اللوحة أكثر، ليعاين ضربات الفرشاة الجريئة الواضحة، والألوان المشرقة التي تضج بالحياة. فاللوحة جميلة وتبهر الأبصار، تماماً مثل المرأة ذاتها. شعر كأنه مختلس وهو يسير نحو اللوحات المجمعة بترتيب وراء بعضها البعض على أحد جدران المحترف. أخذ ينظر إليها واحدة بعد الأخرى، وعيناه الغامقتان

www.elromancia.com

تضيقان بتركيز واهتمام، وهو يعاين كل واحدة منها بصمت وهدوء.

كهاوٍ لجمع التحف النادرة، علم أنه ينظر إلى فن مميز؛ وكمستثمر، علم أنه ينظر إلى لوحات ذات قيمة عالية جداً؛ أما كرجل، فعلم أنه ينظر إلى شيء هو جزء من امرأته. كيف يمكنه أن يتوقع أن تتخلى عن فنها؟ إنه كمن يطلب منها ألاّ تتنفس. قطب ريكو جبينه وهو يعيد اللوحات إلى مكانها بجانب الجدار، ثم سار بخطىً واسعة نحو اللوحة التي تعمل عليها في الوقت الحالي. كيف استطاع أن يفكر أن الزواج منه سيكون كافياً لإرضائها؟ الحقيقة هي أنه كان منشغلاً جداً بها، لدرجة أنه لم يفكر مطلقاً بسعادتها. راح يعمل لأيام طويلة في المكتب، من دون أن يسأل نفسه ما الذي تفعله في أوقاتها. افترض أنها تذهب لتناول الغداء مع عائلته، أو أنها تذهب لتتسوق. لكنها لم تستعمل مطلقاً البطاقة المالية التي قدمها لها. عندما كانت ستاسيا تسافر إلى إنكلترا لمقابلة الزبائن، كان ريكو يشعر بغضب صارخ. ما الغاية من أن يكون لديه زوجة، إن كان سيصل إلى البيت ليجده خالياً؟

أخيراً فهم ريكو الحقيقة المرة التي تلخص تصرفه الأناني: هو لم يقم بأي شيء ليغني علاقتهما! تراجع بعيداً عن اللوحة، فيما الإحساس بالانزعاج والألم يسيطران عليه. هذا يعني إما أنه أناني يرغب بالسيطرة على الآخرين، أو أنه لا يستطيع تحمل الابتعاد عن ستاسيا. اعترف ريكو أنه في مشكلة حقيقية. سار بسرعة ليخرج من الغرفة، مغلقاً الباب بقوة وراءه.

مرت الأيام القليلة التالية في جو من السعادة، فيما ظلت ستاسيا تذكر نفسها أن ما يجري الآن ليس حقيقياً. وأن شيرا قد تستعيد ذاكرتها في أي لحظة، ما يعني أن حياتها مع ريكو ستنتهي. لكن في الوضع الحالي، بدت حياتها مثالية بكل ما في الكلمة من معنى. خلال النهار كانت ترسم، وتستلقي على الشاطىء أو قرب بركة السباحة. مع أنها تعرف أن كل ما يجري هو من أجل شيرا، فقد بدت سعيدة وراضية لأن ريكو أصبح شديد الاهتمام بها. فجأة بدا راغباً في معرفة كل شيء

عنها. أراد أن يعرف تفاصيل حياتها، منذ أن بدأت تعي الحياة حتى اليوم الذي التقيا فيه. لكن، إن كانت الأيام مكرسة لأجل شيرا، فإن الليالي كانت لها ولريكو فقط. عاشا في عالم خاص بهما، مليء بالأشواق والغرام والمشاعر الجياشة.

مرّ الأسبوع الثاني على الجزيرة، وها هي ستاسيا ترسم على الشرفة. عندما رفعت شيرا رأسها، بدا الألم واضحاً على وجهها، وراحت تصرخ: «آخ!».

ظهر الاهتمام في نبرة صوت ستاسيا وهي تسألها: «هل أنت بخير؟».

هزت شيرا رأسها قليلاً، وأجابت: «أشعر برأسي خفيفاً، ولا أعرف السبب».

قالت ستاسيا بسرعة، وهي تقودها نحو الفيلا: «من الأفضل أن تنامي. قال الطبيب إنكِ بحاجة إلى الراحة. من المحتمل أنكِ لا تنامين بالقدر المطلوب».

سارت شيرا معها بدون أي مقاومة، واستلقت على سريرها مغمضة العينين. باهتمام كبير، نزعت ستاسيا حذاءها، وأغلقت الستائر، وهي تقول: «هيا! لا بد أنكِ ستشعرين بالراحة الآن. ناديني إن احتجت إلى أي شيء. أنا على الشرفة».

خرجت ستاسيا من الغرفة على أطراف أصابعها. هي تدرك أنّ سعادتها ستدوم ما دامت شيرا عاجزة عن تذكر الماضي. عاجلاً أم آجلاً ستستعيد شيرا ذاكرتها، وهذه المهزلة ستنهار على الفور.

هذا ما حصل بالتحديد، في منتصف تلك الليلة.

٩ - وداعاً زمن الأحلام

أيقظهما صراخها وتنهيداتها العالية.

- ياإلهي! هذه شيرا.

نهض ريكو من فراشه بلمح البصر، مستجيباً على الفور لصراخ أخته اليائس. توقف للحظة ليلبس رداءه، ثم خرج من غرفة النوم وستاسيا وراءه.

بدا سرير شيرا في فوضى عارمة. لقد جذبت الأغطية من فوقه، وهاهي تجلس منهارة على الأرض. إنها ترتجف، ووجهها رطب من شدة البكاء، كما أن عينيها تحدقان بغرابةٍ في كل ما حولها. بدت شيرا حزينة وقلقة بشكل لا يوصف. شهق ريكو لشدة قلقه، وانحنى ليركع بجانبها. تحدث إليها بنعومة مستخدماً اللغة الإيطالية، وصوته العميق الهادىء يحاول تشجيعها والتخفيف عنها، لكن شقيقته ابتعدت عنه وهي ترتجف.

- لا، لا تلمسني!

انكمشت على نفسها مبتعدةً عنه، وبدت نظراتها إليه مليئةً بالاتهام، قبل أن تغطي وجهها بيديها، وتتابع: «لقد كذبت عليّ! كلاكما كذبتما عليّ!».

زفر ريكو بغضب، وقال: «شيرا! أنتِ منزعجة، لكن...».

- بالطبع أنا منزعجة.

أنزلت يديها عن وجهها، لكن تنهيداتها وبكاءها تضاعفت. تابعت: «رأيت حلماً مخيفاً، وعندما استيقظت تذكرت كل شيء... كل شيء ريكو، بما في ذلك حقيقة أنكَ وستاسيا منفصلان ولا تعيشان معاً منذ سنة كاملة».

أغمض ريكو عينيه للحظة، ثم أطلق شتيمة خافتة، قبل أن يقول: «عليك أن تهدأي، صغيرتي. كل شيء سيكون على ما يرام.

- لا! أنتَ لا تعلم... أنتَ لا تعلم شيئاً.

هزت شيرا رأسها، واستمرت في البكاء والصراخ. أخيراً انحنى ريكو، ورفعها بين ذراعيه. جلس على السرير وهو يمسك بها، فألقت برأسها على صدره وهي تبكي وتنتحب.

راقبت ستاسيا ما يجري بخوف، وهي تلاحظ أن شيرا تشعر بيأسٍ كبير. تساءلت، ما الذي يدفعها إلى الشعور بالمعاناة؟ أيكون السبب ببساطة أنها استعادت ذاكرتها؟ فجأة تمنت لو أنها أمضت بعض الوقت لمعرفة المزيد عن حالة فقدان الذاكرة هذه.

قال ريكو بحزم وهو يبعد شعر شقيقته عن وجهها بيد لطيفة وناعمة: «عليك أن تتوقفي عن البكاء. ستمرضين من جديد، صغيرتي. أعرف أنّ استعادتك لذاكرتكِ شكّلت صدمة لكِ».

- ليست استعادة ذاكرتي ما يصدمني، بل ما تذكرته.

همست شيرا بذلك، وهي تمسح دموعها بظاهر يدها كأنها طفلةٌ صغيرةٌ. شهقت من جديد، وهي ترفع رأسها لتنظر إلى ستاسيا. بالنظر إلى وجهها، لم يكن لدى ستاسيا أي شك بما يسبب للفتاة هذا الألم والحزن. بدت خيبة أملها كبيرة ومؤثرة فعلاً. شعرت ستاسيا فجأة كأنها استحمت بالمياه الباردة. انتظرت أن ترى أي دليل على الشعور بالندم أو الخجل لدى الفتاة، لكنها لم ترَ أي شيء من ذلك. شيرا التي تحدق بها الآن، ليست تلك الفتاة التي عرفتها طوال الأسابيع القليلة الماضية. بالطبع هي لا تريدها أن تشعر بالذنب، فقد فات الأوان على ذلك. حسناً! حان الوقت لمتابعة حياتهم جميعاً مع بداية جديدة. أدركت أن ريكو ينظر إليها، وقد علت ملامح الحيرة وجهه. استجمعت ستاسيا ذاتها بسرعة. قالت بهدوء، وهي تميل نحو الفتاة لتلمس خدها: «مهما كانت الأحداث التي تذكرتها، فقد أصبحت الآن من الماضي، وأعتقد أنها يجب أن تبقى هناك. كل ما علينا التفكير به هو الحاضر

والمستقبل».

امتلأت عينا شيرا بالدموع، وقالت: «لكن...».

قاطعتها ستاسيا بحزم: «من الأفضل أن نعطيكِ شيئاً ما لتتخلصي من الصداع».

نهضت واقفة، وهي ترفع الأغطية عن الأرض، وتتابع: «ثم علينا أن نعيدكِ إلى السرير. استعادتكِ لذاكرتكِ أمرٌ صعبٌ وصدمةٌ مخيفةٌ».

نقلت شيرا نظرها بينهما، وهي لا تزال تتنهد من شدة البكاء.

- أنتما منفصلان، لكن في الأيام القليلة الماضية كنتما تتصرفان كحبيبين. هل كنتما تفعلان ذلك من أجلي؟

علمت ستاسيا ما الذي تريد شيرا أن تسمعه: أن ريكو وستاسيا تصالحا، وأن أفعالها السابقة لم يعد لها أي أهمية. لكنها لا تستطيع أن تقول لها مثل تلك الأخبار السعيدة. مرّر ريكو يده في شعره. بدا مرتبكاً تماماً في مواجهة هذا الموقف العاطفي الجيّاش.

- قال الأطباء إنك يجب ألاّ تتعرضي لأي صدمة. عندما استيقظت في المستشفى، تذكرت انضمامك إلينا ونحن في شهر العسل... ولا شيء بعد تلك الحادثة. كما أنك بدوت مسرورة جداً لرؤية ستاسيا. علمت أنني لو أخبرتك أنها لم تعد جزءاً من عائلتنا، فسيشكل ذلك صدمةً مزعجةً لكِ.

بدت شيرا منكمشة على نفسها وهي تقول: «أشعر أنني بحالة سيئة جداً».

أكد لها ريكو بسرعة: «هذا أمر متوقع، مازلت تعانين من أثر الجراح في رأسك».

لكن ستاسيا شكت أنّ شيرا لا تتحدث عن وضعها الصحي والجسدي. حاولت من جديد أن تُهدىء من روع الفتاة، فقالت بهدوء: «عليك أن تتوقفي عن القلق. لا شيء يهم الآن غير شفاؤك».

- كيف يمكنك أن تقولي هذا؟

أخذت شيرا ترتجف، فنهض ريكو على الفور وهو يشتم.

- سأتصل بالطبيب فوراً.

قالت ستاسيا على عجل، وهي تتجه نحو الباب: «أنا سأفعل ذلك».

بدا من الواضح أن وجودها يُصعب الأمور على شيرا. لا حل أمامها إلا أن تخبر ريكو الحقيقة. هي لا ترى أن هناك أي شيء آخر تستطيع القيام به. لكن ما الفائدة من إخباره الحقيقة الآن؟ فات الأوان على ذلك. فات الأوان بالنسبة لهم جميعاً.

شعرت ستاسيا بحزن لا يمكن وصفه. اتصلت بالطبيب، ثم عادت إلى غرفة نومهما، حيث كانا منذ أقل من ساعة ينامان متعانقين... للمرة الأخيرة. أغمضت عينيها للحظة، ثم مدّت يدها لتحضر حقيبتها. لا جدوى من البقاء. السبب الوحيد لوجودها هنا لم يعد قائماً. من الواضح أن شيرا تجد حضورها تذكيراً دائما بتصرفها السيء المخيب للآمال. لم تثق ستاسيا بقدرة ساقيها على حملها، فرمت بنفسها على حافة السرير. لأول مرة منذ أشهر عديدة، سمحت لذاكرتها أن تعود بها إلى تلك الليلة المزعجة. كان ريكو غائباً لمدة أسبوع في نيويورك، وكانت هي نائمةً في غرفتها، لكن ضجة ما أيقظتها. تعدت الساعة منتصف الليل، ما يعني أنها نائمة منذ أكثر من ساعتين. من الأصوات التي سمعتها في الممر خارج غرفتها، علمت أن شيرا دعت رجلاً إلى المنزل من جديد، مع أن ريكو منعها بحزم من مواعدة الشبان. تأوهت ستاسيا، وغطت وجهها بيديها. ما الذي يفترض بها أن تفعله؟ شيرا تكرهها، وإن ذهبت إلى الممر الآن وأعلنت عن وجودها فجأة لتقدم لها النصيحة، فإن علاقتهما ستسوء بشكل أكبر. ربما عليها أن تترك الأمر لريكو، عله يستطيع أن يجعل الفتاة تفهم رأيه وغايته من المحافظة عليها. قال لها ريكو بوضوح الأسبوع الماضي: «أنت في الخامسة عشرة من عمرك، وأنا لا أريدك أن تقابلي أي شاب. عليك أن تركزي على دراستك. سيكون لديك متسع من الوقت للتعرف إلى الشبان عندما تكبرين!».

- لايمكنك أن تخبرني بما علي أن أفعله!

- بل يمكنني. عليك إظهار الاحترام لي، وأنت تعيشين في منزلي. إن علمت أنك تقابلين أحد الشبان، سأعيدك إلى صقلية.

كان صوت ريكو ناعماً، لكن شيرا ارتجفت من الخوف. هي تعلم أن من الأفضل لها ألاّ تعارض أخاها عندما يكون بهذا المزاج.

استلقت ستاسيا في سريرها، وتذكرت تهديد ريكو. نظرت نحو باب غرفة النوم، محاولةً أن تقرر ما هو أفضل عمل يمكنها القيام به. كانت لا تزال تفكر عندما فتح الباب، ودخل صديق شيرا إلى غرفتها. دون أن يتفوه الشاب بأي كلمة، انضم إليها في السرير، وغطى فمها بيده عندما فكرت بالصراخ. تمتم: «آسف بشأن ذلك، لكن... آه...! أنتِ جميلةٌ جداً، لذا ربما... لستُ بآسفٍ في النهاية».

قاومت ستاسيا بشدة لتحرر نفسها. فجأة أنيرت الغرفة، ورأت ريكو واقفاً عند الباب، وهو يغلي من الغضب، فيما شيرا تحوم وراءه. بدت تعابير وجهها ماكرة، وقالت بنبرة تحمل أثر الإقناع: «آه، ستاسيا! حاولت أن أحذرك».

حدق ريكو بالرجل بقربها، وقال: «اخرج من منزلي مادمت قادراً على ذلك. لديك دقيقتان فقط للهرب، وإلاّ فإنك ستغادر في كيس للجثث».

جاء صوته قاسياً ومريراً، وبدا واضحاً لكل من يراقبه أنه يحاول أن يتماسك قدر ما يستطيع. لم يحتج صديق شيرا لأي تشجيع على الهرب. نظر بتوتر إلى وجه ريكو الغاضب، ثم غادر الغرفة بسرعة البرق راكضاً في الممر نحو المدخل الرئيسي. حدق ريكو بستاسيا، التي كانت مستلقيةً في السرير ترتجف من الصدمة. كيف حدث ما حدث؟ منذ لحظات كانت نائمة، والآن... لم تقفل مرة باب غرفتها، ولم تفكر للحظة أن هناك سبباً لتفعل. لا بد أنه دخل غرفتها بالصدفة. بعد ذلك تذكرت ما قاله، وأدركت أنه لم يفعل ذلك بمحض الصدفة. التفتت نحو شيرا، التي تقف وراء أخيها، وفهمت بالتحديد ما حصل.

علمت شيرا أن ريكو سيبعدها إلى صقلية إذا ما وجدها مع رجل في المنزل، وذلك مصير أسوأ من الموت بالنسبة للمراهقة الشابة. لكن هل يمكن لشيرا أن تنحدر إلى هذا المستوى، فتخفي صديقها في غرفة نوم امرأة أخرى؟

ظلت عينا ستاسيا على شيرا، منتظرةً منها أن تقول الحقيقة، وتخبر ريكو بما حدث فعلاً، لكن هذه الأخيرة لم تفعل، بل كانت لديها الوقاحة لتضع يدها بتعاطف على كتف أخيها. دفعها ريكو بقوة، وهو يزفر بغضب، ثم غادر الغرفة، وتبعته أخته.

راحت ستاسيا ترتجف بسبب ما حدث، ثم سيطرت عليها طبيعتها المؤمنة بالحق والعدالة. هي لم ترتكب أي خطأ، وترفض أن تتلقى اللوم على أخطاء أخته. ارتدت ثيابها بسرعة، وبحثت عن ريكو، فوجدته في الطابق الأرضي في مكتبه.

- إن كنت قد أتيت إلى هنا لتنجي بفعلتك، فأنت تضيعين وقتك.

حدق بها بعينين مليئتين بالغضب وهو يتابع: «أنا لا أريد أن أسمع أي شيء».

- حتى الحقيقة؟

- الحقيقة واضحة كالشمس. وجدت زوجتي في سريري مع رجل آخر، فما هو تفسير ذلك؟

حدقت ستاسيا به بيأس. إنها مذنبة ومدانة، ومع ذلك هي بريئة بشكلٍ مطلق.

- أنت لا تثق بي. أليس كذلك؟ بعد هذه الأشهر وبعد كل ما تشاركنا به، أنت لا تثق بي.

- أثق بما رأته عيناي.

- استعمل عقلك، ريكو!

هي لم تصرخ يوماً في وجه أحد، وها هي الآن تصرخ في وجهه. علمت أن ما شاهده سيءٌ جداً، وأنها في وضع يستحيل الخروج منه. إن أخبرته الحقيقة ستقحم أخته بالموضوع، وستدمر علاقتهما إلى

الأبد، لكن إن لم تخبره الحقيقة، فسوف تدمر زواجها، وهي غير مستعدة لذلك.

- أنت تعلم كم أحبك. أنا أخبرك بذلك بشكل دائم.

حدق ريكو إليها بغضب صارخ، وقال: «وأنتِ دائماً تقولين لي إنك تشعرين بالوحدة والملل وأنا بعيد عنك في عملي. يبدو أنك وجدت ما يشغلك، يازوجتي الجميلة».

- ليس هذا ما حدث الليلة.

زفر بصوت جعلها ترتجف، وقال بغضب: «اخرجي من هنا ريثما أقرر ما الذي سأفعله».

رفضه الإصغاء إليها جعل غضبها يغلي في عروقها، ويسيطر عليها.

- ريثما تقرر ما الذي ستفعله؟ حسناً! دعني أوفر عليك هذا الجهد، ريكو. أنا سأقرر عنا نحن الاثنين. سأرحل عنك وعن هذه العلاقة المخجلة التي سميناها بسخرية زواجنا. مللت من تمضية أيامي بانتظارك حتى تعود إلى المنزل. أنت لا تريد شريكة حياة، ولا تريد المساواة في العلاقة الزوجية. أنت تريد عشيقة، وأنا لست مستعدة للقيام بهذا الدور. أنا أستحق أكثر من ذلك.

دون أن تنتظره ليجيب، استدارت ستاسيا بقوة. أجفلت ما إن سمعت صوت تحطم شيء ما على الباب الذي أغلقته وراءها.

* * *

عادت أفكار ستاسيا إلى الحاضر. أدركت أن الوقت حان لتتصرف بطريقة عملية. لا شيء يمكن تغييره الآن، فقد مضى وقت طويل على ما حدث. ستغادر بصمت من دون كلمات الوداع المقلقة، ومن دون أن تعرّض شيرا إلى المزيد من نوبات الحزن والصداع. أدركت فجأة أنها ليست بحاجة إلى الحقيبة. كل شيء هنا ينتمي إلى حياة لم تعد لها. ستغادر تماماً كما وصلت؛ دون أغراضها، دون أي شيء.

لم تسمح لنفسها بالنظر إلى السرير غير المرتب، فهو دليل واضح على علاقتهما السابقة. وجدت حقيبة يدها، وتأكدت من وجود جواز

سفرها. اتصلت بجيو لتطلب منه الإذن باستخدام السيارة متمنية أن يكون هناك الكثير من النشاط في المنزل مع حضور الأطباء ومغادرتهم، هكذا لن يلاحظ أحد رحيلها. بصمت شقت ستاسيا طريقها نحو مدخل الفيلا.

مع أن الشمس بالكاد بدأت بالشروق، لكن الطقس بدا دافئاً بشكل لا يصدق. نظرت إلى السماء وهي تفكر بحزن أنه سيكون يوماً جميلاً دون شك، ألاّ أنها لن تبقى هنا لتستمتع به...

حدق جيو بها باهتمام وسألها: «هل سترحلين؟».

تمكنت من الابتسام وهي تقول: «حان الوقت لذلك. لم يكن قدومي إلى هنا بهدف البقاء بشكل دائم جيو. كلانا يعلم ذلك».

قطب الرجل جبينه، وبدا من الواضح أنه غير سعيد لفكرة رحيلها. قال: «هل يعلم السيد بذلك؟ أعتقد أنه يجب علي...».

لا! هذا آخر شيء تريده. الوداع المؤلم ليس من التجارب التي تحتطيع تحملها. لأول مرة فهمت ستاسيا سبب ولاء جيو لريكو. تجمع بين عائلتيهما روابط أقوى بكثير من مجرد صداقة عابرة. قالت بسرعة: «أحتاج إلى الرحيل فوراً، جيو. لا داعي للقلق. ريكو يعلم برحيلي».

فكرت أن تلك ليست كذبة. ريكو يعلم أن هذا السيناريو سيدوم حتى تستعيد شيرا ذاكرتها.

صعدت ستاسيا إلى السيارة محاولة ألاّ تتمنى لو أن شيرا ظلت على حالها لمزيد من الوقت بعد. من الواضح أن المراهقة تسير على طريق الشفاء، وهذا أمر جيد بلا شك. جلست صامتة بينما سارت السيارة بسرعة نحو المطار. حدقت بالمناظر الرائعة لصقلية للمرة الأخيرة. هي تعلم أنها لن تعود إلى هنا مطلقاً.

١٠ - أريد حبك فقط

حدق مارك باللوحة بدهشة واضحة وهو يقول: «إنها رائعة! تأخرت قليلاً في تسليمها، لكنها تستحق الانتظار».

قالت ستاسيا بهدوء: «اضطررت إلى السفر بصورة غير متوقعة».

غلفت اللوحة بعناية، وساعدته ليحملها، ويخرجها من المحترف إلى الباب الأمامي.

عادت ستاسيا إلى منزلها منذ أسبوعين، وهاهي تعمل بشكل آلي. تستيقظ كل صباح، لتقوم بكل ما تجبرها الحياة على القيام به، لكنها لا تشعر بأنها حية. منذ أن غادرت صقلية، فقدت حياتها لمعانها وإشراقها.

قطب مارك جبينه، وسألها: «هل كنت تصغين إلى ما أقول؟».

جذبت ستاسيا نفسها إلى الحاضر بسرعة، وأجابت: «آسفة! كنت غارقة في أفكاري».

- هو السبب من جديد. أليس كذلك؟

بدا مارك منزعجاً وهما يسيران نحو سيارته، فابتسمت ستاسيا له معتذرة. قالت: «أنا قضية خاسرة».

تنهد مارك وقال: «حسناً! في هذه الحالة، أعتقد أنك ستسرين بما سأخبرك به الآن».

- ماذا ستخبرني؟

نظر من وراء كتفها قائلاً: «هناك سيارة رياضية رائعة تسير عبر الممر الذي تسمينه طريقاً».

مدّ عنقه إلى الأمام وتابع: «أعتقد أن لديك ضيفاً... بليونيراً من صقلية».

شعرت ستاسيا بقلبها ينبض بسرعة. مرّ أسبوعان... أسبوعان طويلان من العذاب، عاشت فيهما وهي تتساءل بحرقة ما الذي حدث بعد مغادرتها. أمضت كل لحظة من كل يوم في حالة من التوقع الدائم. هل اعترفت شيرا؟ هل عرف ريكو الحقيقة أخيراً؟ وإن فعل، فهل سيأتي إليها؟ يبدو أن هذا ما حدث...

تجمدت في مكانها، فيما السيارة تقترب. حتى عندما خرج ريكو بقامته الفارعة من وراء المقود، بقيت جامدة دون أي حركة. علمت أنه سيبدو مضحكاً وهو يقف في حديقة كوخها الصغير الأمامية، لكنه لم يبدُ كذلك. بدا ملفتاً للنظر، وتذكرت على الفور أنه يبدو مرتاحاً بشكل دائم وفي أي وضع كان.

لكن ريكو لم يكن ينظر إليها. راح يحدق بمارك بعداوة واضحة. وبدا من خلال تصلب كتفيه العريضتين أنه على استعداد تام لمواجهته. لاحظ مارك ذلك، فتراجع نحو شاحنته خائفاً.

- من الأفضل أن أرحل على الفور.

أبقى عينيه على ريكو، كأنه يراقب نمراً فرّ فجأة من قفصه.

قال ريكو بصوت ناعم: «قرار حكيم».

لكن عيناه بقيتا تحدقان بمارك محذرتين. حدقت ستاسيا إليه بغضب وانزعاج. ماالذي يقوم به؟ فات الأوان على القيام بدور الزوج الغيور. في أي وقت آخر كانت لتدعو مارك للبقاء فقط لتحرز نقطة ضد ريكو، لكنها رأت لمعان الخطر في عينيه، فلم تستطع الوثوق بردة فعله. لهذا أسرعت لمساعدة مارك ليضع اللوحة في الشاحنة بأمان وحذر.

قالت بهدوء: «أتمنى أن تعجبهم. شكراً لك مارك».

- يمكنك الاتصال بي في أي وقت، كما تعلمين.

رمى ريكو بنظرة حذرة من جديد. أغلقت ستاسيا باب السيارة بسرعة، وتراجعت إلى الوراء ليتمكن من القيادة مغادراً.

- علامَ تشكرينه؟

سمعت ستاسيا نبرة صوت ريكو باردة كالثلج، فتنهدت. هي ليست

www.elromancia.com

بمزاج صافٍ لتواجهه، كما أن نظرة واحدة إلى وجهه أعلمتها أنها ستنال منه ضعف ما تقدمه له. قالت باستياء: «لكونه صديقاً جيداً».

على الفور ندمت على ما قالته، لأنها علمت أنه سيسيء تفسير كلامها.

- إلى أي مدى هو صديقٌ جيدٌ.

ظهر الضيق على ملامح وجهه، فحدقت ستاسيا إليه مذهولة، وهي تشعر بشوق لا يوصف نحوه. تمتمت: «هذا موقف سخيف جداً. أنت تتصرف وكأنك زوج غيور، مع أنه لم يعد هناك أي شيء بيننا بعد الآن».

- مازلت زوجتي.

- على الورق فقط.

- لا! لست كذلك.

تنفس ريكو بعمق، وهو يمرر أصابعه في شعره الأسود الداكن متابعاً: «إذا رحلت مجدداً من دون أي نقاش، فلن أكون مسؤولاً عن ردة فعلي. فعلت ذلك مرتين حتى الآن، ولن يكون هناك مرة ثالثة».

حدقت به ستاسيا باستغراب. من المؤكد أنه أرادها أن ترحل. بدأت تقول: «أنا...».

قاطعها وهو يبدو على حدود فقدان صبره: «أنت امرأة، ومن المفترض أن تغضبي مني، وأن تكون لديك نوبات من الغضب، ومن المفترض أن تعبري عن عواطفك، لا أن ترحلي بكل بساطة».

كلامه زاد من استغرابها. هذا النقاش لا يجري كما توقعته.

- أنت لا تعبر عن عواطفك.

رد عليها ريكو على الفور بنبرة جافة: «أنا رجل. لا يفترض بي أن أعبر عن عواطفي».

- أمن المفترض أن أخبرك بكل ما أشعر به، ولا أتلقى منك أي شيء بالمقابل؟ أهذا ما تريده؟

- كلا.

تمتم بكلام هامس باللغة الإيطالية، قبل أن يتابع: «ليس الأمر كذلك، لكنني معتاد على معرفة كل ما تفكرين به، وهذا من الأمور التي أحبها فيك. لم يكن هناك أية تعقيدات في شخصيتك، ولم تمارسي أي ألاعيب. إن كنت سعيدة، تشرقين بالحيوية، وتنطلقين في الكلام، وإن كنت غاضبة ترمين الأشياء على الأرض، وكنت تقولين لي دائماً إنك تحبينني».

هو لم يعبر عن حبه لها أبداً، ولو حتى مرة واحدة. تمتمت ستاسيا: «هذا حوار لا جدوى منه. رحلت لأنني لم أجد أي شيء نستطيع أن نقوله لبعضنا. كما أن شيرا استعادت ذاكرتها، وانتهى دوري».

- لا، لم ينتهِ.

تنفس ريكو بهدوء وهو يتقدم نحوها. أظهرت ملامح وجهه كأن لديه مهمة واحدة تشغل باله، فيما تابع: «إن كنت تظنين أنني ما زلت أرغب في الطلاق، فأنت مخطئة».

توقف قلبها عن الخفقان للحظة. أخيراً عرف ريكو الحقيقة!

حدقت ستاسيا به وهي تشعر بالخدر. يجدر بها أن تشعر بفرح لا يوصف لأنه عرف الآن أنها بريئة، لكنها بدلاً من ذلك شعرت بإحساس غريب من الفراغ يحيط بها.

- الأمر ليس بهذه السهولة، ريكو.

تابعت بحزن: «أنت لا تثق بي، ولو أن شيرا لم تقرر فجأة الاعتراف، لاستمريت في اتهامي. لا أستطيع العيش مع رجل لا يثق بي. ما الذي سيحدث في المرة القادمة عندما تقرر شيرا أن تخفي أحد أصدقائها في غرفة نومي؟ هل سأعتمد على شيرا كي تعترف بالحقيقة؟».

وقف ريكو جامداً. لم تتحرك عضلة واحدة في جسده، وهو يحدق بها. نظرت إليه ستاسيا بسخط واضح. ما الذي يحدث له الآن؟ هل أصيب بصدمة لأنها أثارت هذا الموضوع؟ ماالذي يتوقعه... أن تتجاهل كل ما حصل؟ ألا يدرك أن مشاكلهما أعمق بكثير من هذا

www.elromancia.com

الحادث بالذات؟

فتح ريكو فمه ثم أغلقه من جديد، كأنه يحاول أن يجد الكلمات المناسبة ليتفوه بها. بدت نبرة صوته غريبة ومترددة، وهو يقول لها بتلعثم: «كرري لي... ما قلته الآن».

قطبت ستاسيا جبينها. لم يتردد ريكو أو يتلعثم مرة منذ أن تعرفت إليه. قالت بصراحة: «كنت أقول في الواقع، بعد أن أخبرتك شيرا الحقيقة بشأن تلك الليلة، لم يتغير أي شيء. المشكلة هي أنك لا تثق بي. هذا يفسر كل شيء».

- أحقاً؟

بدت بشرته البرونزية رمادية اللون، أما هو فبدا في ارتباك مطلق. نظرت إليه ستاسيا غير قادرة على تفهم ردة فعله. حسناً! من المحتمل أن ما حصل ليس من أكثر المواضيع بساطة، لكنه حدث في الماضي. أتراه حقاً يشعر بمثل هذه الصعوبة في التحدث عن الأمر؟

- ريكو! لو أن شيرا لم تخبرك الحقيقة، لما كنت هنا الآن. كلانا نعلم ذلك.

أغمض ريكو عينيه للحظة، وعندما فتحهما من جديد لم يكن هناك أي تعابير في أعماقهما. قال: «أريد أن أسمع منك عما حدث في تلك الليلة. أريد أن أسمع ذلك الآن».

- ألهذا السبب أتيت إلى هنا؟ لأخبرك الحقيقة بنفسي؟

لم تفهم ستاسيا السبب الذي يدفعه لسماع ذلك من جديد. رفعت نظرها إليه باستياء، وتابعت: «لماذا الآن؟ لم تسأل في تلك الأثناء».

- ها أنا أسأل الآن.

لم يكن هناك من مجال لعدم الإحساس بتوتره وانزعاجه. تساءلت لماذا يريد أن يمضي المزيد من الوقت في التحدث عن موضوع يجده مزعجاً، وهو غير قادرٍ على تقبله، كما يبدو بوضوح مطلق.

- ما الغاية من ذلك؟

بدت نبرة صوته عميقةً وحزينةً وهو يقول: «دلليني قليلاً».

تنهدت ستاسيا، ونظرت حولها ثم سألته: «أنبقى هنا، أم أنك تفضل التحدث في الداخل؟».

نظر ريكو نحو كوخها الصغير، وكأنه نسي وجوده، ثم تحرك قائلا: «أعتقد أننا عانينا ما يكفي من الجراح في الرأس في عائلتنا، من دون أن أضرب رأسي، وأصاب بغيبوبة في كوخك هذا. لنتمشى».

ترددت قليلاً، ثم أشارت نحو الممر الضيق قائلة: «حسناً! يمكننا أن نسير هناك».

رمته بنظرة سريعة، ما إن تقدم وسار قربها. رأت مدى التوتر في كتفيه العريضتين، كما أن شيئاً ما في ملامح وجهه جعلها تشعر بالقلق وعدم الراحة. سألته: «كيف حال شيرا؟

- لو أنك بقيت هناك، لما كنت بحاجة لتسألي هذا السؤال.

توقفت ستاسيا عن السير. أبعدت شعرها الناري عن وجهها، وحدقت به وهي تشعر بالارتباك وعدم التصديق.

- ريكو! لا يمكن أن تكون جدياً في ما تقوله. أردتني أن أبقى هناك حتى تستعيد شيرا ذاكرتها، وبدا من الواضح جداً أنها ما إن استعادت ذاكرتها حتى أصبح حضوري مزعجاً ومقلقاً بالنسبة لها. من الواضح أنها تذكرت أنها السبب المباشر لانفصالنا.

- هذا أمر واضح جداً. والآن، أخبريني كل شيء. لا تغفلي أي كلمة.

وهذا ما فعلته. ترددت قليلاً، وهي تتحدث عن اللحظة التي صعد فيها شخص غريب إلى سريرها، لكنها تابعت بسرعة عندما لمحت النظرة الغاضبة في عينيه السوداوين.

- آمل أنك لم تغضب من شيرا. من الواضح أنها نادمة على ذلك، بما أنها أقرت بما حدث في النهاية.

توقف ريكو عن المشي، واستدار لينظر إليها. لم يكن هناك أي أثر لأي شعور على وجهه الوسيم، وهو يحدق بعينيها قائلاً: «هي لم تعترف بأي شيء».

توقفت ستاسيا عن الحركة: «لكنك قلت...».

لم تكمل ما بدأت بقوله، محاولة أن تتذكر بالتحديد ما الذي قاله.

- قلت إنك هنا لأن شيرا أخبرتك الحقيقة.

- لا! هذا ما قلته أنتِ.

تنهد ريكو، وعبق وجهه بألوان مختلفة مؤكدة مدى حيرته واضطرابه. تابع قائلاً: «أنا لم أقل أي شيء. أنت افترضت أنها اعترفت، وهذا ليس صحيحاً».

شعرت ستاسيا كأنها قفزت في نهر مياهه باردة كالثلج. حدقت إليه بذهول، وقالت: «آه، لا!».

قال لها مؤكداً، وعيناه تلمعان من الغضب: «بلى! شيرا لم تقل لي أي شيء».

تأوهت ستاسيا من الإحساس بالمهانة. غطت فمها بيدها، وهي تهز رأسها قائلة: «لا أصدق هذا! أتقول لي حقاً إن شيرا لم...؟».

أبعدت يدها عن فمها، وتابعت: «آه! ما الذي فعلته؟».

قال ريكو ببرودة: «أمر كان عليك القيام به منذ سنة كاملة، وأمر كان على شيرا أن تفعله منذ سنة أيضاً. ما لا أفهمه هو لماذا لم تخبرني ذلك بنفسها».

همست ستاسيا وهي تشعر بالرعب: «اعتقدت أنها فعلت. لم أرغب مطلقاً في أن أكون أنا من يبوح بهذا الأمر».

- مع أن ذلك يعني إنقاذ زواجنا!

مرر يده على مؤخرة عنقه وأطلق شتيمة باللغة الإنكليزية ثم بلغته الأم. قالت بهدوء: «زواجنا كان تقريباً على وشك الانهيار».

شعرت فجأة بالعذاب لعدم قدرتها على تسوية الأمور الآن. من بين كل الأمور التي تخيلتها، لم يكن هذا السيناريو مطلقاً في الحسبان.

- مجرد التفكير أنكِ قادر على التصديق أنني قد أقدم على علاقة مع رجل سواك يثبت ذلك.

تلفظ ريكو بكلماته كأنه يزأر، فيما عيناه تلمعان بشدة من الغضب:

«أحقاً؟ فكري بالأمر قليلاً. لو أنك عدت إلى المنزل بصورة غير متوقعة، ووجدتني في السرير مع حسناء جميلة، ماالذي ستفكرين به؟».

حدقت ستاسيا به غير قادرة على الكلام. الصورة التي خلقها مؤلمة بشدة لدرجة أنها بالكاد تستطيع أن تفكر بها. بدت ملامحه حزينة وهو يسألها: «هيا، ستاسيا! ماذا ستفكرين حينها؟».

فجأة، شعرت بقليها يدق بعنف لدرجة أنها بالكاد تستطيع أن تتنفس.

- أنا، أنا لا...

- ستعتقدين أنني أقيم علاقة معها.

قال ذلك بقسوة، مبتعداً عنها وهو يزفر بنفاد صبر.

- كلانا عاطفيان جداً. أمثالنا لا يتصرفون حيال وضع كهذا بهدوء وروية. لكنت افترضت تماماً ما افترضته، ولاعتقدت الأمر نفسه.

ابتلعت ستاسيا غصة في حلقها. هل ما يقوله صحيح؟

- في تلك اللحظة، ربما قد أفكر مثلك تماماً. لكن في ما بعد، بعد أن آخذ الوقت الكافي للتفكير...

- للتفكير؟ متى أعطيتني الوقت الكافي للتفكير، ستاسيا؟ رحلت على الفور... تخليت عني وتركتني.

- شعرت بالغضب منك لأنك لم تثق بي.

ضحك ريكو ضحكة تخلو من المرح قائلاً: «وأنا كنت غاضباً منكِ، لأنك كنتِ مع رجل آخر في سريرنا. ثم زاد غضبي منكِ لأنكِ غادرت من دون أن تعطيني الفرصة لأنفس عن غيرتي».

فقَدَ وجهها لونه: «لأنكَ افترضت...».

قاطعها بقسوة: «افترضت أنكِ تقيمين علاقة مع رجل آخر، هذا افتراض منطقي في تلك الظروف. أعتقد أنك توافقينني الرأي. ثم افترضت أنكِ تركتني باندفاع شديد، وهذا يعني أنك لا تريدين البقاء معي، وأنكِ مذنبة، وهذا افتراض منطقي أيضاً في تلك الظروف».

- كنت بريئة.

www.elromancia.com

- مع هذا، رحلتِ.

أغمضت ستاسيا عينيها محاولة أن تهدئ أنفاسها. قالت: «لأنني شعرت بالغضب منك، وليس لأنني مذنبة. لم أستطع أن أفهم كيف تظن بي ذلك بعد ما تشاركنا به معاً».

قال ريكو بنبرة حزينة: «أجل... أفهمك. لكن الآن، بعد أن هدأت الأمور، هل تستطيعين تفهم ما فكرت فيه؟ هل تستطيعين ذلك الآن؟».

نظرت إليه محدقة في أعماق عينيه، وهي تفكر في كل ما مر بهما. ماذا لو أنها رأته في الوضع نفسه؟

قالت موافقة بصوت هامس: «لا بد أن الأمر سيء جداً».

- لو أنك بقيت بقربي، لربما توصلت إلى الاستنتاج الصحيح في وقت ما. لكنك غادرت من دون أي نقاش، وأنا لم أحظ بفرصة للاستغراق في التفكير. العواطف السلبية تراكمت فوق بعضها... عواطفي وعواطف عائلتي.

شعرت ستاسيا بساقيها ترتجفان.

- لكن ما دمت لم تعلم بما حدث، ما الذي دفعك للقدوم إلى هنا اليوم؟

ابتسم ريكو بمرارة، وأجاب: «لأنكِ غادرت من جديد. هذه المرة قررت أن أتبعكِ. لو أنني اتخذت هذا القرار منذ سنة، لربما كنا في مرحلة مختلفة الآن. ياإلهي!».

نظر إليها وقد قطب جبينه، ثم رفعها بين ذراعيه بحركة سريعة وهو يتابع: «وجهك شاحب جداً. بعد التفكير قليلاً، أعتقد أنني سأخاطر بجرح رأسي. أنت بحاجة إلى الجلوس، وأنا بحاجة إلى شراب ما».

- إذا كنت شاحبة، فذلك لأنكَ تعمل دائماً على تغطية وجهي بالقبعة. كما أنني لست بحاجة إلى الجلوس. أنا لست ضعيفة.

تمتمت ستاسيا بذلك، وهي تحاول مقاومة الرغبة في دفن وجهها في عنقه. تجاهل ريكو ما قالته، وسار عبر الممر الضيق وهي بين

ذراعيه. بعد أن سار عدة خطوات، تخلت ستاسيا عن مقاومتها، ودفنت وجهها في عنقه، وهي تشعر أنها غير قادرة على مقاومته. هو لم يعلم بشأن شيرا. إذاً، لماذا هو هنا؟ لماذا لحق بها؟

- إن كان وجودك هنا لا علاقة له بشيرا، إذاً لماذا احتجت إلى أسبوعين لتلحق بي؟

- لأنني، ولأول مرة بعد رحيلك، أمضيت فترة في التفكير بهدوء وسلام، من دون تدخل أهلي، بالرغم من نواياهم الحسنة.

قال ذلك بحزن، وهو يدفع الباب، ثم يحني رأسه ليتجنب ارتطام رأسه. تابع: «خلال تلك الفترة من التفكير الهادىء، لاحظت أموراً كثيرة».

تابع سيره إلى المطبخ. وضعها على الأرض، إلاّ أنه لم يسمح لها بالابتعاد عنه. لامست أنفاسه عنقها، فشعرت ستاسيا بالشوق إليه. قالت: «اعتقدت أنك بحاجة إلى شراب ما».

حدق ريكو بها، وقال: «فكرة جيدة. ماذا لديك؟».

مالت نحو البراد، وقالت: «عصير فاكهة حضرته صباحاً. هل ترغب في كوب؟».

ابتسم: «لا بأس، لكن ما يهمني هو إجابتك عن بعض الأسئلة».

- أي أسئلة؟

- عن شيرا.

عضت ستاسيا على شفتها، وقالت: «ريكو، لا أستطيع».

- بل تستطيعين، وهذا ما ستفعلينه.

قدم لها كوباً، ثم سكب لنفسه واحداً وهو يتابع: «فات الأوان على التصرف بلياقة. ما أريد معرفته الآن هو الحقيقة. أريدها كاملة وبدون مجاملة، ستاسيا! متى كانت أختي تدعو أصدقاءها إلى منزلي؟».

تمتمت: «في أحيان كثيرة».

زفر ريكو أنفاسه بشكل مطول: «وأنت لم تخبريني بذلك».

رفعت ستاسيا كتفيها بيأس، وأجابت: «كنت في وضع لا أحسد

عليه. أختك تكرهني، فكيف سأتمكن من تطوير أي علاقة بيننا إن كنت سألجأ إليك كلما فعلت شيئاً ما، وأنا أعلم أنك غير موافق عليه؟».

ظهر الضيق على وجه ريكو وهو يقول: «ألهذا قمتِ بتشجيعها؟».

قاطعته بسرعة، وعيناها تلمعان من الغضب والألم: «لا. ما تقوله ليس عادلاً! أنا لم أشجعها. كنت دائماً أتكلم معها، محاولة توجيهها لتقوم بالعمل الصائب والصحيح، وكانت تكرهني أكثر لذلك».

أغمض ريكو عينيه، كأنه يعد نفسه لسماع أخبار هو يعلم بشكل مؤكد أنها لن تعجبه.

- ماذا عن تلك الملاهي الليلية التي كنت تذهبين إليها معها؟

ترددت ستاسيا، لكن نظرة محذرة من عينيه كانت كافية لإقناعها أن الوقت فات على إخفاء الأمور. قالت أخيراً: «لم أذهب معها. كنت أتبعها لأحاول إقناعها أن تعود إلى المنزل. لو أن جواسيسك كانوا يقومون بعملهم على وجه صحيح، لأخبروك أنها كانت تصل أولاً ثم أصل بعدها. لم نذهب مرة معاً».

- كان عليك إخباري بذلك.

قالت بنبرة كلها استياء: «متى؟ متى كان علي أن أخبرك بتلك الأمور؟ أنت لم تتواجد أبداً في المنزل، ريكو. لم أكن أراك إلا خلال الليل. أثناء ذلك الوقت لم نتحدث مرة عن علاقتنا، فكيف سنتحدث بأمور أخرى؟ كنا نقيم علاقة حميمة ونام. هذا كل شيء».

ظهر التوتر على ريكو، وهو يدرك أن تصرفاته الخاطئة هي التي أسهمت في ذلك الوضع السيء.

- في ذلك الوقت كنت أعاني من مشاكل جمة في عملي.

- أحقاً؟ لم تكن لدي أي فكرة عن الأمر.

سمع في صوتها نعومة واهتماماً كبيرين، لا سيما وهي تتابع: «افترضت أن تلك هي حياتك العادية. لم أعرفك جيداً لأعرف عنك أموراً مختلفة، وافترضت أنك تريد أن تمضي لياليك معي فقط».

أجفل ريكو، وبدا بوضوح أنه يعاني بشدة من اتهامها له.

- هذا غير صحيح.

قالت ستاسيا: «لكن هذا ماكنا عليه، ريكو. أنا لم أساعدك في تغيير الوضع. يمكنني رؤية ذلك الآن. لم تكن شيرا المسؤولة عن انهيار زواجنا. نحن من أفسدناه معاً، لأننا لم نكن نمضي أوقاتاً مع بعضنا. أنا شعرت بالوحدة، فملأت أيامي بالعمل، وبدأت أراك في فترات متباعدة، وأصبحت أكثر اقتناعاً أنك تعتقد أن زواجنا مجرد غلطة كبرى».

قال بحزن: «بعد ما أخبرتني به ونحن في صقلية، فهمت أخيراً حاجتك للإحساس بالاستقلال المادي. لكن يجب أن تعلمي أنني ما كنت لأتركك بدون مال، مهما ساءت علاقتنا».

قالت بتذمر، وهي ترفع كتفيها: «لكنني لم أكن أريد أي مال منك. أفهم الآن ما الذي دفعك للعمل من أجل عائلتك، لكن عليك أن تفهم أنني لم أفكر مطلقاً بمالك عندما تزوجت بك. أنا لم أرغب بذلك المال وأنا زوجتك، وبالتأكيد لن أقبل به بعد انفصالنا».

نظر حوله وظهرت ابتسامة على وجهه، وهو يقول: «هذا ما أراه».

قالت ستاسيا بنبرة دفاعية: «أحب هذا الكوخ، فأنا أحب بجنون الحياة في الريف».

قال ريكو فيما علت ملامح القلق وجهه الجميل: «لن أجادلك بشأن الريف الإنكليزي، بل بشأن ارتفاع السقف في هذا الكوخ الغريب. أنا لا أطيق أن أمشي منحنياً في أي مكان، وهذا يوصلني إلى السبب الثاني الذي دفعني للتأخر أسبوعين لأتمكن من اللحاق بك».

شعرت بقلبها يضطرب في صدرها، فسألته: «؟أي سبب ثانٍ؟».

تنهد بحزن، وهو يتمتم كلاماً بلغة بلده، ثم قال: «هذا اللقاء بيننا لم يسر أبداً كما خططت له».

- وكيف خططت له؟

- أردت المجيء إلى هنا لأعتذر منكِ، ثم أقدم لك هديتكِ، ونعيش بسعادة حتى آخر العمر.

بسعادة حتى آخر العمر! وهدية أخرى...؟! ألم يتعلم بعد أنها لا تريد أي هدايا منه؟

حدقت ستاسيا إليه بصمت، وهي تفكر في ما قاله. هي مازالت المرأة ذاتها، وهو مازال الرجل ذاته... أم أنه تغير؟ قطبت جبينها، وسألته: «أكنت ستعتذر؟ لكنك لم تكن تعرف أن شيرا هي السبب في ما حدث».

- لم آتِ لأعتذر عن ذلك. أردت أن أعتذر عن كل شيء آخر. أما الآن فلم أعد أعرف من أين أبدأ. من الواضح أن اعتذاراً واحداً لن يكون كافياً.

نظرت إليه مشككة، وقالت: «ابدأ بما كنت ستقوله قبل أن أخبرك عن شيرا».

نظر ريكو إليها للحظة، ثم تنفس بصوت عالٍ، وقال: «حسناً! لكن أولاً عليك أن تعرفي أنكِ مختلفة عن كل النساء اللواتي تعرفت إليهن من قبل».

عضت ستاسيا على شفتها قائلة: «أنا مختلفة جداً».

رأت الاضطراب واضحاً على ملامح وجهه وهو يقول: «دعيني أنهي كلامي، فأنا لست معتاداً على تقديم الاعتذارات. إن تمت مقاطعتي في وسط الحديث، فقد أخطئ في ما أقوله، كما أنني لست متأكداً إن كنت قادراً على القيام بذلك مرتين».

بالرغم من العواطف المضطربة في داخلها، علمت ستاسيا أن عليها أن تخفي ابتسامتها. هذا هو ريكو! إنه يرغب دائماً بأن يكون مثالياً حتى في الاعتذار. قالت: «هيا! تكلم إذاً».

اعترف ريكو بصعوبة: «أحببت حقيقة أنكِ مختلفة عن الجميع، كما أحببت فكرة أنكِ غير عادية أو تقليدية. لكن بعد أن تزوجنا، توقعت منكِ أن تجاريني تماماً في حياتي التقليدية. أنا الآن أستطيع رؤية ما فعلته. أبعدتك عن شخصيتك تلك، كمن يقطف زهرة برية، ويتوقع أن تزهر وتنمو داخل المنزل. لا عجب أنك لم تكوني سعيدة. كنت أعاني

من وقت عصيب جداً في العمل، وكنت أعود إلى المنزل مرهقاً وغير قادر على القيام بأي شيء إلا الارتماء على السرير».

لمعت ابتسامة في عيني ستاسيا، وعلقت: «لكن... كانت لديك الطاقة للقيام ببعض الأمور».

لم يبتسم لها ريكو في المقابل، بل قال: «أعلم ذلك. مازلت أتذكر ما قلته لي في صقلية. كنت على حق عندما قلت لي إنني عاملتك كعشيقة. هذا ما فعلته بالفعل، وأنا خجول جداً من ذلك التصرف، حبيبتي! أفهم الآن لماذا اعتقدت ذلك، لكن عليكِ أن تعلمي أن النساء اللواتي عرفتهن قبلك، كنّ سعيدات جداً بتمضية النهار وهنّ ينفقن المال من البطاقات المالية التي أقدمها لهنّ».

ابتسم لنفسه بسخرية، وتابع: «اعتقدت أنكِ ستكونين أكثر سعادة إن تركتك لتمضية النهار كما ترغبين».

ابتسمت ستاسيا قائلة: «لا شك أن المصارف التي تتعامل معها ستحب ذلك».

- أنت لم تنفقي دولاراً واحداً.

رفعت كتفيها بلا اهتمام، وقالت: «أخبرتك مئات المرات أنني لست مهتمة مطلقاً بمالك، لكنني لم أكن أعرف شيئاً عن عملك، ولم أعلم أنّ لديك مشكلة في ذلك الوقت. لم أفهم مطلقاً سبب اهتمامك الكبير بالعمل حتى أجرينا ذلك النقاش على الشرفة في صقلية».

- لم تظهر أي امرأة اهتماماً بكيفية حصولي على المال، ومن الطبيعي أن افترض أنكِ مثلهنّ.

هزت ستاسيا رأسها، وأجابت: «لم نمضِ وقتاً كافياً للتحدث بمثل هذه الأمور».

- هذا صحيح. وكما قلت لي في السابق، كنا نتشارك في العلاقات الغرامية ولا شيء غير ذلك. عرفت عنك أموراً خلال الأسابيع القليلة الماضية في صقلية أكثر مما عرفته في زواجنا كله.

- وما الذي عرفته؟

- أنك حنونة ومحبة ومسامحة.

أغمض ريكو عينيه للحظة، قبل أن يتابع: «مسامحة بشكل مطلق، فبالرغم من الإساءة التي ارتكبتها شيرا بحقك، ذهبت لمساعدتها. لا بد أن ذلك كان أمراً صعباً عليك».

- لم يكن صعباً أبداً. فهي ما زلت يافعة.

ظهرت القسوة في عينيه، وهو يقول: «لا تقدمي أعذاراً لذنب نعلم كلانا أنه لا يغتفر. سأتحدث مع شيرا عن ذلك، لكن لا داعي لتشغلي بالك بالأمر».

بالكاد استطاعت ستاسيا أن تطرح السؤال: «إذاً لماذا أتيت إلى هنا؟ ألكي تعتذر؟».

عقد ريكو حاجبيه، وأجاب: «ولأخبرك أنّ الطلاق قد أُلغيَ. اعتقدت أنني أوضحت ذلك جيداً».

قفز قلبها من شدة الفرح، لكنها تماسكت، وقالت: «ريكو! لم يتغير أي شيء في وضعنا».

- كل شيء تغير.

أعلن ذلك بنبرة صوته الواثقة دائماً، ثم أمسك بيدها وشدها لتقف، وهو يتابع: «هذه المرة أنا أفهم ما الذي تحتاجين إليه، وسأثبت لك ذلك بالفعل».

ابتلعت ستاسيا غصة في حلقها. ما تريده بالفعل هو الحب... حبه. لكن - كالعادة - الحب هو الأمر الوحيد الذي لم يذكره.

- إلى أين ستذهب؟

- لأريك السبب الآخر الذي دفعني لتمضية أسبوعين قبل أن أعود إليك. كنت منشغلاً به.

بدا راضياً وسعيداً، فتبعته ستاسيا إلى السيارة محتارة ومرتبكة. قاد ريكو السيارة مسافة قصيرة، ثم انعطف نحو طريق فرعي محاط بالأشجار لمسافة نصف ميل، قبل أن يصل إلى منزل خاص. قال بفرح: «قلت إنني لا أفهمك، وهذا دليل على أنني أفهمك جيداً. أعلم

أنكِ تحبين الحياة في الريف، لكنني لا أستطيع العيش في منزل مساحته أصغر من مساحة غرفة الحمام، لذا أقدم لكِ البديل».

حدقت به ستاسيا بغموض. نقلت نظرها بينه وبين القصر الجميل المبني على الطراز الجورجي القديم في نهاية الطريق.

- عفواً! ما علاقة هذا المنزل بنا؟

- نحن نملكه.

أعلن ريكو ذلك بفخر، فشهقت ستاسيا، وهي تحدق بالمنزل ثم به من جديد.

- نحن نملكه؟!

ابتسم لها ابتسامة كبيرة، تدل على شعور بثقة كبيرة بنفسه وبالقرار الذي اتخذه.

- هذا صحيح! أنتِ تحبين الريف، لذا اشتريت لكِ هذا المنزل. أما زلت تظنين أنني لا أفهمكِ؟

ما إن فهمت ستاسيا ما قاله حتى ضغطت بأصابعها على راحتي يديها، وأغمضت عينيها. شعرت بنظراته موجهة إليها، وبمدى توقعه لردة فعلها.

- هل أنت سعيدة وراضية الآن؟

- لا! ما دمتِ ترغب في معرفة ذلك.

تحدثت من بين أسنانها، متسائلة إن كان هناك رجل آخر على وجه الأرض مثير للغضب مثل ريكو كريسانتي. أخيراً فتحت عينيها، ونظرت إليه متابعة: «أنا أحاول مقاومة الرغبة في خنقك».

حدق إليها ريكو بعينين مذهولتين: «ألا يعجبكِ طرازه؟».

- بالطبع، يعجبني جداً. إنه جميل، وهو قد يعجب أياً كان.

حدق بها بإحباط: «إذاً، لماذا تريدين خنقي؟».

- لأنك لم تفهم مطلقاً ما أريده. بالرغم مما تظنه، من الواضح أنك لن تفهمني أبداً.

امتلأت نبرة صوتها بالعاطفة التي كادت تخنقها، وهي تتابع: «لا

www.elromancia.com

علاقة للمنزل بذلك، ريكو. ولا لمسألة العيش في الريف. الأمر يتعلق بالمشاركة، باتخاذ قراراتنا معاً، بأن نكون متساويين، هذا ما أريده. لا أريدك أن تقدم لي منزلاً مهما كان رائعاً. أريد أن أختار كل شيء معك».

توتر ريكو بشكل واضح، ثم تمتم شتيمة باللغة الإيطالية، وسار بخطوات واسعة عبر الممر نحو الحدائق. بدا بوضوح أنه كاد يفقد صبره. انهارت ستاسيا على أقرب قطعة أرض مغطاة بالأعشاب، وأخذت تبكي. إنهما مختلفان جداً. لا عجب أنّ علاقتهما لم تتمكن من الصمود. إنه لا يفهم أبسط احتياجاتها. بكت حتى جفت دموعها، وعندما فتحت عينيها أخيراً وجدته واقفاً قربها.

- لا أستطيع أن أفهمكِ. أليس كذلك؟ أنشأت لكِ محترفاً في إيطاليا، متوقعاً أن تسعدي به، لكنكِ نظرت إليّ بألم، ولم أعرف ما هو الخطأ الذي ارتكبته. والآن اخترت لك المنزل، لأنني اعتقدت أنكِ ستحبينه.

مدّ ريكو يديه أمامه بحركة غاضبة، وتابع: «انتِ تحبين إنكلترا، وتحبين الريف كثيراً. اعتقدت أنّ هذه هي الحياة المثالية التي تريدينها. أحاول بجهد كبير أن أفهمكِ، حتى إنّ ذلك أصبح كالهوس لدي. أنا أفوّض أعمالي إلى فريق عملي لدرجة أنهم بالكاد يرونني الآن».

مسحت ستاسيا خديها بظاهر يدها، وقالت: «ريكو!».

- ربما أنت بحاجة إلى فهم أشياء أخرى عني. أنا لست معتاداً على التواجد قرب نساء يرغبن باتخاذ القرارات. أنا معتاد على نساء يعتمدن عليّ في كل شيء. منذ وفاة والدي أنا أتخذ القرارات عن نساء عائلتي. هنّ لا يقمن بأي شيء قبل استشارتي. إن توقعت أن تكوني مثلهنّ، فذلك لأنني لا أملك أي تجربة عما تتحدثين عنه... لكنني أستطيع أن أتعلم.

تنهدت من جديد وسألته: «لماذا تريد القيام بذلك؟».

- لأنني أريد لزواجنا النجاح. أنا مستعد لبذل المزيد من الجهد

لكي أفهمك فعلاً. حتى لو عنى ذلك إجراء تبديل حاد في كل منا، كالقفز عن علو شاهق.

- لكن... لكنني لست المرأة التي تريدها.

تلعثمت ستاسيا وهي تتكلم. كرهت نفسها لأنها تبدو مترددة وغير واثقة من نفسها، بينما عليها أن تكون هادئة وقوية أمامه. ربما حان الوقت ليكونا صادقين مع بعضهما.

ابتسم ريكو بحزن، وقال: «أنتِ بالتحديد ما أريده في المرأة».

- أنا لا أتحدث عن علاقتنا الغرامية.

- أنا أيضاً. صدقي ذلك أم لا. أنا فعلاً أحب حقيقة أنني لا أعرف مطلقاً أين أنا معكِ. أحب حقيقة أنه يمكنني أن أشتري لكِ منزلاً بملايين الدولارات وترمينه بوجهي بكلمة واحدة.

عضت ستاسيا على شفتها.

- إنه منزل جميل جداً.

- سأبيعه، ثم نختار معاً منزلاً آخر.

نظرت الى القصر ثم أعادت النظر إليه قائلة: «أحب هذا المنزل، وسأختاره بالتحديد».

رماها ريكو بنظرة غاضبة، ثم انحنى، وأمسك بها كي تقف على قدميها. قال: «هل أخبرتك يوما أنكِ أكثر النساء إثارة للسخط وأكثرهنّ تناقضاً؟».

حدقت به ستاسيا وهي تشعر بدقات قلبها تتسارع في صدرها. مرر ريكو يده على مؤخرة عنقه وتابع يقول: «أعتقد أننا نستطيع أن نكون أقل تقلباً وتسرعاً في الغضب، هذا جزء من التعلم الذي سنمارسه على ذاتنا».

- بدوت حزينة بسبب المحترف، لأنني اعتقدت أنك أقمته من أجل شيرا.

- في تلك الأثناء لم أكن أفكر بشقيقتي.

اعترف والتوتر واضح على وجهه: «كنت أفكر بكِ فقط... وكيف

سأتمكن من إعادتكِ إلى سابق عهدكِ».

امتلأت عينا ستاسيا بالدموع مجدداً، فشتم ريكو بصوت بالكاد يُسمع.

- لم أركِ تبكين مطلقاً حتى لقاءنا من جديد. فجأة أصبحت تبكين طوال الوقت.

تمتمت ستاسيا: «لأنكَ تحاول بجهد كبير، وكل ما تفعله لا جدوى منه».

تساءلت لماذا تحولت إلى امرأة هشة، سريعة التأثر والبكاء.

- ماذا؟ لماذا تقولين إن... لا جدوى من هذا كله؟

مرر أصابعه الرشيقة في شعره بقوة، كأنه لا يفهم أبداً ما يجري معها. قال: «أخبريني ماذا عليّ أن أفعل لإنجاح زواجنا؟».

تنهدت ستاسيا، وبدت كطفلة يائسةٍ وهي تمسح دموعها. قالت: «أن تحبني... عليك أن تحبني».

ساد صمت ثقيل عليهما، ثم نظر إليها ريكو غير مصدق ما سمعه. سألها: «عليّ أن أحبكِ؟».

ارتجف صوتها وهي تقول: «أجل، هذا ما أريده».

لوحت بيدها نحو المنزل الجميل، وتابعت: «هذا المنزل رائع وكذلك المحترف. أنا أعلم أنكَ تحاول جاهداً، لكن الحقيقة هي أنني أرغب في العيش في كوخ معك، ريكو. إنه الشيء الوحيد الذي لم تفهمه أبداً، والأمر الوحيد الذي لا تقدر على تقديمه لي».

- انتظري قليلاً!

هز ريكو رأسه، كأنه بحاجة إلى توضيح أفكاره فعلاً. أدرك أنهما يستعملان لغتين مختلفتين، فقال: «هل تقولين لي إنكِ تظنين أنني لا أحبكِ؟».

- أعلم أنكَ لا تحبني.

رفع حاجبه مفكراً للحظة، قبل أن يجيب: «أنفقت مبلغاً خيالياً على منزلٍ في الريف ذي طريق ملتوٍ وشائك، كما تخليت عن الغرفة المفضلة

لدي في الفيلا، وسمحت لكِ أن تغطيها بالطلاء والألوان، مع أنك بدوت غير سعيدة بمبادرتي تلك... لماذا تعتقدين أنني لا أحبك؟».

قالت هامسة: «لأنك لم تقل لي ذلك أبداً».

شهق ريكو قائلا: «أعطيتكِ كل شيء. أليس هذا كافياً لتعلمي أنني أحبكِ؟».

ردت ستاسيا بنعومة، وقد فهمته فجأة أكثر من ذي قبل: «لأن طريقتك في إظهار الحب لعائلتك هي بتأمين كل شيء لهم، لكنني بحاجة لأن أسمعك تقول لي إنك تحبني، ريكو!».

قطب ريكو جبينه، وقال: «علّمت نفسي لفترة طويلة ألاّ أقولها، حتى أصبح ذلك عادة لدي. أعتقد أنني ظننت أنني سأصبح ضعيفاً إن قلت أحبك، لكن عدم التفوه بالكلمات لا يغيّر ما أشعر به. أحببتكِ منذ اللحظة الأولى التي تحديتني فيها ونحن في قاعة الاستقبال في شركتي في روما، وافترضت أنكِ تعرفين ذلك».

حدقت به ستاسيا، وهي تسمع ضجيج دقات قلبها بأذنيها. قالت: «لم أعلم بذلك أبداً».

- لماذا وافقت على الزواج بي إذاً، إن لم تعتقدي أنني أحبكِ؟

علمت أنها ستبدو ضعيفة أمامه. ترددت للحظة، ثم قالت: «لأنني أحببتك بما فيه الكفاية عنا نحن الاثنين».

تنهد ريكو قبل أن يقول: «لاحقتكِ كما لم ألاحق أي امرأة في حياتي. تزوجتكِ مع أنني لم أعرض الزواج على أي امرأة أخرى. إن كان ذلك كله لم يخبرك عما أشعر به، إذاً...».

- أردتك أن تقول لي إنك تحبني.

قال بتوتر: «لم أكن يوماً قادراً على التعبير بالكلام... على الأقل».

لم تستطع ستاسيا أن تخفي ابتسامتها. قالت مقترحة بنبرة من التمني في صوتها: «إذاً عليك أن تتعلم. إن كنت حقاً تريد إنجاح علاقتنا، فأنت بحاجة لأن تتعلم التعبير عما تشعر به».

- حسناً! أنا... يائس بشدة، وأشعر بالرعب لأنني قد أخسرك، ومستعد للقيام بأي شيء لأستعيدك.

نظر إلى عينيها، وتابع وهو يبتسم: «أحبك يا ملاكي!».

- قل لي ذلك من جديد.

ضمها ريكو إليه، وحبسها بين ذراعيه القويتين، ثم سألها: «باللغة الإنكليزية أم بالإيطالية؟».

همست بصوت مضطرب: «بالإيطالية».

رفعت عينيها لتنظر إلى عينيه، وهي تتابع: «أنت تعرف ما أشعر به عندما تتحدث بالإيطالية».

- أعرف أيضاً ما الذي يحدث عادة عندما أتحدث إليكِ بالإيطالية.

قال يمازحها وهما يسيران نحو السيارة: «... وبما أني أعرف ذلك، أعتقد أن من الأفضل أن نغادر قبل أن نخاطر بإظهار مشاعرنا هنا. هذا النوع من الشهرة يمكننا بدون أي شك الاستغناء عنه».

تبعته ستاسيا دون أي كلمة، وهي تشعر بشوق لا يوصف إليه. سألته بعد قليل: «إلى أين سنذهب؟».

- إلى أقرب مكان حيث نحظى ببعض الخصوصية.

صعد إلى السيارة، وأدار المحرك ثم تابع: «وأعتقد أن أفضل مكان هو كوخك».

- اعتقدت أنك تكره ذلك الكوخ.

قال بصوت ناعم، وهو يرمقها بنظرة مليئة بالحب: «سأكون مستلقياً حينها، لذا لا أهمية لارتفاع السقف، فهو لن يسبب لي أي مشكلة، على الأقل لوقت قصير فقط».

مدّت ستاسيا يدها، وأمسكت بيده قائلة وهي تشعر بتسارع في دقات قلبها: «أحبك، ريكو!».

ضغط ريكو على يدها بحنان، وقال: «وأنا أحبك أيضاً حبيبتي، وسأحبك إلى الأبد».